

عبّاس لغرور

من النّضال إلى قلب المعركة

الولاية I (الأوراس-النّمامشة)

صالح لغرور

عبّاس لغرور
من النّضال إلى قلب المعركة
الولاية I (الأوراس-النّمامشة)

تعريب : صالح لغرور

مباركي الربيعي

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2016.
ردمك : 8-151-39-9947-978
الإيداع القانوني : 2015-6771

إهداء

إلى بذور الأمل
من أجل عالم أقل عنفا وقساوة .
ماسيل وماليا ونيل .

مقدمة

نويت أن أطلب من عبد الرزاق بوحارة تحرير مقدمة لهذا الكتاب حال الانتهاء من كتابته، وهو الذي عرف بارتباطه بمنطقة الأوراس-الناماشة عامة وبخنشلة بصفة خاصة، فقد كانت مهذا لأولى خطواته في الجهاد، لكن القدر لم يشأ ذلك، إذ وافته المنية - رحمه الله - فجأة، فقررت اختيار مقطعين من كتابه « منابع التحرير » مقدمة وخاتمة لهذا العمل .

في المقطع الأول يذكر المرحوم بشخصية عباس لغرور، وفي المقطع الثاني يتساءل عن سبب إهمال إنجاز تطوعي ضخم كثورة نوفمبر 1954، فضلت سرده كخاتمة لعملي هذا.

كتب المجاهد عبد الرزاق بوحارة : « يمكن اعتبار لغرور عباس - أحد المناضلين المثاليين للحركة الوطنية - نموذجا مثاليا لهذا النوع من القادة. فلغرور عباس مثال للإطار السياسي والعسكري، الذي كان في الوقت نفسه قائدا مقاتلا. كان من القادة الثوريين القلائل الذين اجتمعت فيهم، بكيفية منفردة، وفي آن واحد، الصفات السياسية والقتالية والعسكرية. كان الفرنسيون يعتبرونه كأحد قادة جيش التحرير الوطني الأكثر رعبا. تلقى تكوينه في مدرسة حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وكان دوما في طليعة العمليات العسكرية الجريئة وليس صدفة، والأمر كذلك أن

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يكون وراء العمليات الباهرة لليلة الفاتح من نوفمبر، التي كان لها صدى واسع، حيث برهن على تمتعه بروح تنظيم عالية.

اشتهر بانتصاراته العسكرية الباهرة غير المسبوقة في تاريخ جيش التحرير الوطني في الولاية الأولى، كل ذلك، جعل منه قائدا محترما ومحبوبا من طرف رجاله .»

سوف أتعرض في هذا الكتاب إلى أحداث مجيدة من تاريخ ثورتنا التحريرية، وأيضا إلى أحداث مؤلمة متمثلة في الصراعات الأخوية التي نسردها، مع التنبيه إلى أنه مهما بلغت تلك الصراعات، يجب أن لا تصل بنا إلى المساس بانتصارات ثورتنا، بأية صفة كانت، فقد وقعت أحداث مماثلة في جميع ثورات العالم، هذا ما يجب أن يعرفه الجيل الصاعد .

لقد حققت الثورة الجزائرية هدفها الأول، وهو تحرير الوطن بعد ما يقارب قرنا ونصف قرن من احتلال غاشم لا مثيل له، ويبقى علينا نحن الآن استكمال تحقيق هدفها الأساسي، وهو بناء دولة قوية بثقافتها ووحدتها واقتصادها، وباستكمال مسيرتها في البناء الديمقراطي .

هذه الصفحات ليست تاريخا أو مذكرات، لأنني لست كاتباً ولا مؤرخاً، فهي تحتوي فقط على قليل من النصوص التي تستحضر مسار الشهيد عباس لغرور. وتهدف أولاً وقبل كل شيء إلى تبديد الضباب عن جزء بسيط من أحداث تاريخ ثورتنا، في منطقة لم تستفق بعد لكتابة تاريخها، رغم دورها الريادي ومكانتها في السلسلة الطويلة لتاريخ وطننا .

تهيد

« التاريخ علم متناقض، باعتباره يسعى جاهدا ليكون دقيقا انطلاقا من معطيات جزء منها غير صحيح ! »

دومينيك فارال، مؤرخ معاصر

التاريخ عمل مقيد بحكم خضوعه لمجموعة من العوامل التي يصعب التحكم فيها، نذكر منها على سبيل المثال : الانحياز لأسباب شتى كاستغلاله كأداة لأغراض معينة، تقادم الأحداث بفعل عامل الزمن، الإخفاء المتعمد لبعض الحقائق، ذاتية الكاتب وحتى المؤرخ (انتماء عائلي، سياسي، جهوي).
فالتاريخ يعتمد نسبيا على ذاكرة الفاعلين والشهادات والسجلات والوثائق الرسمية أو غير الرسمية.

يبقى أن التاريخ الحديث هو الذي يبنى على أساس الوقائع أولا وأخيرا، وهو وحده الذي يقارن، وينظم الأحداث حسب تسلسلها الزمني، حتى وإن عرفنا خلال كل العقود الأخيرة، أن التاريخ لم يكن ولن يكون بأي حال من الأحوال مقتصرًا على تلخيص الذاكرة.

إن عمل المؤرخ شيء، والشهادة التاريخية شيء آخر مختلف تماما، فإذا كان الأول لا يسعى سوى إلى الإثراء والنهل من الثاني، فمن الواضح أن هذا

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الأخير لا يستطيع ادعاء القيمة التاريخية، لأسباب متعددة، لاسيما تلك التي سنحاول إدراجها فيما سيأتي .

إن الشهادات والمذكرات يجب أن تكون موضوع اهتمام كبير من طرف مؤلفيها، كونهم المحركين الرئيسيين للأحداث في أغلب الأحيان، إن لم نقل الأساسيين فيها، فمن غير قصد، قد لا يسترجعون إلا الأحداث التي يحكمون عليها بالإيجابية، متجنبين في معظم الأحيان تدوين الحقيقة كما جرت فعلا، متأثرين في ذلك بالعاطفة، وهذا من طبيعة البشر.

الشهادات مقتضبة ومتحيزة أيضا، وذات أبعاد وقيم غير متكافئة، وترتبط بعامل الوقت الذي يلعب دورا لا يستهان به في التأثير فيها، فالذاكرة كما يعلم الجميع عرضة للضعف، ورهينة للانفعالات الإرادية وغير الإرادية، يضاف إلى تلك العوامل، استخدام التاريخ لأغراض سياسية لتجنب استياء السلطة المهيمنة.

إن أصحاب الشهادات التاريخية يقدمون أحيانا - بدون شعور - على ممارسة نوع من الرقابة الذاتية، تجنبنا للحديث عما يثير الإزعاج، حتى تكون الشهادات ثانوية وأقل تأثيرا، وذلك ما يقلل من الوثوق فيها.

أساسية كانت أو ثانوية، يبقى الثابت أن لكل وثيقة أو كتاب أهميتهما التي لا يمكن إنكارها، الفرق يكمن في الدقة وفي المنهجية المعتمدة والمطبقة للتحقق من أهميتها، والمصادقية هي الجزء المهم في الفهم الشامل لها، فالوثائق، وحتى تلك الأكثر رسمية، تبقى غير خالية من الأخطاء التي تقع في كثير من الأحيان بطواعية تامة من طرف أصحابها أو أصحاب السلطة المهيمنة، حيث نجد مقاطع من جمل، تواريخ، أرقام، وحتى أسماء اقتطعت عن قصد، مع الاحتفاظ بما يروونه مناسبا أو ما يخدم مصالحهم.

تمهيد

كما أن لهذه الوثائق ميزة أخرى، هي عدم إمكانية الاطلاع عليها، لكونها متعلقة فقط بلحظة وقوعها، وبالتالي لا يمكن لأولئك الذين يتعاملون معها إجراء أي تصحيح أو تعديل .

يجب التنبيه أيضا، إلى أن بعض الكتاب (المؤرخين) خصوصا الذين لم يكونوا طرفا في الأحداث، يؤكدون ويثبتون أحداثا، دون إعطاء المصادر الدقيقة لها، معتمدين فقط على تحليلاتهم الشخصية، وهذا التصرف قد يؤدي إلى فهم خاطئ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بأحداث أساسية .

من جانب آخر نلاحظ أن مذكرات بعض الفاعلين تصدر بعد موتهم، ربما لرغبتهم في تجنب أو مواجهة انتقادات محتملة .

أما موضوع أرشيف الخصم أو العدو، فيجب قراءته وفحصه بحذر وبدقة، فقد يكون أحيانا مفخخا .

في حالتنا هذه، والمتعلقة بالشهيد « عباس لغرور »، أريد أن أوضح بكل تواضع أن عملي هذا يعتمد أساسا على المصادر التالية :

– الذكريات العائلية وشهادات القلة القليلة من مرافقي عباس، من الذين استطعت الاتصال بهم .

– الشهادات والمقالات المنشورة في الكتب التي تناولته والتي تمكنت من الإطلاع عليها .

الفصل الأول

الوسط العائلي والاجتماعي والمطالب الوطنية

اطلب العزة في لظى ودع
الذل ولو في جنان الخلود

المتنبي - شاعر عربي من القرن العاشر الميلادي

• نوفمبر

« في كل مرة يذكر فيها اسم نوفمبر، تعود بنا الشحنة العاطفية المرتبطة بهذا الشهر إلى أعماق الروح لتذكرنا بما ندين به لهذا الشهر المقدس. نحن ندين له ببساطة بالوجود، وهذا لا يقاس حتى إذا تحملنا عناء المقارنة بين حياتنا اليومية، وحتى تلك التي نعتبرها مقيتة، وبين لعنة الحياة التي قاساها من قبل أجدادنا الذين عانوا ويلات الاستعمار، إن هذا الشهر يبلور في أعماقه كل تاريخ بلادنا في صفحاته الأكثر مجدا»¹.

أول نوفمبر 1954، ليس فقط يوما وشهرا وسنة، بل هو معلّم ورمز تاريخي سجل نقطة انطلاق لما اعتقده البعض تمردا، لكنه سرعان ما اتضح له أنه أمام أكبر ثورة تحرير شعبية وطنية عرفها القرن العشرون، فحرب الفيتنام والثورة

1. عمارة خالدي *Le Quotidien d'Oran* : 12 نوفمبر 2009.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الجزائرية هما الحدثان التاريخيان اللذان كان لهما الفضل في قلب الموازين وتحريك مشاعر ووعي الشعوب المضطهدة والمقهورة .

في ليلة واحدة عرفت إحدى أقوى إمبراطوريات العالم تحديا حقيقيا وضعها أمام الأمر الواقع، إنه البركان .

لقد زعزع أول نوفمبر في العمق إحدى أكبر قوى العالم . سبقت هذا الانفجار عقود من المقاومة المسلحة ثم الثقافية والسياسية، قبل أن تتحد حمم هذا البركان وتجتمع معا تحت لواء فكرة واحدة، هي الاستقلال الكامل مهما كان الثمن، كان هذا تنفيسا كاملا عن غضب الشعب وتعبيرا عن رغبته الملحة في التخلص من السجن المفتوح الذي فرضه عليه الاستعمار تحت اسم الجزائر، ولم يتحقق ذلك إلا بعد مرور ما يناهز ثمان سنوات من أعنف حرب تحريرية عرفها القرن العشرون، قدم فيها بلدنا ثمنا باهظا من التضحيات الجسام مكنته في الأخير من التحرر من قبضة الاستعمار الهمجي .

أول نوفمبر كان محركا أساسيا لمسيرة التاريخ، ليس فقط بالنسبة لقضيتنا، وإنما على مستوى القارة الإفريقية، والعالم ككل، فالثورة الجزائرية تميزت بخصائصها الشعبية وبعدها الوطني في تحضيرها وتنفيذها. لقد ساهمت الثورة الجزائرية ببعدها القاري بطريق مباشر وغير مباشر في تحرير معظم المستعمرات الإفريقية ؛ مما يجعلنا نقول أن الجزائر كانت البوابة التي دخل عبرها الاستعمار الفرنسي إلى إفريقيا، وهي ذاتها البوابة التي خرج عبرها .

حرب التحرير الوطني هذه، تم التخطيط لها من قبل مجموعة من الوطنيين الشباب – معدل سن قادة الثورة الأوائل لا يتعدى 25 سنة – الذين استندوا إلى الخبرة المكتسبة من الجيل الذي سبقهم طوال ما يقارب أربعة عقود من النضال السلمي، المتمثل في الحركة الوطنية .

كانت لهذه المجموعة من الوطنيين الأسبقية والجرأة في إشعال فتيل الثورة، انطلاقاً من فكرة أن الاستعمار الفرنسي لا يقبل التخلي عن امتيازاته التي اكتسبها بالهيمنة وبإخضاع الشعب الجزائري إلا بالقوة.

كان من الضروري إشعال فتيل الثورة، وكان لمجموعة الوطنيين السابقين لذلك تلك الجرأة، بعد أن تيقنوا أنه لا بد من المبادرة ليكونوا قدوة للشعب فيحذو حذوهم، وأثبت التاريخ أنهم كانوا محقين في ذلك.

« عباس لغرور » كان واحداً من هؤلاء الرجال المفعمين بروح الإيمان وبإرادة استثنائية في تحرير الوطن، رجال تخلوا عما سواه من أجله، كانت لهم الشجاعة للتقدم والسير في اتجاه التاريخ، باتخاذهم القرار الوحيد المفروض اتخاذه : وهو مواجهة القوة الاستعمارية وجيشها – والذي يجب تذكره اليوم – الذي كان وما زال واحداً من أقوى الجيوش عتادا وعدة في العالم، وهو طرف في الحلف الأطلسي، لذلك كان من الضروري امتلاك السلاح الوحيد ألا وهو الإيمان بعدالة قضيتهم، للانتقال إلى العمل المسلح في 1 نوفمبر من عام 1954، ذلك ما لا يملكه العدو.

رغم عدم التكافؤ، بالنظر لضعف القوى البشرية ونقص الإمكانيات منذ البداية، يجب التنبيه إلى أن التخطيط تم بدقة من أجل إنجاح عملية إشعال الفتيل المبشر باندلاع الثورة الجزائرية. كان التنظيم دقيقاً، وتزأمن مختلف العمليات العسكرية شرقاً ووسطاً وغرباً وجنوباً عبر الوطن كان بالفعل دلالة وإشارة موجهة للمستعمر الفرنسي على أن الأحداث المقبلة يجب أن تؤخذ على محمل الجد.

بالفعل ففي صباح اليوم التالي أي 2 نوفمبر 1954، اجتمع جنرالات القوات الفرنسية بالعاصمة الفرنسية على الفور وهم في حالة ذعر وتأهب تام لم يسبق لهما مثيل، وتقرر تهريب المجاهدين والسكان برد فعل عنيف.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لقد وقع قادة العدو في بداية الأمر في الخطيأ، كانوا يجهلون مدى حب الوطن وقوة الإيمان والإرادة لدى هؤلاء الرجال المبادرين لتحرير الوطن، حيث اعتبروهم في بادئ الأمر مجرد جماعة خارجة عن القانون، يمكن لهم القضاء عليها في أية لحظة من الزمن، إلا أنهم أثبتوا لهم عكس ذلك، وتمكنوا في ليلة واحدة من تسديد ضربة قوية للنظام الاستعماري، خاصة من الناحية السيكلوجية.

من الضروري أن نأخذ على عاتقنا واجب الكتابة عن أبطال ثورتنا المجيدة، فالواجب الوطني يلزم كل شخص يحوز معلومات أو مصادر أو شهادات عن هذه المرحلة الاستثنائية من تاريخنا - التي يجب أن لا تُنسى وأن تُدوّن - المشاركة في هذه المهمة النبيلة والمساهمة فيها بأي شكل من الأشكال، ومن الواضح أن هذه العملية ليست بمهمة سهلة.

سوف أذكر مرة أخرى بعض الأسباب التي تجعل هذا النوع من الأعمال أكثر حساسية وإثارة، ففيما يخصني أنا على وجه التحديد، أشرح العراقيين التي واجهتني وكانت سببا في صعوبة مهمتي، ولعل أهمها صعوبة الوصول إلى الحد الأدنى من المصادر المكتوبة المتعلقة بالفترة التي أنا بصدد الكتابة عنها، إذ أن وفاة عدد كبير من أعضاء عائلتي والأشخاص الذين عايشوا « عباس لغرور » قلل كثيرا من إمكانية إثراء موضوع الكتاب، أضف إلى ذلك التزامي الشديد، بنقل الأحداث كما هي، محاولا البقاء « حياديا » حتى أقلص من تأثير عامل القرابة قدر الإمكان، كما أنني حاولت في جميع الحالات ألا أكون القاضي الذي يصدر حكمه النهائي غير القابل للطعن، بل على العكس من ذلك، فقد تركت عملي هذا مفتوحا أمام إضافات لشهادات ووجهات نظر الآخرين، من المهتمين بنفس الموضوع على المدى القريب أو البعيد، خصوصا بعد أن فتحت فرنسا مؤخرا جزءا من أرشيف ثورة التحرير.

إن أعمار معظم الرواد الذين أشعلوا فتيل الثورة كانت قصيرة جدا، لكن أيامهم كانت غنية بالأحداث التي غيرت مجرى التاريخ الاستعماري، وبالتالي تاريخ الجزائر، كانوا كلهم شبانا بسطاء - ليسوا فلاسفة ولا إيديولوجيين - نساءً ورجالا متشبعين بمبادئ الحرية والعدالة.

باعتباري الشخص الذي تكفل بالحديث، ليس فقط عن « عباس لغرور »، لكن بطبيعة الحال عن نفسي وعن عائلتي والمنطقة التي شهدت ولادتنا ونشأتنا، قدّرت أفضلية الحديث بصيغة المتكلم، على الأقل في الوقت الحالي، وهذا ما يجعل من شخصي المتواضع مسؤولا عن كل هاته الآراء.

• أصل العائلة

كنت في السابعة من العمر عند اندلاع الثورة، حينذاك كنت قد أنهيت عامي الدراسي الابتدائي الأول، وبعد أن انقضى ما يقارب شهرين من العام الدراسي الثاني (1954-1955)، اندلعت الحرب التحريرية وبدأت ذاكرتي تحتفظ ببعض الصور التي لن تمحى، ها أنا الآن أحاول استرجاعها هنا.

مازالت لدي بعض الذكريات عن أخي « عباس » فقد كان قوي البنية، طويل القامة، حسن المظهر والهندام، يخفي ابتسامة نادرة وراء شاربه الأسود الرفيع، شعره كان ممشوطا دائما إلى الخلف. هذه التقاسيم كانت تخفي وراءها وداعة تنبعث من وجهه. لم يكن من النوع الثرثار، فقد كان قليل الكلام، غالبا ما أراه في الخارج مطأطئ الرأس، يبدو كأنه دائم التفكير.

كان يبدي اهتماما كبيرا بدراستي، فلا ينفك يقدم لي التوجيهات بشكل منتظم ودائم، كلما سنحت له الفرصة، كما كان يحرص على نظافتي وحسن تغذيتي، وفي كثير من الأحيان، كان يقدم لي قطعة نقدية لشراء الحمص أو

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

الفول (المملح)، الذي كان يباع بالقرب من المدرسة آنذاك . كثيرا ما كنت أراه جالسا في دكان أحد معارفه « السوفي » (السوافة مختصون في بيع التمور والحبوب الجافة)، كلما مررت ذاهبا إلى المدرسة، وفي بعض الأحيان كان يشتري لي حفنة من التمر يضعها في جيب مئزّي، فيبعث ذلك البهجة في نفسي .

كنت نظيفا، فقد كانت أختي عائشة التي تعيش معنا في البلدة تعتني بي، تقلم أظفاري، تفلي لي شعري وتغسله، كانت العين الساهرة على الدوام على كل ما يتعلق بشخصي .

عندما رميت طاقتي (الشاشية) في يومي الأول من الدخول المدرسي، كانت تجربة غير عادية، بل الحدث العظيم بالنسبة لطفل في مثل سني لم يتخلّ أبدا عن طاقيته ! فقد شعرت حينها أنني جُردت من ملابسي، وأني أصبحت شخصا آخر ! ولكن في نفس الوقت كنت سعيدا بالدخول إلى وسط « متمدن »، أو بالأحرى في عالم الحداثة .

في المدرسة الاستعمارية كان علي الاعتياد على ارتداء مئزر أسود محاط بشريط أحمر، مطرز عليه على مستوى الصدر اسمي ولقبني، كنت محظوظا بين أقراني، ليس فقط بتلقي الحلوى في بعض الأحيان من السيد « فيري »، مدير المدرسة، بل تلقيت منه مرة قطعة نقدية (دورو) .

أتذكّر أيضا يوم نفي كل أفراد العائلة، بالضبط لما حُملنا جميعا كقطيع من الغنم على شاحنة لتتجه بنا في اتجاه المحتشد، كان هذا اليوم يوما مشؤوما، فقد ودّعت فيه، ليس فقط بيتي في الدوار وفي المدينة، بل المدرسة التي كانت أول نافذة لي على عالم جديد .

كانت عائلتنا مقسمة بين المدينة والدوار (منزل في البادية) الواقع على بعد بضعة كيلومترات من المدينة. كنا خمسة إخوة في المنزل العائلي، حيث كانت واحدة من أخواتنا تعتني بنا، «عباس» الذي غادر المدرسة وبدأ العمل، و«شعبان» الذي أنهى دراسته الابتدائية واستطاع أن يواصل تكويننا مهنيًا في الخراطة في المدرسة المهنية؛ أما أنا فقد كنت آنذاك في السنة الأولى من المدرسة الابتدائية، و«عمار» الذي غادر مقاعد الدراسة بعد السنة الخامسة ابتدائي، أما «بوعزيز» فلم يتلق غير التعليم في المدرسة القرآنية، وأما الأخوات فلم تتمدرس أي واحدة منهن.

أتذكر أن «عباس» كان يشتغل بما يمكن تسميته بـ«محل» يقع داخل منزلنا (رواق المنزل) وكان على شكل Tinda (هي عبارة عن سقف من حديد) تشد الانتباه، وضعت فوق باب المدخل، فيها القليل من السلع المعروضة التي يمكن عدها لأنها كانت عبارة عن صندوقين أو ثلاثة صناديق موضوعة في رواق المنزل. كان لبيتنا مدخلان: أحدهما من جهة الجنوب والآخر من الغرب، وقد تم تثبيت Tinda في الجانب الغربي.

والدا عباس، «موحد أعمار» و«ليتيم العطرة» ينتميان إلى نفس القبيلة، أما عباس فقد كان متزوجًا من ابنة عمته، وكانت العممة متزوجة من أحد أفراد عائلة بوغرارة من قبيلة الحراكمة.

كان لعباس ثلاثة أطفال: شريفة ولدت في 1949 وتوفيت في سنتها الأولى، فاطمة «حسينة» المولودة في 1951، وطارق المولود في 1953.

عاش الأب موحد أعمار مؤالا، أي مربيًا للماشية، وكان يملك عشرات الهكتارات من الأراضي الواقعة في الدوار الواقع عند سفح جبلين «جبل جحفة» و«جبل جمري»، يتقاطعان مشكلين حرف V. الجبلان كانا

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

مأوى لرجال الثورة التحريرية، ومنهما تنبع المياه التي تغذي « واد لغرور »، الذي يعبر « أراضي لغرور »، ويعرف جغرافيا باسم « وادي العرب ». هذا الوادي يصدر من جهة الشمال الغربي لمرتفعات جبل « جحفة » (1719 متر)، ويتدفق نحو الشرق على بعد بضعة عشرات الكيلومترات، أين تتغير تسميته إلى « وادي العرب »، وينتهي به المطاف ليصب في واحات النخيل بقري « خيران »، « الولجة »، « خنفة سيدي ناجي »، قبل أن ينحدر إلى منحدرات « ليانة » و« زريبة الوادي »، وقد تم مؤخرا (سنة 2000) إنشاء سد على مستوى « بابار » لتحسين استغلال مياهه ومراقبتها.

عاشت عائلتنا من النشاط الفلاحي وتربية المواشي، تلك الظروف كانت مقبولة مقارنة بوضعية أغلب الشعب الجزائري ؛ فقد كان والدنا يؤجر أراضي للرعي لتغذية مواشيه في فصل الشتاء جنوب خنشلة، فيما يسمى بالصحراء، وبالعكس يأتي الرحل من الصحراء في فصل الصيف للاصطياف والعمل عندنا بضواحي خنشلة .

سوف أحاول العودة إلى سنين خلت، من خلال ما أتذكره وما تتذكره عائلتنا، مع ما جمعته من شهادات الباقيين على قيد الحياة من أقران عباس، مجاهدين كانوا أو غير مجاهدين، من أصدقاء أو خصوم.

• تحطيم كل ما هو مكتوب

لم يترك آباؤنا خلفهم آثارا مكتوبة لسبب بسيط، هو كون أغلبهم لا يحسنون القراءة والكتابة، آنذاك، كان المجتمع في منطقتنا يعتمد أساسا على الروايات الشفوية، زيادة على أن القلة القليلة من الوثائق التي كانت موجودة أُحرقت أو أُتلفت، ففي ظروف الحرب لم يكن هناك شيء أخطر من أن تترك

بعض الآثار المكتوبة في المنازل، لأن ذلك يؤدي حتما إلى الموت، حتى إن الناس أصبحوا يخافون من كل ما هو مكتوب ويتجنبون كل ما له علاقة بالوثائق أو المذكرات المسجلة، فهم يعمدون إلى تدمير كل الوثائق حرصا على أمنهم وأمن غيرهم، ولقد تعرض الكثير منهم رجالا ونساءً للتعذيب وحتى للقتل بسبب الوثائق التي عثر عليها في منازلهم، فجهلهم للقراءة جعلهم محل خوف من كل ما هو مكتوب، كما وصل بهم الأمر إلى درجة أن لا أحد منهم يجرؤ على التقاط قطعة من الورق ملقاة على الأرض إذا كانت مكتوبة. أتذكر هنا قصة عائلة فلاحين قامت بإيواء عدد من المجاهدين، وحدث إثر محاصرة قوات الاحتلال الاستعماري للمنزل، أن غادر المجاهدون البيت على عجل تاركين خلفهم وثائق وجهاز الراديو الذي لم يتسنّ لهم حتى إيقاف تشغيله. هذا الشيء الغريب الذي لم يسبق لهذه العائلة البسيطة أن رأته تسبب لها في ذعر وقلق كبيرين ؛ لأن اكتشاف شيء كهذا في منزلهم من قبل الجنود الفرنسيين يعني إعدام كل العائلة. ولأن الراديو بقي يصدر الصوت، أخذت إحدى النسوة (من شدة جهلها) تخاطبه كأنه كائن حي، وتتوسل إليه لكي يصمت أو يغادر المنزل ويهرب كبقية زملائه، وبعد فشلها في إقناعه، قررت المرأة أن تكون جادة فتسلحت بمعول « لاغتيال » هذا الدخيل ودفنه بسرعة مع الوثائق المكتوبة قبل وصول الجنود الفرنسيين. هذا يبين بوضوح الواقع المعاش آنذاك، الذي يختلف تماما عن واقعنا اليوم الذي يعج بتكنولوجيا يستعملها الجميع.

رواية أخرى : تم حرق منزل أختي من طرف القوات الفرنسية سنة 1960، وتمكنت هي من إنقاذ بعض الوثائق، من بينها مصحف كان ملكا لعباس، وقررت بسرعة إخفاءها في مكان آمن، ونجحت في دسها في ثغرة صغيرة، بدت لها في إحدى الأضرحة بالمقبرة، وبعد مدة لما أرادت استعادة الوثائق،

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

اتجهت نحو المقبرة، فالتبس عليها الأمر بعد أن وجدت ثغرات كثيرة في العديد من الأضرحة، وهكذا ضاعت وثائق هامة تخص الثورة الجزائرية.

• التركيبة القبلية

قبل التطرق إلى كل هذا، أحبذ التطرق أولاً لأصل العائلة وجذورها. البنية القبلية هي التنظيم الاجتماعي الذي يميز المجتمع الجزائري منذ قرون، بل كل المجتمعات التقليدية. يمكن القول أن هذا النموذج من التنظيم مازال موجوداً في مجتمعنا إلى يومنا هذا، ولكن بنسب أقل مما كان عليه في الماضي، لقد اهتز بفعل ضغط التغيرات الاجتماعية الناتجة عن التناقضات التي أحدثتها الحداثة والتطور، ويمكن القول أنه في طريق الزوال نظراً لوجود روابط جديدة على رأسها روابط الزواج، ليس فقط بين القبائل والعائلات بل في مختلف مناطق الجزائر، الأمر الذي كان في الماضي استثنائياً وغير عادي.

كانت أسماء القبائل تستمد عموماً من أسماء الأجداد، وعلى هذا الأساس كان التعريف بالعائلة يعتمد أساساً على جذورها القبلية، وعائلة « لغرور » تنحدر من قبيلة « آث بوصكة »، التي تنتمي بدورها إلى قبيلة « انسيغة » (وهم السكان الأصليون لهذه المنطقة، أي أمازيغ)، التي تعتبر فروعاً من قبيلة « لعمامرة »، إحدى قبائل الشاوية (أمازيغ الأوراس)²، وهي صغيرة نسبياً مقارنة بقبيلة « اللمامشة » وحتى بقبيلة « الحراكطة » المجاورة.

أما بالنسبة لأصل اسم « لغرور » - وهو لقب نادر - فقد مر عبر الزمن على بعض التحولات الصغيرة المتتالية، فاستناداً للسجلات الاستعمارية التي

2. محمد بن محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تقديم أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2006، ص 341.

يعود تاريخها إلى عام 1870، كتب اللفظ على شكل « أغرور » ثم « غرور » و « لغرور » وفي بعض الأحيان « الأغرور ».

وحسب بعض الباحثين المختصين في أصل الأسماء بالجزائر، فإن معظم الأسماء التي تبدأ بالحرف « أ » يليها الحرف « غ » أصلها أمازيغي، ولكن الشيء الأكيد هو أن الأرض والوادي مقر هذه العائلة تدعى دائما « لغرور » ويقال أيضا « أراضي لغرور » و « واد لغرور » أو « واد الغرور » وهذا وحده يكفي للتأكيد بأن جذور هذه العائلة في منطقة الأوراس عريقة جدا، فهل أعطت هذه العائلة اسمها لهذا الوادي وهذه الأراضي، أم أن اسم « لغرور » جاء من اسم هذه الأراضي ؟ تبقى هذه الفرضية محتملة. كما نعلم أن كلمة « الغُرُور » تعني باللغة العربية « الوهم »، و « وادي الغرور » يعني بالعربية « وادي الوهم ». والراجح أن تكون كلمة « أغرور » أمازيغية لم أحدد معناها قد عبرت بإضافة حرف اللام.

عن أصل الاسم أيضا، نعرف أن عائلة « كاتب ياسين » تنحدر من « تمقرة » جنوب خنشلة، وهو المولود بمكان في ضواحي « قالة » يسمى « عين لغرور ». كما أن أبحاثا في مواقع على الإنترنت تبين أن هذا الاسم النادر موجود في « المغرب ».

عائلة لغرور عباس كانت تعيش نسبيا في ظروف مقبولة مقارنة بأوضاع معظم الجزائريين، فلا ننسى أن السياسة الاستعمارية الخاصة بنزع الأراضي من أهاليها، جعلت أكبر عدد من العائلات الجزائرية يعيش فقرا مدقعا، فقليل من الجزائريين بقوا مُلاكاً لقطع من الأراضي، أما آخرون من الذين لديهم « الحظ » فقد كانوا يعملون كعمال يومية لدى المستوطنين أو كـ « خماسة » (عمال الأرض ولهم الحق في خمس الإنتاج) لدى هؤلاء الذين لم تسلب منهم كل

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

أراضيهم من أبناء وطنهم، أو بالأحرى هؤلاء الذين مازالوا يملكون بعض الهكتارات من الأراضي الزراعية، أما الأغلبية العظمى من العائلات الجزائرية فكانت تعيش حياة مزرية. لقد عمدت السياسة الاستعمارية إلى تجريد الأهالي من أراضيهم الصالحة للزراعة وتهجيرهم إلى الأراضي الجرداء القاحلة، مما تسبب في تفكيرهم وتجويعهم وجعلهم يحيون حياة قاسية وصعبة جدا، حتى أن بعض العائلات المدومة كانت تنتظر فصل الحصاد لتطلب من المعمر السماح لها بالتقاط بعض السنابل.

مازالت في ذاكرتي أيضا صور بعض الأطفال الصغار والمراهقين، ذكورا وإناثا، وحتى البالغين أيضا، كانوا خلال موسم الحصاد يمشون اليوم كله في الحقول تحت أشعة الشمس الحارقة، يعملون بلا هوادة من أجل التقاط السنابل التي يستخرجون منها بعض الحففات من البذور لعلها تضمن لهم ولعائلاتهم الحد الأدنى من الغذاء اليومي، كما أتذكر جيدا المعمر الفرنسي وهو يجوب الحقول بسيارة 2CV، يراقب الجرّارات المعبّأة بأكياس القمح، وبعض العائلات تقترب منه طالبة السماح لها بالتقاط السنابل الضائعة.

أتذكر صورة تلك الفتاة التي كانت ترتدي فستانا ورديا رثا مزركشا بأزهار، رأسها مغطى بوشاح جميل مبقع بزهور مختلفة الألوان، وقد جفت شفتاها واحمرت وجنتاها بفعل حرارة الشمس الحارقة، حافية القدمين، ساقاها تنزفان دما بسبب الاحتكاك المستمر بالهشيم والأشواك على جلدها، ظهرها مقوس وأنفاسها مقطعة بسبب الغبار وبقايا التبن الكثيف الذي كان ينبعث من آلة الحصاد، تسرع لالتقاط بعض السنابل الناجية من موسى آلة الحصاد بيديها الداميتين اللتين مزقتهما الأشواك، وتضع هذه السنابل في كيس بال تسحبه تدريجيا خلفها. عيناها الدامعتان تجولان يمينا ويسارا، ومن حين

لآخر، تجفف عينيتها وأنفها بظهر يدها وبكمها. على الرغم من كل تلك الصعوبات والمخاطر التي كانت تواجهها إلا أنها كانت حريصة على التقاط أكبر قدر ممكن من السنابل، لإعانة عائلتها وإقناع نفسها بكونها أدت دورا إيجابيا، كل هذا أمام أكوام من أكياس القمح المعبأة التي كانت تتساقط من حين لآخر من مؤخرة آلة الحصاد، تحت أنظار المعمر اللامبالية.

• ميلاد عباس لغرور

ولد عباس بتاريخ 23 جوان 1926، وهي سنة إنشاء حزب نجم شمال إفريقيا. سجله والده عند ضابط الحالة المدنية آنذاك : Lanzel Georges، بدوار « انسيغة » أو قبيلة « انسيغة » وهو بالتحديد دوار يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة خنشلة، وكانت « تاميورث » المكونة من بضعة منازل مركزا لهذه القبيلة أين تقع السوق الأسبوعية. يوجد بثمايورت منبع مياه باردة صيفا وذات حرارة معتدلة في الشتاء، يحيط به عدد من أشجار الصفصاف العالية بأوراقها الكثيفة، كان ظلها وحفيف أوراقها وهي تداعب بعضها البعض، ممزوجا بخير مياه الينبوع، ملاذا للراحة للمسافرين ومحلا للمناقشة وللثرثرة، خصوصا المتسوقين إلى السوق الأسبوعية لمدينة خنشلة يوم الثلاثاء، وللفلاحين المتوجهين إلى المدينة بعد نهاية موسم الحصاد لتسليم حبوبهم المحمولة على ظهر الأحمررة إلى مركز التخزين. كان منبعا يروي ظمأهم وظمأ مواشيهم.

إبان الثورة التحريرية، أصبح هذا المكان مركزا للجيش الفرنسي مورست فيه كل أشكال التعذيب، كما شيد بجانبه مطار عسكري تم غلقه بعد الاستقلال. الآن وللأسف الشديد، « تاميورث » ومنبعها ابتلعهما الإسمنت، نتيجة لمخططات عمرانية عشوائية أو « فوضوية »، وحتى اسم « تاميورث » اختفى

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

وأصبح غير معروف لدى الجيل الحالي . إن حذف هذا الاسم الأمازيغي يعتبر خطأ فادحا كحذف صفحة من كتاب تاريخ بلادنا .

تحت نير الاستعمار تمت مصادرة أراضي لغرور من طرف معمر يدعى Louis Brusset ، وإلى حد الآن لم نعلم بأي بحث لتحديد مالكي هذه الأراضي .أورد هنا هذه الحالة التي تبدو غريبة، فبواسطة أحد أفراد العائلة استطاع عباس أن يقنع والده ليسلم له قطعة أرض مساحتها سبع هكتارات كحصته من الإرث باعها إلى المستوطن Brusset مدعيا مشروعاً تجارياً وهو شراء مقهى بالعاصمة . في الحقيقة كانت الأموال موجهة لتمويل صندوق الثورة . هذه الشهادة كنت أنظر إليها بحذر إلى أن تحصلت على عقد بيع هذه الأرض إلى المستوطن سنة 1953 . تمّ استعاد هذه الأرض سنة 1963 . نذكر أن سكن المعمر السابق الذكر سلّم إلى زوجة عباس لغرور بفضل الرئيس بن بلة سنة 1964 . إن الاستحواذ على الأراضي ليست عملية استثنائية فهناك العديد من الملاك الصغار تم تجريدهم شيئاً فشيئاً من أراضيهم . والطريقة المتبعة هي أثناء سنوات الجفاف المتتالية تتفاقم ديون الفلاحين الصغار فيضطرون إلى تأجير أو رهن أراضيهم أو بيعها بأسعار رمزية . في سنة 1878 سنّت الإدارة الاستعمارية قانوناً يقر كيفية شروط تنصيب المستوطنين، ومن هنا بدأت أنواع السلب المختلفة ومنها سلب الأراضي بالقوة أو بالتخويف، ونخص بالذكر فرض الضرائب ؛ ففي سنة 1844 عند وصول العقيد « Herbillon » إلى الأوراس-الناممشة أعطي له أمر بجمع الضرائب « كان ملزماً على الأهالي - يذكر الكتاب - جمع قيمة مالية أو كميات من الحبوب، وملزم عليهم أيضاً أن يسلموا البغال والخيول والثيران أو الأغنام إلى السلطات الاستعمارية »³ .

3. Abdelhamid Zouzou, *L'Aurès au temps de la France coloniale*, Alger, Dar Houma, 2001.

الوالد ولد عام 1896 بـ « انسيغة »، وهو بن « عمار » بن « شعبان » بن « عباس » بن « فرحات » بن « عمارة ». فهل « العمارة » منحدرين من هذا الجد « عمارة »؟ للأسف، مصادر ومعلوماتي المتعلقة بشجرة العائلة تتوقف عند هذا الحد، ولقد تطرقت آنفاً لقلة المصادر المكتوبة، ليس في هذه المنطقة فحسب، بل على مستوى الوطن ككل.

من عادة الأجداد والأسلاف في ذلك الوقت تسمية أسماء « عباس »، أو « عمار » أو « شعبان »، لأن التقاليد تتطلب استخدام هذه الأسماء مراراً وتكراراً بإعطاء اسم الأب أو الجد لابن أو اسم الأم أو الجدة لل بنت، وبالتالي فإن سلسلة الملكية العائلية كانت مصانة في الذاكرة الجماعية لهذا المجتمع القبلي المتناسك. للأسف هذه العادة التي تُكرس اسم الجد أو الجدة هي في طريق الزوال، وهذا منذ بداية ستينات القرن الماضي، فقد عُوضت أسماء الأجداد بأسماء ممثلي الأفلام والمسلسلات التليفزيونية.

وكان والدي « موحد اوعمار » (محمد ابن عمار) رجلاً حكيماً ومحبوباً، يحظى بقدر كبير من الاحترام من قبل أهل الدوار (انسيغة) الذين كانوا يصفون حكمته وحسن تقديره للأمور بـ « قدرته على إخماد الحريق من دون ماء »، وقد كان ملماً بقليل من الكتابة والقراءة باللغة العربية، وهو من بين حكماء الدوار، ولذلك كان رأيه مسموعاً من طرف « الجماعة » التي كانت تشاوره باستمرار في حل مختلف المشاكل الاجتماعية التي تظهر نتيجة السرقة، الزواج، الطلاق، الثأر... وغيرها.

كل ذلك كان وفقاً للمعايير التي تنص عليها الأعراف والتقاليد القائمة آنذاك، حتى لا يلجأ الأهالي إلى العدالة الاستعمارية المعروفة بالبيروقراطية وبالماطلة والرشوة في إصدار القرارات. أحد أفراد العائلة روى لي أن والدنا

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كان يرفض باستمرار أن يكون أحد الأعيان المعيّنين من قبل السلطات الاستعمارية.

في عام 1933، وحرصاً منه على تعليم أبنائه، اشترى من السيد Grange وزوجته السيدة Doreau منزلاً يقع في الجنوب الشرقي لمدينة « خنشلة »، وهو يقع حالياً عند تقاطع شارع فلسطين وشارع بوسحابة علي وكان Elie Stora، نائب رئيس البلدية، قد بنى خلال عام 1950، مرآبا سمي بـ « مرآب Stora لتصليح وتشحيم السيارات » مقابل هذا المنزل، وما زال موجوداً إلى يومنا هذا، وقد استُخدم بعد اندلاع الثورة لتخزين الخمور. كان هناك ملعب للتنس أمام هذا المرآب وخلف هذا الملعب يقع المنزل الفخم للمعمّر Louis Brusset.

هذا المنزل (منزلنا الجديد) في حد ذاته يتكون من قسمين منفصلين عن بعضهما البعض، القسم الأول يتكون من عدة غرف صغيرة تطل على فناء، كانت مستأجرة من قبل العمال أو المسافرين، خاصة في اليوم الذي يسبق السوق الأسبوعية للمدينة، يوم الثلاثاء. القسم الثاني يتكون من مطبخ وخمس غرف، يطل المطبخ مع ثلاث غرف على الفناء ذي الأرضية المطلية بالإسمنت. المياه متوفرة وجارية من حين لآخر، والمرحاض يقع بجوار حوض للغسيل، أما مياه الصرف الصحي فكانت تصب في الهواء الطلق خارج المسكن.

كان شيئاً جديداً بالنسبة لنا، لأننا في الدوار كنا نقضي حاجاتنا في العراء، وكنا نأتي بالماء من بئر تقع على بعد عشرات الأمتار من المنزل، إلا أن والدي اضطر في الأربعينيات إلى بيع جزء من المنزل لتسديد تكاليف علاج أخي الأكبر « مصباح »، الذي أصيب بمرض « السل »، وقد كان هذا المرض منتشرًا آنذاك، ولكنه لم يستطع إنقاذه فقد توفي بعد بضعة أشهر من ذلك.

أما منزل الدوار فهو مثل معظم المنازل الشاوية، يتألف من ثلاث غرف على استقامة واحدة، في اتجاه الشرق، تطل على ساحة واسعة، ومن جهة الشمال يلحق بها إسطبل يطل بدوره على الساحة، وفي الخارج تجد غرفتين : واحدة لتخزين أعلاف الماشية « ادارث اولوم » وكانت هي أيضا مفتوحة على ساحة أخرى أوسع، ذات جدران أقل ارتفاعا، أما الأخرى فقد كانت مخصصة للضيوف وتعرف بـ « دار الضياف »، التي كانت تأوي من حين لآخر الحجاج المتوجهين إلى البقاع المقدسة أو العائدين منها، وبعضهم يأتي من الغرب الجزائري وحتى من المغرب .

• ما أتيج من المعرفة

زاول عباس الدروس الابتدائية بمدرسة « الأهالي » (مدرسة مخصصة للسكان الأصليين) للمدينة في أوائل عام 1933، وواصل تدرسه حتى حصوله على شهادة التعليم الابتدائي، وموازية مع ذلك تابع تعليمه الديني واللغة العربية بالمدرسة القرآنية .

كان تلميذا يقظا، قليل الكلام نادرا ما تسمع صوته، وعندما يتكلم يطرح دائما أسئلة مباشرة، غالبا ما تضع الطرف الآخر في موضع إحراج للإجابة، هذا ما تضمنته شهادات بعض زملاء « عباس » من نفس العمر ومن نفس القسم وهم : السادة : شرفي عبد الحميد، ودمان، ودغبوش كمال . كان ذلك في أواخر عام 1930، حين دخل العالم في حالة اضطراب وتوتر بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية الحادة التي شهدتها في بداية عام 1929، بالإضافة إلى تصاعد الاشتراكية القومية في أوروبا والصراعات الاجتماعية .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

هذا العالم يعيد بناء نفسه، بتحالفات جديدة تنشأ دائما في مصلحة هؤلاء وأولئك، ودائما في مصلحة الأقوياء، ولكن أين الجزائر من كل هذا ؟ سؤال من بين الكثير من الأسئلة التي كان يطرحها بدون شك العديد من الشباب الجزائري في سن « عباس » .

الاحتجاجات بالوسائل السلمية والنزيهة للمطالبة بالمساواة في الحقوق لم تعد تجدي نفعاً ؛ بسبب استمرار قانون « الأندجينا » التعسفي . ومن جهة أخرى، الانتفاضات الدورية، التي كانت في بعض الأحيان عنيفة، لم تؤد إلى نتائج دائمة وملموسة، بل بالعكس لاقت تجاهلا تاما من قبل السلطات الاستعمارية التي انتهجت سياسة تعنتية لخدمة مصالح المستوطنين .

الجمعيات الدينية كانت تنشط من أجل حماية الهوية الإسلامية الجزائرية، والسعي أيضا للمطالبة ببعض الحقوق الأساسية، مثل التعليم والعمل والتعليم اللغة العربية، إلا أن هذه المطالب لم تلق صدى وبقيت حبيسة أدراج الإدارة الاستعمارية في الجزائر آنذاك . وفي فرنسا تم تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا Etoile Nord Africaine الذي طالب ولأول مرة باستقلال الجزائر. تحول هذا الحزب إلى حزب الشعب الجزائري PPA، بعد المضايقات التي لاقاها، ثم أصبح فيما بعد حركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD .

كانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الخزان الذي انبثقت منه المجموعة التي أشعلت فتيل ثورة 1 نوفمبر 1954 .

وبالعودة إلى « عباس »، فقد تم طرده من المدرسة بسبب حادث وقع له مع أستاذه، كما جاء في مذكرة منصور بوحوية « صورة لعباس لغرور » للحصول على ليسانس بمعهد الإعلام، جامعة الجزائر، سنة 2006 .

الوسط العائلي والاجتماعي والمطالب الوطنية

في أحد الأيام، كان أستاذه يلعب التنس في الملعب الذي تحدثنا عنه آنفاً، الواقع على بعد عشرات الأمتار من منزل العائلة حيث كان يعيش « عباس »، وهنا طلب الأستاذ من « عباس » أن يلتقط الكرات إلا أن هذا الأخير رفض ذلك فاندلعت مشادة كلامية بينهما، وانتقاماً من « عباس » أطلعه المعلم بأنه لم يعد باستطاعته الدخول إلى المدرسة إلا إذا اعتذر بحضور والده معه، لكن « عباس » طلب من والده عدم الذهاب إلى هناك لأنه لا يريد الاعتذار للمعلم، لأنه لا يرى سبباً لذلك. بالنسبة له الاعتذار للمعلم شكل من أشكال الرضوخ للظالم، وكان ذلك بالفعل شكلاً من أشكال التمرد. يجب أن نشير إلى أنه كان هناك بالفعل متمردون ضد المستعمر من أقربائنا أمثال « موحد اوشتة لغرور » الذي شارك في انتفاضة عام 1916 في جبال الأوراس، حيث هوجمت عدة أماكن في منطقة خنشلة، ومازالت المغارة الواقعة على قمة جبل « جحفة » غير بعيد عن « مغارة الكاهنة » تحمل اسمه إلى يومنا هذا « مغارة موحد اوشتة »، وكانت بمثابة مأوى. كما أن هناك قريباً آخر اسمه « عبد الحفيظ » تم نفيه إلى « كيان » خلال الأربعينات (1940) نظراً لرفضه الخدمة العسكرية، ومنذ ذلك الحين لم نسمع عنه أي خبر.

الذاكرة الجماعية للأوراس على وجه الخصوص، كانت غنية بسير أولئك الذين يكونون بـ « متمردى الشرف » والذين أصبحوا فيما بعد المقاتلين الأوائل في صفوف الثورة الجزائرية، بما قدموه من معارف وخبرات ميدانية.

نشأ « عباس » وترعرع في جو من التمرد، كان يرفض كل أنواع الظلم والتسلط المستمر من طرف النظام الاستعماري، مما دفعه لأن يكون شديد الحساسية تجاه أي شكل من أشكال الظلم، حتى على المستوى العائلي، فعلى

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

سبيل المثال موقفه المؤيد لإحدى شقيقاته التي رفضت الزواج من ابن عمها، وهذا أمر كان نادر الحدوث في ذلك الوقت، علما أن والده كان رجلا مساندا للمرأة، وكان بالنسبة لزوجات أبنائه أبا وصديقا حسب رواياتهن .

« عباس » كان مدركا لظلم الاستعمار منذ حداثة سنه، ويمكن القول أن الثورات المستمرة في « الأوراس »، أهمها تلك التي حدثت عام 1871، و 1916، وأخيرا أحداث 8 ماي 1945، كانت بداية نهاية الهيمنة الفرنسية، بالإضافة إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية والتجنيد الإجباري لعشرات الآلاف من الشبان الجزائريين من بينهم أفراد من أسرته، لإنقاذ « الوطن الأم فرنسا » من الخطر، كلها أمور نمت بداخله وبداخل شباب جيله ذلك الشعور بالتمرد ضد هذا النظام المهيمن .

كما أن كلمة « تحرير » المستخدمة في ذلك الوقت من قبل الصحافة والإذاعة الفرنسية بعد الانتصار على الألمان وتحرير « باريس »، أدت إلى تفتح عقله وشحذ ضميره مثله مثل أبناء جيله الذين كانوا يعانون بسبب الواقع المرير المعاش آنذاك . كلمة « تحرير » تذكره هو وجيله بكلمة الحرية التي لطالما اطلعوا عليها في مقاعد الدراسة في القسم، حيث كان شعار الدولة الفرنسية « حرية، مساواة، أخوة » معلقا . كلمة تحرير أصبح يطالب بها من أجله ومن أجل كل الذين عانوا من ويلات الاستعمار، ذلك ما عبر عنه آلاف المتظاهرين في انتفاضة ماي 1945 في « قالمة » و « سطيف » و « خراطة » التي كانت بمثابة متنفس للتعبير عن ترددهم ورفضهم للاستعمار . شارك « عباس » حسب « سالم بوبكر » برفقة مجموعة من المناضلين منهم : « عثمان تيجاني »، « مرير لحسن »، « كشرود علي »، « بن عباس غزالي » و « غرياني علي » في مظاهرة نظمت في مدينة خنشلة، أين تم رفع العلم

الوسط العائلي والاجتماعي والمطالب الوطنية

الجزائري لأول مرة من طرف « تيجاني عثمانى » الذي مرره إلى « عباس » ومنه إلى « مرير » ثم إلى « كشرود » ف« بن عباس غزالي »... خوفا من أن يقع في أيدي الشرطة الفرنسية . هؤلاء الذين استشهدوا جميعا في ميدان الشرف، هم من شكلوا النواة التي أشعلت فتيل ثورة أول نوفمبر في هذه المنطقة، ثم نشروها في كامل الشرق وجنوب الشرق الجزائري. وحسب المؤرخة « وناسة سياري تنقور » في كتابها « تاريخ الجزائر المعاصر » منشورات GRASC-2010، فإن : « منظم المظاهرة هو إبراهيم حشاني بمساعدة محمد بالمكي » وهكذا فقد تم توقيف كل أعضاء أحباب البيان من أجل الحرية AML والمتعاطفين معها وهم : إبراهيم حشاني، طيار علي، محمد جيلالي، ماضوي إبراهيم، بوقفة علي، طايبي ميلود، بوعطيل الصديق، بوعامر قدور، حشاني لخضر، حيمر حفة .

المؤكد أنه حتى وإن لم يكن عباس من منظمي هذه المظاهرة، فإنه كان مشاركا فيها. لعل هذا الحدث هو أول مساهمة مباشرة له في الميدان .

هل تعرّف عباس على بن بولعيد في منتصف الأربعينات ؟ خصوصا وأن بن بولعيد أدى جزءا من الخدمة العسكرية في خنشلة، حسب مجلة HISTORIA رقم 195 لعام 1970 . هذا غير مستبعد نظرا للعلاقة والثقة اللتين ربطتهما .

• خنشلة

« خنشلة »، أو كما كانت تعرف في ظل الحكم الروماني « Mascula »، مدينة تحتل موقعا استراتيجيا هاما، تقع على الطريق الرئيسي الرابط بين أكبر المدن الرومانية. ومن الجانب الاقتصادي، اعتبرت سهول « الرميلة » التي كانت تحيط بها و« بغاي »، مخزن القمح بالنسبة لـ « روما »، وبعد سقوط

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

هذه الأخيرة اختفت معالم هذه المدينة ولم يبق منها سوى مجموعة من المنازل تطل على هذه الهضبة، سميت بـ « عين خنشلة » .

يعود وجود هذه المدينة إلى العصر الأمازيغي، لأن كلمة « خنشلة » كما ترد في الروايات الشفهية ليست إلا إحدى أخوات الكاهنة، هذه الملكة الشاوية التي لم تبد مقاومة مستميتة أمام الغزوات العربية فحسب، بل هزمتها أيضا، وفي المرحلة الثانية من الفتوحات الإسلامية استسلمت، ونتيجة استسلامها تم غزو كل بلاد المغرب وإسبانيا وذلك بفضل 4000 فارس أمازيغي حسب الروايات العربية .

في العهد الروماني كانت تُعرف باسم : « Mascula »، أما الروايات الشفهية فترجح أن تعود هذه التسمية (أي خنشلة) إلى إحدى أخوات الكاهنة. لكن باعتقادنا ومن خلال التحليل اللغوي للفظ Mascula، وبالرجوع إلى بعض الأسماء مثل الملك Massinissa، أو بعض الممالك مثل : les Massyles، les Massissyles، أو أسماء بعض مدن المنطقة مثل : Maskana، نلاحظ أن كل هذه الأسماء مشتركة في الحروف الثلاثة الأولى التي تعني « ابن » بالعربية و « ماس » أو « ميس » بالأمازيغية، وبالتالي يمكن أن نستنتج أن اسم « ماسكولا » أمازيغي . نشأت مدينة صغيرة على أنقاض « Mascula »، وتم بناء برج على تلالها عام 1870، بعد احتلالها من قبل الجيش الاستعماري .

تقع « خنشلة » على سفح جبال الأوراس-النمامشة فهي همزة وصل تربط بين جبال الأوراس وجبال النمامشة، وتقع على ارتفاع 1300 متر. أصبحت بلدية مختلطة في سنة 1912، وبعد الاستقلال وأثناء التقسيم الإداري في سنة 1984 أصبحت ولاية .

على الرغم من عزلتها بسبب موقعها الجغرافي - على عكس ما كانت عليه في العصر الروماني - إلا أنها كانت خلال الثلاثينات مدينة نشطة جدا على المستويين الثقافي والسياسي، فكل الأحزاب السياسية آنذاك كانت حاضرة بقوة، أسست حركة سياسية هامة جدا في المنطقة من بينها - حسب شهادات السيدين « سالم بوبكر » و « مراد عبد الله »، وهما شخصيتان بارزتان في الحركة الوطنية في خنشلة - : جمعية العلماء المسلمين، الحزب الشيوعي الجزائري UDMA، PCA (لفرحات عباس) و AML. وكان لكل تيار سياسي توجهاته واختياراته، كما كان لكل واحد منها حيزه الخاص ومكان للتجمع واللقاء، فمثلا مقهى يرتاده الشيوعيون، وآخر يرتاده MTLD وهو مقهى الأندلس، وآخر للعلماء، وهو مقهى النادي، وأخيرا ذلك الذي يرتاده النشطاء المتعاطفون مع UDMA حيث كانت تعقد اللقاءات والمناقشات بشكل دائم في هذه الأماكن. وهو ما تؤكد المؤرخة « وناسة سياري تنقور » في كتابها « تاريخ الجزائر المعاصر - موضوعات جديدة » منشورات CRASC-2001، حيث تكتب فيما يخص منطقة الأوراس - النمامشة : « بدون شك فإنه في سياق الحرب العالمية الثانية ومناهضة الاستعمار الأمريكي وصدى أحداث الشرق الأوسط أدت إلى خلق وظهور روح المقاومة ؛ وهو ما أدى إلى ظهور غليان غير مسبوق في وسط النوادي الثقافية والأوساط السياسية ومجموعات الكشافة والجمعيات الرياضية كنوادي خنشلة، وباتنة، ويسكرة، وعين البيضاء، وتبسة، التي أصبحت أماكن مؤانسة مفتوحة خصوصا على الشباب الذي يستفسر، ويعلق كثيرا على جريدة *Egalité* والجرائد السرية لحزب الشعب الجزائري : *L'action algérienne, L'Algérie libre* والذي أثبت

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

مواظبة وحضورا مميزا وتقبلا كبيرا لمحتوى المحاضرات حتى أصبح يدعمها بالدعاية لها... » .

حسب سالم بوبكر، في بداية الخمسينات كان الحزب الشيوعي الجزائري ممثلا من طرف إبراهيم قنديل، UDMA ممثلا من طرف ماضوي، أما جمعية العلماء فيمثلها شرفي، وحزب الشعب ثم الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية ممثلة بحشاني إبراهيم ثم مراد عبدالله، يليهما عباس لغرور.

الفصل الثاني على درب الحرية

بدل الصراخ ضد الظلام، من الأفضل أن تشعل فتيلة صغيرا

مثل صيني

كان الأوراس دائما معقلا لما يسمى « بتمردى الشرف »، وهم كثيرون. أذكر هنا بعض الأسماء التي كانت الدعم القوي لثورة نوفمبر، منهم : شبشوب الصادق، برحائل حسين، معاش مسعود، عايسى مكى، أحمد قادة (مازال على قيد الحياة)، قرين بلقاسم وكثيرين ممن تمردوا ضد الظلم والاستبداد منذ بداية القرن الماضي، استشهد معظمهم في مواجهات ضد القوات الفرنسية. تمكن بن بولعيد ومسعود بلعقون وعجول من تطهيرهم سياسيا بالإضافة إلى تأثرهم بأعضاء المنظمة السرية. ففي هذا الوسط وجد مناضلو المنظمة السرية (OS) الفارون والمطلوبون من طرف السلطات الاستعمارية الملجأ والسند. نذكر منهم : زيغود يوسف، ورايح بطاط، وبن طوبال، وبن عودة، كلهم أصبحوا من كبار قادة الثورة. كما كان للجوء هؤلاء الوطنيين تأثير على سكان المنطقة. يقول المجاهد عمار بن عودة من مجموعة أعضاء المنظمة الخاصة : « أعتقد أن طبيعة الأوراس تفرض على الشخص أن يتحلى بالوطنية ؛ لأن وعورة الجبال وقساوة الطبيعة يحتمان على الفرد أن يدافع ويموت من أجل وطنه، والشيء المهم أننا تعلمنا الصبر والكفاح، وتعلمنا معنى المقاومة

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

والصدق والإخلاص، وجودنا بالأوراس كان لنا بمثابة مدرسة حقيقية لعدة أمور وجدناها وساعدتنا خلال الثورة، فالصبر تعلمناه في الأوراس. صحيح أننا جئنا من مدرسة تكوّن الرجال، كنا رجالا حقيقة، وكنا هاربين من السجن الذي لم يهرب منه أي أحد، وهو ما يؤكد أنه لدينا الشجاعة، لكن في الأوراس تعلمنا الكثير». (الشروق اليومي 1 نوفمبر 2015).

أذكر أن الأوراس-الناماشة كان مهذا للحركة الوطنية بكل أبعادها وخصوصا للمناضلين المناهضين للاستعمار، فمثلا تذكر المؤرخة « وناسة سياري تنقور » في كتابها السابق الذكر: « عند فتح فرع لحركة AML 'أصدقاء البيان والحرية'، لاقت تجاوبا كبيرا ليس فقط في أواسط مدن الأوراس، بل تجاوزتها إلى سكان البوادي أو الدواوير المجاورة. وصل تعداد المنخرطين في خنشلة وضواحيها إلى 2133 منخرطا، بينما تعلن الإدارة الاستعمارية أن لمدينة خنشلة 18000 منخرط⁴». وناسة سياري تنقور تعتبر أن العدد الأخير مبالغ فيه من طرف الإدارة الفرنسية مقارنة بالقائمة السابقة الذكر، أما سالم بوبكر فيذكر في شهادته عدد 3000 منخرط في حركة « أحباب البيان والحرية ». مهما كان العدد فهو يدل على الوعي السياسي والروح الوطنية والثورية السائدة في ذلك الوقت.

• « فرنسا ضاعت منها الجزائر في ذلك الصيف »

مما يؤكد أن الأوراس-الناماشة كانت منبع الثورة ومشتلة الثوريين، هذه العملية الرهيبة للقضاء على الخارجين عن القانون أو المتمردين (كما تسميهم فرنسا)، فقد قامت السلطات الفرنسية بعملية تمشيط ضخمة لم يسبق لها

4. وناسة تنقور *ibid*.

على درب الحرية

مثيل، سميت بعملية « الإبرة » مما يعني أن البحث سيكون دقيقا كالبحث عن إبرة.

ففي بداية سنة 1952 قامت السلطات الاستعمارية بعملية عسكرية من أجل « تطهير » المنطقة، ورغم كل ما جندته من وسائل قمع إلا أنها لم تتمكن من إخضاع المنطقة ولا القضاء على ما تسميه « الخارجين عن القانون » أو « متمردي الشرف ».

بعد أن أعطى تفاصيل عن العملية العسكرية Aiguille التي انطلقت سنة 1952، يذكر « جان موريزو » الذي كان مساعدا للمسؤول الإداري لمدينة « أريس » بالأوراس (1942-1945) في كتابه بالفشل الذريع الذي آلت إليه هذه العملية، فيكتب : « أثناء صيف 1952، جند الجيش الفرنسي في الأوراس قوات عسكرية ضخمة، ومحتمل أن يكون قد جند كل ما يملك من وسائل. وفعلا كانت النتيجة فشلا تاما. فشل كان باستطاعتنا أن نستنتج منه دروسا، لكن من الغريب ومن الواضح أنه لا أحد يتذكر هذا بعد سنتين من هذه العملية، حتى المؤرخون لا يتحدثون عنها. Jean Vaujour (مسؤول مصالح الأمن في الجزائر الذي استلم مهامه سنة 1953) كأنه لم يسمع بتاتا بهذه العملية. Delplanque رئيس دائرة « باتنة » الذي وصل بعد شهرين مثله يجهل العملية. أكيد أن فشل هذه العملية العسكرية « Aiguille » كان يوحى بفشل نوفمبر 1954. وأكد أجزم أن فرنسا ضاعت منها الجزائر في ذلك الصيف»⁵.

Serge Bromberger المعروف بكتابه *Les rebelles algériens* الصادر في سنة 1958، وفي الصفحة 23 يكتب : « الذي كان يحصل في الأوراس أثناء

5. Jean Morizot, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الأشهر التي سبقت عمليات أول نوفمبر 1954 كان ولمدة طويلة غير واضح، ويظهر الآن وبكل وضوح أنه كان منذ سنة 1951. حقيقتان كانتا تسيطران على مرتفعات هذه الجبال : من جهة كان هناك تنظيم سياسي ووطني عميق ومدّاهش بالنظر إلى الوضع المتخلف أو البدائي لهذه المنطقة، لكن وبالرغم من اتجاهه الوحدوي لم يتمكن من السيطرة على الصراعات القبلية المؤلمة. من جهة أخرى التمرد المعتاد في هذه المنطقة ذو أسلوب يقارب الأسلوب الموجود بجزيرة 'كرسيكا' والذي ارتبط به الوطنيون المحليون احتمالاً لمقاومة مسلحة» .

• تأثير الوسط الاجتماعي

كانت سنوات العشرينات والثلاثينات بمثابة انطلاقة للعديد من الأحزاب للمطالبة بالاستقلال الوطني، البعض من هذه الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية اكتفوا بالمطالبة بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين.

إنها الفترة التي ساد فيها قانون « الأهالي » (أي السكان الأصليين)، يجب التذكير بأنه في ذلك الوقت وكذلك طوال الفترة الاستعمارية كان الجزائريون يعيشون في فقر مدقع وبؤس دائم وتهميش لا مثيل له، وكما كان ينص عليه هذا القانون غير العادل أو التعسفي، فإن الجزائريين اعتبروا أو صنّفوا ودوماً على أنهم « مواطنون من الدرجة الأخيرة »، فقد صودرت أراضيهم واحتكرت من طرف المعمرين، وكانت المجاعة والأمراض أعباءً يومية ومعاناة سائدة عند أغلبيتهم. وكانت منطقة الأوراس-الناماشة إحدى المناطق الأكثر فقراً في الجزائر، تنعدم فيها المدارس والطرق والصناعة، ولا وجود لأي مؤسسات للتنمية، فمن ناحية التعليم مثلاً يكتب المؤرخ

« عبد الحميد زوزو » في كتابه « الأوراس – التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي أثناء فترة فرنسا الاستعمارية » : « تعتبر خنشلة أكثر حظا من المدن الأخرى في الأوراس-الناممشة، فمدرسة خنشلة يمكن القول أنها كانت الأكثر ارتيادا بالعرب (يقصد الجزائريين) سنة 1884، إذ نجد في قسم إضافي للمدرسة الفرنسية بوسط المدينة أين يدرس محمد بلفقون، 26 تلميذا. نجد حتى في مدرسة الحضانة بنات من خنشلة، كانت هذه المدرسة مسيرة من طرف الأخوات المسيحيات، 4 تلميذات بجانب 50 تلميذة أوروبية و 25 يهودية »⁶.

لم يعط المؤرخ رقما عن عدد سكان المدينة بمختلف أديانها، وباستطاعتنا إعطاء تقدير عشوائي. لم يكن بالتأكيد في المدينة أكثر من عشر عائلات يهودية وليس أكثر من 25 عائلة أوروبية وعلى الأقل 3000 عائلة جزائرية، (سنة 1912 كان عدد سكان خنشلة 12000 حسب إحصاء رسمي). وبحساب بسيط نجد أن هناك بنتان متمدرستان في عائلة واحدة أوروبية، وبالمثل بالنسبة للعائلة اليهودية، وبنت واحدة متمدرسة بالنسبة لـ 800 عائلة خنشلية، وهذا باعتبار أن خنشلة هي أحسن مدينة يتمدرس بها الجزائريون بالنسبة لمنطقة الأوراس .

مثل هذا الوضع خلق بطبيعة الحال سلسلة من الانتفاضات المتتالية، ولم يقتصر الأمر على منطقة الأوراس-الناممشة فحسب، بل شمل كل التراب الوطني، حيث انتشرت معاقل المتمردين الذين ما فتئوا يفجرون الثورات والانتفاضات في كل أنحاء الوطن أهمها انتفاضة 8 ماي 1945 التي سبقتها أحد أهم الانتفاضات في منطقة الأوراس-الناممشة في عام 1916، والتي كان لها الأثر الكبير على الأجيال اللاحقة كلها، و بالخصوص سكان المناطق التي كانت مسرحا للأحداث السابقة الذكر.

6. Abdelhamid Zouzou, *ibid.*, p. 728.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

إن أعمال هؤلاء « المتمردين » والقمع الاستعماري لهم أصبحت جزءاً من الذاكرة الشعبية ؛ فلقد انتقلت عبر الأجيال على شكل حكايات أو قصص تحكيها الأسر للأطفال الصغار، روايات تناولت بطولات وأعمال هؤلاء الثوار « متمردى الشرف » في بداية القرن الماضي، أمثال « بن زلماط » والعديد من الذين سبق ذكرهم. لقد نُسجت العديد من القصص عن شجاعة وشهامة هؤلاء الثوار إلى درجة أن تحول بعضهم إلى أبطال خرافيين، وتحولت أعمالهم ومغامراتهم إلى أساطير تغنت بها النساء في كل بيوت الشاوية (أمازيغ الأوراس) افتخارا بمآثرهم المجيدة واعتزازا بصمودهم الطويل أمام الاستعمار، فأنشدت نساء الأوراس ما معناه :

في جبال زلاطو يذلل حبيبي أعداءه
في يده اليمنى سلاح من نوع 86 معبأ
في حزامه بندقية دبوس
في الجهة اليسرى جراب مملوء بالذخيرة
كم هو شجاع حبيبي مسعود بن زلماط
متنعل حذاءً حديدياً
في الليل وفي النهار كل البلاد له
من ملاقوا إلى احمر خدو
إنه الأسد في ميدانه
جسمه صلب وقوي
قلبه مليء بالطيابة
حسن المعاملة في كل حركاته
يشكره الفقراء

على درب الحرية

يأخذ من عند الأغنياء ذوي القلوب الجافة
ليطعم المساكين دائمي الاحتياج
لا تخف يا سعادتني
لا تخف من أعدائك فالله يثبت أقدامك
كن مؤمنا بالله الذي يراقبك من السماء
نم يا حبيبي نم إلى الأبد سأضع دلوا على قلبي
دلوا من الدموع المرة
وداعا يا سعادة وداعا يا سحر

ومثلهن تغنى هذا المغني الذي ذاع صيته في سنوات الأربعينيات « عيسى
الجرموني » (أول جزائري اعتلى خشبة الأوبرا) ببطولات « بن زلماط » في
الأوراس وفي الجزائر كلها، وهذه بعض المقتطفات من إحدى أغانيه الشهيرة :

هيا نسير هيا نسير
فالطريق بعيدة بين منعة وشير
ذلك هو مسعود بن زلماط
اجتاز الطريق نحو السفح الآخر
بيندقيته ذات المسمار وبلغة في رجليه
هيا نسير فالطريق طويلة بين منعة وشير
لقد لبس مسعود بن زلماط حذاءه الحديدي
وربط ظهره بحزام من الصوف
هاهو قد وصل إلى إسطنبول الماعز
أمي العزيزة لقد اغتالني الخوف
إنه يحمل حزاما من الخراطيش ومقنع الوجه

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

مسعود قنّاص ماهر خرطوش واحد يكفيه
مسعود بن زلماط معروف من منحدر إلى آخر
أين « بقّة » أين « دحا » ؟
لقد ضحوا بحياتهم متمردين
أين أنتم أيها الخيالة المارون
آتوالي بأخبار حبيبي الجميل الذي لا يزال « متمردا » .

إذن في هذا الجو من التوتر والغليان المتصاعد والاحتجاجات المتتالية على المستوى العالمي وعلى الصعيد الوطني أيضا، نشأ « عباس »، وبالرغم من أنه كان يعيش في أعماق جبال الأوراس-النمامشة بعيدا عن الدوائر السياسية ومختلف التفاعلات التي كانت حكرًا على المدن الكبرى، إلا أن فطنته وفضوله منذ حداثة سنه، وطبعه الذي كان يدفعه دائما إلى الاستماع للناس، كان يشبع حاجته الدائمة للمعرفة عن طريق الاستماع إلى الراديو والذهاب إلى السينما، وقراءة كل ما تقع عليه عيناه، كل هذا مكنه من تشكيل رؤية واضحة إلى حد ما عن واقع الاستعمار في الجزائر وعن الوضع السائد في العالم آنذاك. رؤيته للأحداث، وحسه الوطني تعدى الحدود الإقليمية وحتى الوطنية.

لقد كان منزلنا في الدوار نقطة عبور وتوقف الحجاج القادمين سيرا على الأقدام من المغرب ومن مناطق أخرى من الجزائر، والقاصدين مكة أو العائدين منها، وحتى بعض المتطوعين للجهاد في فلسطين سنة 1948، كل هؤلاء الذين كانوا ينقلون أخبارا مختلفة عن أحداث الحرب في المشرق. كان الوالد يعرف شغف « عباس » وحبّه لمعرفة جديد الأخبار في العالم، لذلك كان يدعو دائما للاستماع لآخر المستجدات التي يأتي بها الحجاج من هنا وهناك، وهكذا أصبح ملما بما كان يحدث في تلك الحقبة من الزمن.

على درب الحرية

بعض الأقارب الذين عادوا من جبهة القتال بعد الحرب العالمية الثانية، نقلوا له معاناتهم والظروف القاسية التي عاشها المجندون جبرا في هذه الحرب، كيف مات الكثير منهم أثناء القتال لكي تنتصر فرنسا على الألمان. هذا الزخم من الأحداث والعلاقات كوّن لديه رؤية عامة للأوضاع تتعدى البعد الوطني، وزاد وعيه وأيقظ في نفسه شعورا بالمظالم التي كانت تعاني منها الشعوب المقهورة والمستضعفة.

والده الذي كان مدركا لأهمية التعليم، مقتنع بأنها الوسيلة الوحيدة التي يمكنها أن توفر « مكانا في الظل »، كما كان يقال في ذلك الوقت (أي عمل داخل مكتب)، لذلك تراه شديد الحرص على دفع « عباس » في هذا الاتجاه ولأقصى الحدود، ولكن مثل العديد من الجزائريين في ذلك الوقت، لم يستطع « عباس » الذهاب أبعد من حدود شهادة التعليم الابتدائي، وهذا في حد ذاته كان إنجازا مهما آنذاك.

أذكر أنه لم يكن لـ « عباس » ميل للعمل في الفلاحة، ولهذا لم يكن يحل محل شقيقه « مصباح » الذي كان على عكسه يحب زراعة الأرض وتربية المواشي، وقد كان لوفاة هذا الأخير تأثير عميق على « عباس »، الذي شهد في مراهقته على الجهود والتضحيات التي بذلها والده في محاولة إنقاذه، فكما ذكرت آنفا كيف أن والده لم يتوان عن بيع نصف منزله في المدينة ليغطي مصاريف علاج « مصباح » بباتنة وبسكرة وقسنطينة، ولكن دون جدوى.

فيما يخص وضع « عباس » بالنسبة للخدمة العسكرية، تجدر الإشارة هنا إلى أنه تم تأجيل التحاقه بها بسبب انتفاضة 1945، التي أثرت كثيرا في شباب ذلك الوقت؛ فقد أجلت فرنسا الخدمة العسكرية لعدد من الشباب خصوصا ذوي النزعة الوطنية.

• الحياة المهنية وبداية النضال

عندما قرر « عباس » أن يخوض الحياة المهنية، نجح في الحصول على منصب عمل عند حاكم « البلدية المختلطة » في مدينته، أولاً بصفة « حاجب » عند الحاكم، فكانت مهمته توزيع البريد واستقبال الزوار القادمين لمقابلة حاكم المدينة، إلخ، ثم عمل كطباخ لدى نفس الحاكم، وقد سمح له وضعه هذا بأن يشاهد عن كثب ومن الداخل حقيقة النظام السائد في هذه البلدية المختلطة، وأن يدرك مدى الظلم واللامساواة في المعاملة ومستوى المعيشة بين الجزائريين والأوروبيين.

كما اغتنم الفرصة للاطلاع أكثر على الأحداث من خلال قراءته للصحف التي كان يتلقاها « حاكم البلدية » بانتظام. وعند مغادرته للعمل، غالباً ما يمر عباس على بيت صديقه عثمان التيجاني، كما يروي فاتح عثمان أخ الشهيد التيجاني: « عندما يدق باب المنزل وأفتح الباب كنت ألاحظ في كل مرة أنه يحمل جريدة تحت إبطه وخبزة في يده ».

وحسب ما نقل عن « سالم بوبكر »، « عباس » شخص يصعب التعامل معه، فلم يكن يقبل إلا بصعوبة أن يخدم في مآدب العشاء التي كان يحضرها كبار الموظفين والضباط الذين يزورون خنشلة قادمين من الجزائر أو من قسنطينة.

عمل « عباس » مع ابن عمته « علي » رئيس الطهاة في « البلدية المختلطة » بخنشلة، وكان هذا الأخير مولعاً بالثقافة الفرنسية – وخصوصاً بالطبخ – إلى درجة أنه كان يعلق العلم الفرنسي فوق باب منزله في المناسبات والأعياد الوطنية الفرنسية. لقد أخبرني في حديث مطول معه، بأن هذا العلم الذي أهده له ضابط سامي فرنسي نظراً لمهارته في الطبخ، غالباً ما كان يختفي، فكان يقوم بتعليق علم آخر (وفاءً منه للضابط) ويشتكى أمره إلى

على درب الحرية

« عباس » الذي يجيبه بأنه ما من فائدة في تعليقه لأنه ليس علم الجزائر، فيضحك ابن عمته « علي » ويقول : « أنت تمزح معي ! العلم الجزائري ؟ أنت تحلم ! ». وأكد لي أنه اكتشف فيما بعد أن « عباس » هو الذي كان ينزع العلم الفرنسي، وأضاف : « وقد أثارت هذه الحركة في نفسي الحلم بأن أعلق يوماً ما العلم الجزائري أمام بيتي . وقد تحقق ذلك » .

كان « عباس » يناضل بكل الوسائل وعلى مستوى كل الجبهات، فقد كان يطلب من الناس أن لا يقتنوا حاجاتهم من التجار الأوروبيين، وأن لا يترددوا على المقاهي الخاصة بهؤلاء أيضاً، حسب ما ورد عن « بن عبيد » الذي كان صيدليا في خنشلة. كما يروي المناضلان سالم بوبكر وبن زيدان رمضان أن مناضلي خنشلة كانوا يوصون الناس في الأعراس بأن ينشدوا الأغاني الوطنية الثورية قبل أي نوع من أنواع الغناء. إنها أمور بسيطة للتحسيس ورفع مستوى الوعي، ولكنها لها قيمتها الرمزية وثقلها الكبير لنشر الأفكار المعادية للاستعمار.

كان « عباس » يظهر الكثير من الاهتمام بكل النشاطات السياسية والاجتماعية في المدينة، حيث كان يرتاد نشاطات ولقاءات حزب الشعب الجزائري PPA وجمعية العلماء (الجمعية الإصلاحية التي كانت تنشط لحماية الإسلام واللغة العربية وبعض الحقوق المدنية والدفاع عنها). وكذا لقاءات الناشط السياسي الدكتور « بن جلول »، وتجمعات الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA الذي يتزعمه فرحات عباس. وقد وجد في مطالب حزب الشعب ما يناسب مستوى تطلعاته ونظراته للكفاح ضد الظلم والاحتلال.

كان رجل ميدان، يقول دائما أنه يمكننا بالتأكيد أن نكتسب الأفكار ولكن الأهم هو أن نجسدها على أرض الواقع لأنه في حال العكس فإن هذا

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يعني البقاء تحت السيطرة. كان يقول باللغة الشاوية « أغرزول يتباحن اور يذرمش » أي الكلب الكثير النباح لا يعرض. (مقابلة مع عبد الله مراد عام 1983).

في خنشلة، وحسب شهادة « سالم بوبكر » فإن الأحزاب السياسية كانت ممثلة كالتالي : PCA كان ممثلاً من قبل « إبراهيم قنديل »، وUDMA كان ممثلاً من طرف « ماضوي » أما جمعية العلماء فيمثلهم شرفي، وPPA-MTLD من طرف « حشاني إبراهيم » و « مراد عبد الله » ثم « لغرور عباس ».

انضم عباس إلى حزب الشعب الجزائري PPA في عام 1944، رفقة « مرير لحسن »، « بن عباس غزالي »، « كشرود علي »، « عثمان تيجاني »، « غرياني علي »، والعديد من المناضلين الآخرين.

حسب المؤرخين الفرنسيين وكذا شهادة « سالم بوبكر » ارتفع عدد المنخرطين في MTLD في الأوراس-الناماشة عموماً وفي خنشلة خصوصاً بسرعة كبيرة. مع أن « مصالي الحاج » لم يزر الأوراس أبداً.

بعد حزب نجم شمال إفريقيا، قام مصالي بتأسيس حزب الشعب الجزائري عام 1937، ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ولقيت هذه الحركة استجابة كبيرة في منطقة الأوراس، حيث تجسد ذلك في فوز « مصطفى بن بولعيد » في انتخابات عام 1948 تحت لواء هذه الحركة MTLD في الجولة الأولى على نظيره المدعوم من طرف الإدارة الفرنسية، الأمر الذي فاجأ الإدارة الاستعمارية التي استنكرته وقامت بالطعن في نزاهة الانتخابات لإلغائها.

كان « عباس » أقرب إلى تلك الأفكار التي تطرح في الاجتماعات السرية لحزب الشعب الجزائري، حيث كان يستمع بكل انتباه للمناقشات التي كانت تدور بين أعضاء هذا الحزب والأحزاب السياسية الأخرى، وقبل أن ينظم لهذا

على درب الحرية

الحزب كان نادرا ما يغيب عن الاجتماعات التي كانت تعقدتها هذه الأحزاب، الشيء الذي شد انتباهه ناشطي حزب الشعب PPA-MTLD إليه، إضافة إلى أخلاقه وجدبته وعزمه وحبه للعمل وتحليله للأمور وديناميكيته (حسب شهادة عبد الله مراد)، كل تلك الأمور دفعت بهم إلى الاتصال به عن طريق أحد جيرانه الذي كان مسؤولا في هذا الحزب، وهو عبد الله مراد الذي عرضه على المسؤول الإقليمي للحزب حشاني إبراهيم، الذي كان في زيارة للمدينة. وبعد عدة مقابلات مع « عباس » عرف أنه وجد الرجل المناسب الذي كان يبحث عنه، فعرض عليه منصب مسؤول في خلية المدينة (نقل عن مقابلة مع عبد الله مراد - 1983)، ووافق « عباس » على المهمة دون تردد، كان ذلك في أواخر الأربعينات. منذ ذلك الحين بدأ ينشط على كل الجبهات وفي جميع الاتجاهات وفي العمق داخل خلية حركة MTLD والتي تحولت إلى قسمة.

كانت المهمة الأولى هي البحث في صفوف الشباب في المدينة عن فئة تحسن الكتابة والقراءة وخاصة في أوساط « الطلبة » المنخرطين في المدرسة المهنية، ونجح في هذا الأمر لأبعد الحدود، لدرجة أنه تمكن من خلق خلية « طلابية » حسب شهادة « سالم بوبكر » الذي كان أحد هؤلاء الطلاب مع وقاد خميسي وشعبان لغرور وحماد عمار، كما قام طبعاً - مع رفاقه خصوصاً عبد الله مراد - أيضاً بتحسيس وتوعية فئة التجار والعمال الصغار وبعض الفلاحين، وبالنسبة لهم فإن هؤلاء لم يكونوا بحاجة للتحسيس، بسبب الوضعية المزرية والبؤس والحرمان الذي كانوا يعانون منه، فذلك وحده كان كفيلاً بجعلهم ينتظرون أول إشارة للانتفاضة ضد الهيمنة الاستعمارية ومحاربتها.

بهذه الطريقة تمكن من إحاطة نفسه بعناصر مخلصه وواعية، ساعدته على رفع مستوى الوعي ونشره في أوساط الشعب، وجس نبضه لمعرفة الأكثر استعداداً منهم لخوض هذه الثورة.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كانت عليه أيضا مسؤولية بيع الصحف الخاصة بالحزب بكل الوسائل والطرق، وكما روى لي أحد المناضلي الأربعينات السيد « مركيش » « أنه كان آنذاك عاطلا عن العمل فاشترى له « عباس » علبة خاصة تستعمل لتلميع الأحذية وكلفه ببيع الجرائد الخاصة بالحزب للزبائن أثناء تلميع أحذيتهم، فكما روى لي كان بعضهم يقرؤونها ويحتفظون بها بعد أن يرموا إليه بقطعة نقدية، في حين يهرع آخرون هاربين بعد أن يركلوا علبة التنظيف، إما خوفا من العواقب المحتملة، أو أنهم غير متفقين مع مطالب الحركة أو هم ضدها. لقد كانت هذه وسيلة من وسائل نشر مطالب الحركة وكذلك وسيلة لمعرفة الوضع الفكري للناس آنذاك.

لقد نجح « عباس » بهذه الوسائل في أن يجمع حوله حوالي ستين رجلا من الثقات الشجعان ذوي عزيمة أهلتهم لأن يكونوا فيما بعد روادا لثورة نوفمبر.

مهمة أخرى تمثلت في تحسيس الناس بقضية الاستعمار كخطوة أولى، وهذا بإلقاء الخطابات في الحمامات الشعبية، والأسواق، في الأعراس وفي الحفلات والأعياد. كان المناضلون ينشدون الأغاني الوطنية في كل مناسبة. وهناك مستوى آخر لتحسيس المواطنين وهو إقناعهم بضرورة الانتقال إلى الفعل الثوري المسلح، وفي هذا الإطار قام « عباس » بإنشاء خلايا دعم في المدينة وحتى في مختلف الدواوير الواقعة في السهول وأعالي الجبال.

كان أحد أبناء العمومة وهو « لغرور فرحات أو عباس » مسؤولا عن حماية السجلات وحفظها، وألقي عليه القبض واعتقل في بداية الحرب التحريرية، وقام بعد الاستقلال بتقديم هذه الوثائق التي تم حفظها في قارورات مغلقة للسلطات الجزائرية عام 1964، بواسطة أحد أفراد الأسرة الذي انتقل إلى العاصمة للقاء « أحمد بن بلة » آنذاك، وسلم له الوثائق. لكن هذه الوثائق

على درب الحرية

لم يُعرف لها أي أثر إلى يومنا هذا. لا ندري هل تم تخزينها في الأرشيف الوطني أو أنها ضاعت .

في هذا الإطار، وحسب شهادة كل من « سالم بوبكر » و« بورمادة قدور » كان عباس يقوم بتحضير الشباب بسيكولوجيا لخوض غمار العمل المسلح، فكان يدفع لهم باسم الحركة ثمن تذاكر السينما لحضور أفلام ثورية، ثم بعد ذلك يعقد دورة أو جلسة لمناقشة محتوى الفيلم معهم، وكان أهم ما يتذكرونه من هذه الأفلام فيلم « يحيى زباتا » وهو فيلم عن الثائر المكسيكي Emiliano Zapata الذي نسبت له هذه المقولة التي كانت أحيانا تدور حولها المناقشات : « تريدون مسؤولين بدون أخطاء. هذا غير موجود. إن المسؤول كجميع الناس : يتغير، يستقيل، يموت... لا يوجد مسؤول غيركم. إن الشعب القوي هو القوة الوحيدة الدائمة ». هذه المناقشات كانت تدور خصوصا بعد الانفصال عن الزعيم مصالي الحاج الذي كان محبوبا عند المناضلين.

في حديث مسجل يقول عبد القادر بورمادة، وهو مناضل من مجموعة أول نوفمبر 1954 : « كنا نذهب أحيانا إلى السينما برفقة عباس الذي كنا نحترمه نحن الشباب، وزاد احترامنا له بعد حادثة شهيرة، ففي أحد الأيام كنا عائدين إلى قاعة السينما بعد استراحة العشر دقائق المعتادة، فإذا بمراقبي التذاكر يرفضان دخول عباس مدعيان أنه لم يدفع قيمة تذكرة الدخول. حاول عباس إقناعهما برفق بأنه دفع قيمة تذكرة الدخول وأن التذكرة قد تكون وقعت على الأرض داخل قاعة السينما، وترجاهما أن يسمحا له بالدخول، لكن المراقبين رفضا ومنعاه بالقوة، فتصدى لهما عباس بكل برودة وضربهما بلكمتين جعلتهما ينسحبان من أمام الباب دون رد فعل. كمجموعة شباب، انبهرنا من رد فعل

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

عباس الذي استطاع ردعهما، خصوصا أن هذين الحارسين كانا يخيفان الجميع. ازداد بقوة احترامنا وتقديرنا لعباس الذي نعتبره الأخ الأكبر » .

نشير إلى أنه - حسب شهادات المجاهد سالم بوبكر - قام بتنظيم مسيرة كبيرة عام 1952 باشتراك عدد كبير من الشباب من مدينته، تندد بالبطالة وتطالب بالشغل. الهدف منها خصوصا تقدير مدى تجاوب الشباب مع نداء صادر من مناضلين وطنيين.

آخر مهمة أوكلت إليه شهورا قبل اندلاع الثورة، هي تنظيم دورات تدريبية للعناصر التي كان يثق بها لتعليمهم كيفية استخدام الأسلحة، حدث ذلك في الغابات المحيطة بالمدينة، في دوار « امحاشة »، في « أفرنغال » وفي « عين السيلان »، التي أصبحت فيما بعد نقطة انطلاق لليلة الفاتح من نوفمبر 1954 .

تجدد الإشارة إلى أن « عباس » كان ماهرا في استخدام السلاح، كان يملك بندقية صيد اقتناها له والده وهو في سن السادسة عشر، وكلما خرج عباس إلى منزله بالدوار يلتقي بوالده الذي يهوى الصيد، فيعلمه فن الرماية.

كان أخوه « شعبان » أيضا يتردد على تلك الدورات التدريبية ؛ وقبل بضعة أشهر من اندلاع حرب التحرير، حدث يوما ما حين كان ينظف سلاحه داخل منزله بخنشلة أن خرجت رصاصة طائشة، أصابته في فخذه، فاستدعي الممرض آنذاك « سالم بوبكر » لعلاج بطريقة سرية حتى لا تُكتشف هذه الحادثة، وتم ذلك وسحبت الرصاصة من فخذه. كان على شعبان أن يواصل مزاوله نشاطه اليومي بطريقة عادية كي لا يجلب الانتباه، وكما روى سالم بوبكر : « في نفس اليوم خرج شعبان في جولة إلى البلدة كأن شيئا لم يحدث، بل شارك في تطوع مع تلاميذ وخريجي مدرسة التكوين المهني، وذلك لصناعة بيوت من الخشب لإيواء المتضررين من زلزال الأصنام (الشلف

على درب الحرية

حاليا) سنة 1954 . كان شجاعا، فقد تحمل الألم الشديد بطريقة عجيبة وغير عادية... لو اطلعت المصالح الفرنسية على هذه الحادثة لكانت كارثة، كانت ستؤدي إلى تأخر انطلاق الثورة » .

يجب أن نعرف أنّ أي نشاط أو حركة كانت تجري في سرية مطلقة، ما يؤكده مناضل الحركة الوطنية في خنشلة « بن زيدان رمضان » حيث يقول : « كل مناضل كان مراقبا سريريا من طرف أحد رفاقه، أي حدث يقع كان يعالج من طرف المناضلين في آنه بسرعة وسرية مطلقتين » .

• عباس يطرد من العمل

عندما بدأ عباس العمل كطباخ، كان عندما يصطاد بعض العصافير والطيور يسلمهم إلى زوجته لنتفها ثم إلى ابن عمته علي لطهيها وتسليمها إلى « حاكم المدينة » الذي كان وزوجته يحترمان عباس . حسب شهادة عبد القادر بورمادة فإن زوجة الحاكم كانت معجبة بعباس : « بسبب أخلاقه وتصرفاته، وأيضا لأنه كان جميلا... فعندما طرد من العمل طلبت في يوم ما من سائقها أن يمر بالسيارة أمام السوق، أين كان عباس يبيع بعض الأعشاب، فقط لتراه من بعيد... » . هذه الشهادة دعمت بشهادتين أخريين، واحدة من طرف « بالركروك عبد القادر » وهو طبيب، كان عضوا ببلدية خنشلة، وأول جزائري يعين كاتب دولة مكلفا بالشؤون الاجتماعية من طرف ديڤول سنة 1958 . يكتب المؤرخ « صادق سلام » في الموقع (oumma.com) : « المنتخب الحر الشاب (عبد القادر بالركروك) تدخل لدى Naegelen (الحاكم العام للجزائر) لصالح أحد معارفه الذي كثر عنه الحديث في بداية نوفمبر 1954، إنه مصطفى بن بولعيد الذي كان يسيّر مؤسسة نقل، والذي سحبت منه

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

الرخصة من طرف « حاكم مدينة أريس ». فكان رد Naegelen : « يجب أن يغادر الحركة الوطنية MTLD... » وبطلب من زوجة حاكم مدينة خنشلة، تدخل « بالركوك » لصالح عباس لغرور الذي سيصبح فيما بعد قائدا للولاية الأولى، والذي فقد منصب عمله كطباخ نظرا لانتمائه للحركة MTLD... كما أكد لي « كمال دغبوش » الذي كان يعمل ككاتب إداري لدى « حاكم المدينة » أن عباس رغم طرده من العمل كان يتلقى أجره لمدة شهور. وفعلا طرد عباس من العمل « رسميا نظرا لتصرف غير محتشم، لكن في الحقيقة نظرا لاكتشاف انتمائه إلى الخلية السرية لحركة MTLD... » هذا ما كتبه مصالحي الأمن الفرنسية في بطاقة الاستعلامات الخاصة بعباس لغرور (انظر الملحق).

بعد طرده من العمل أصبح يبيع بعض الأعشاب في السوق الواقعة وسط المدينة، لكن السلطات استمرت في متابعته فمنعته حتى من هذا النشاط البسيط. يروي فاتح عثمانى أخ الشهيد تيجاني هذه الواقعة التي شهدها : « كان عباس أمام سوق وسط المدينة يبيع بعض الأعشاب التي كانت موضوعة فوق قفص، وعلى حافة القفص علبة صغيرة كان فيها قليل من النقود، فإذا بشرطيين يصلان أمام عباس، ويركل أحدهما القفص بقوة فيتناثر هذا القليل من الأعشاب والنقود على الأرض. راح عباس يجمعها بهدوء دون التفوه بأية كلمة. ذهلنا من غرابة هذا المشهد : وهو هدوء عباس... » .

بعد هذه الحادثة قرر عباس فتح دكان صغير في مدخل بيته، وفي الواقع كان ذلك مجرد غطاء لنشاطه النضالي .

• التحضير للعمل المسلح

كان آنذاك كل مناضل مراقبا من طرف رفاقه، وكان كل حدث أو حركة تتم إدارتها ودراستها ومعالجتها على الفور، لذلك لم يكن هناك أي مجال

على درب الحرية

للخطأ من طرف المناضلين، وكانت الاجتماعات السرية تعقد لإعلام المناضلين بالمستجدات. في البداية تم عقد هذه الاجتماعات في منزل « عباس »، ولما اكتشف أنه مراقب، قرر تغيير مكانها في كل اجتماع من أجل سلامة الجميع، فعقدت اجتماعات في العديد من منازل المناضلين أو في الدوار، أو في إسطنبول عمار أو شباح.

لم يكن « عباس » يفوت أي مناسبة أو فرصة للتذكير بالأحداث والإنجازات الكبرى لنضال الشعب الجزائري، وهذا مقطع من خطاب ألقاه في الذكرى السنوية الخامسة لانتفاضة 08 ماي 1945: « إخواني الأعزاء، أود أولاً أن أهنئكم على نجاح عملية الأسبوع الماضي والتي تمثلت في تعليق ملصقات الحزب وكتابة الشعارات الوطنية على الجدران: حرروا المعتقلين السياسيين، تحيا الجزائر حرة » ثم ذكر بالنظام الداخلي للحزب وأهدافه: « إبطال الحكم الاستعماري واستعادة السيادة والهوية الوطنية. الاقتراع الحر والنزبه دون أي تمييز عرقي أو ديني، حول حرية الجزائر في تقرير مصيرها، وإقامة دولة جمهورية، ديمقراطية شعبية، اجتماعية مستقلة بكل مؤسساتها... وهكذا إخواني، أدعوكم لكي تكونوا حذرين وتحافظوا على سرية أعمالنا ومنظمتنا »⁷.

كان « عباس » يشعر أن لحظة الانتقال إلى العمل الثوري أصبحت وشيكة، وقد ظهر ذلك جلياً في انتفاضة 8 ماي 1945 والمذابح التي تعرض لها الشعب الجزائري.

قام « عباس » أولاً ببيع ممتلكاته الخاصة البسيطة: خزانته، الكراسي، الطاولة، السرير والسجاد، ثم استطاع أن يقنع والده ببيع بعض من الأبقار

7. Selem Boubaker, *Recits de Feu*, Présentation Mahfoud Kaddache, Alger, SNED, 1977.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

والماشية والأغنام للمشاركة في تمويل الثورة وشراء الأحذية والأسلحة والملابس، كما كان يجمع الأموال من بعض المواطنين في الدواوير، وكان أهم وأغرب هذه المبادرات هو بيع قطعة أرضية لأحد المعمرين وهو « لويس بروسى »، وبعد ما يقارب من ثمان سنوات من الحرب، تم استرداد هذه الأرض من قبل ابنه. ومن أجل هذا النشاط الكثيف لجمع الأموال أُدين في 8 مارس 1954 بدفع مبلغ 1200 فرنك... بسبب جمع الأموال في الطريق العمومي بدون تسريح ». (حسب بطاقة اسعلامات الأمن الفرنسي).

أخبر « عباس » والده أنه بحاجة للمال لأنه ينوي شراء مقهى بالعاصمة، لكن أباه لم يقتنع تماما بهذا المشروع، ورغم ذلك فإن حبه له وثقته فيه دفعاه لمساعدته دون تردد، وفي الأخير أخبره « عباس » عن حقيقة نواياه وأهدافه. فأجابه والده: « يا ابني، أعلم ما تريدونه وأشعر به منذ زمن بعيد، أنتم على حق، وأنتم فعلا رجال شجعان، ولكنكم قلة. ويجب أن تعلم أن فرنسا لديها ذراع طويلة، طويلة جدا، ماذا سأقول لك، فليكن الله معكم... » (حسب روايات الوالدة وعدد من أفراد العائلة).

كان والده يعلم أنه مراقب، فقد كلفت الإدارة الاستعمارية أربعة أشخاص من عملائها من عدة عشائر من قبيلة « انسيغة » برصد تحركاته في الدواوير، لكن هذا لم يمنعه من التحرك في المنطقة والقيام بواجبه في سرية تامة بما أتاه الله من حنكة وحكمة في التصرف. هؤلاء الأربعة المكلفون بمراقبته تلقوا عدة إنذارات من طرف المناضلين للتوقف عن هذا العمل المخزي ولكنهم استمروا في نقل أخبار نشاطات « عباس » للسلطات الاستعمارية، فحكم عليهم بالإعدام بعد اندلاع الثورة، وتم تنفيذ حكم الإعدام على اثنين منهم.

كان عباس على اتصال دائم بالقائد بن بولعيد، كما كان يناضل سريا بجانب كل من مراد عبد الله، حشاني ابراهيم، شبحاني بشير، عاجل عجول.

على درب الحرية

بالإضافة إلى نشاطاته التحسيسية للإعداد للثورة، كان أيضا مكلفا بمراقبة حركة القوات الفرنسية على الحدود التونسية، هذا ما يؤكد المناضل عيسى كشيدة في كتابه⁸ حيث يكتب : « خلال شهر أوت 1954، أبلغ باجي مختار بوضياف بأن المحاربين التونسيين اجتازوا الحدود. اجتياز الحدود ضايق بوضياف ليس من أجل رفض مساعدة المقاتلين التونسيين، وإنما خوفا من إثارة انتباه الإدارة الفرنسية... عباس لغرور أحد مساعدي مصطفى بن بولعيد الذي كان مسؤولا عن مراقبة منطقة تبسة لفت نظر بن بولعيد إلى حركة مشبوهة للقوات الفرنسية على الحدود الجزائرية التونسية ». كان عباس أيضا مكلفا بحماية المشتبه فيهم من المنظمة الخاصة (OS) التي قد يكون منتميا لها. هؤلاء المناضلون كما هو معروف وجدوا ملجأ في منطقة الأوراس-الناماشة. وكان منزل عباس قبل أن يكون مراقبا ملجأ لعبور هؤلاء المناضلين.

8. عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، الجزائر، دار الشهاب، 2010، ص 73.

الفصل الثالث القطيعة والالتزام

« كان قد طلب مني في أحد الأيام ما هو رأيي في "مصالي الحاج" ومنذ ذلك اليوم وهو يكرر بلغته ولمن يريد أن يسمعه، ما قلت له : "هاهو ما حدث (يشرح) مصالي هو أول من فتح الباب جزئيا، وأظهر للجزائريين أنه يوجد وراء هذا الباب بلد جميل أخضر" وقال لهم "ليس غدا، عليكم التحلي بالصبر" لكن الشباب الذين شاهدوا البلد الأخضر الجميل من خلال الباب المفتوح جزئيا قالوا له : "دعنا نشاهد مرة أخرى" وعندما فتح الباب جزئيا مرة ثانية دفعوا العجوز مصالي بقوة واجتازوا العتبة. كانوا يعرفون أنه في الطريق المؤدية إلى البلد الأخضر سيجدون الجنود الفرنسيين لكنهم يسخرون منهم (من الجنود) لأنهم يعلمون على أي حال إن هم لم يصلوا فقد يصل أبناءؤهم. يختم سالم كلامه : "أما بالنسبة للشيخ مصالي فقد سجنه الفرنسيون معاقبة له على أنه لعب بالقفل"⁹ ... ».

9. Noël Favrelière, *Le désert à l'aube*, Paris, de Minuit, 2000. جندي فرنسي فر من الجيش الفرنسي في منطقة الأوراس-النمامشة سنة 1956 لإنقاذ مجاهد سجين جزائري كان سيرمي به من طائرة، شارك في معارك ضد القوات الفرنسية حيث أصيب بجروح. عاش هذا الجندي الفرنسي والتقى بالمجاهد الذي أنقذه في منتصف سنوات 2000.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

نظم عباس لغرور مظاهرة كبيرة للبطالين والمعوزين للفت انتباه السلطات الاستعمارية إلى الظروف القاسية التي يعاني منها السكان. حققت هذه المظاهرة نجاحا كبيرا في الوسط الشعبي. كانت الشعارات: « نريد العمل » و« نريد أن نأكل ». أثبت نجاح هذه الاحتجاجات قدرة عباس ومجموعته على تجنيد السكان. يؤكد سالم بوبكر في شهادته: « كان هدف هذه المظاهرة في الحقيقة هو تحويل انتباه مصالح الأمن الفرنسية عن الهدف الأساسي، إلا وهو التحضير للعمل المسلح ». بعد هذه الاحتجاجات تم اعتقال عباس لغرور وسجنه وعذب تعذيبا وحشيا، وبعد إطلاق سراحه تم نقله من طرف المناضلين إلى مستشفى « باتنة » أين تمت معالجة آثار التعذيب ومضاعفاته. كان من الصعب معالجة المضاعفات النفسية. لم يتحمل الإذلال من طرف جلاديه، كان ساخطا إلى درجة الهذيان، ولحسن الحظ كان محاطا برفاقه الذين عزلوه لعدة أيام حتى استعاد قواه. بعد شفائه عاد إلى نشاطه شبه التجاري أمام بيته. هذه المضاعفات كما سنرى زادت في إرادته ورغبته في العمل المسلح. بعد الأزمة التي هزت « الحركة من أجل الحريات الديمقراطية، انضم « عباس » إلى موقف بن بولعيد ومجموعة 22 التي تدعو إلى العمل الثوري المسلح. يقول رفاقه في الحركة الوطنية بخنشة أن خطابه تغير، كان يقول لنا أن العمل السياسي لا يأتي بنتيجة، الحل هو العمل الثوري فقط.

« في الرسيف (قسنطينة) اجتمع يوم 13 افريل 1954، نحو المائة مندوب عن MTLD على اختلاف توجهاتهم. رأس الجلسة بلقاسم بيضاوي، فرغ أحد المصاليين يده وقال: "يوجد في هذه القاعة مركزيون جاؤوا بصفة متفرجين". فنهض أحد المركزيين مؤكدا: "نعم يوجد مركزيون في هذا الاجتماع، إنهم ملاحظون وهذا من حقهم". اضطرب الجو واحتدم الخلاف

القطيعة والالتزام

بين المركزيين والمصاليين، فاقترح مندوب دائرة باتنة (شيحاني بشير) والخمسة عشر مندوبا طرد المصاليين والمركزيين، وبقي مندوب السمنندو والميلية على الحياد. تم اللجوء إلى التصويت فمالت الأغلبية إلى مشاركة جميع الحاضرين في الاجتماع، وفي أثناء ذلك دخل مقاومون جدد، بينهم مزغنة أحد مساعدي مصالي. فنهض مندوبو باتنة يرددون طرد القادمين الجدد. صياح وصراخ وصفير، قال عجول وعباس (وهما ضخما البنية) : " لا أحد يدخل"، وصاح مزغنة : " دعوني أقول كلمة إنها باسم مصالي"، فقاطعه عباس بأعلى صوت : " أنا أيضا أريد أن أقول كلمة، ولكن باسم الله" ¹⁰. واشتبك الرجلان، فأخذ عباس كرسيه وأداره فوق الرؤوس ووجه لكلمات... وفي النهاية طرد الفريقان الخصمان ¹¹.

هكذا كانت الحالة الذهنية للمناضلين، لم يعودوا في حاجة إلى الخطب والكلام حتى وإن كانت من « مصالي الحاج » فهي لم تأت بنتيجة. يريدون التحرك على أرض الواقع. عباس يستشهد بالله، بمعنى أن الرسالة الإلهية فقط أعلى من أي كلام، يعني أن كلام مصالي لم يعد مقبولا لدى المناضلين (مصالي كان يتمتع بنوع من التقديس من طرف المناضلين).

عقد اجتماع في 30 افريل 1954، بين عباس وعجول وبلعقون في مزرعة بن بولعيد حيث أدوا اليمين على الالتزام بالمرور إلى العمل المسلح، وبعد خمسة عشر يوما التحق بهم رئيس دائرة باتنة شيحاني بشير وحاجي من « الخروب » وخنطرة من « بريكة ». بقيت هذه المجموعة على الحياد بالنسبة للانقسامات داخل اللجنة المركزية. بن بولعيد الموحد ورجل المصالحة يصرح

10. وليس « يارب » كما ترجم الكتاب الى العربية، وتأكدت من ذلك مع المؤلف مداسي نفسه.

11. محمد العربي مداسي، مغربي الرمال (مغرب)، وزارة المجاهدين، 2011 ص 13.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لهم حسب ما أورده مداسي في نفس المصدر : « يجب علينا أن نرغم المركزيين والمصاليين أن يتحدوا من أجل العمل المسلح بإنشاء جبهة شرق منطقة قسنطينة » أي منطقة الأوراس-الناماشة .

انقسام الحركة من أجل الحريات الديمقراطية MTLD أدى إلى انشقاق مناضلي مدينة خنشلة، وهكذا بقي المناضل عبد الله مراد وفيما « لمصالي » حيث مثل مدينة خنشلة في مؤتمر « هيرنو » ببلجيكا، أما عباس لغرور فقد انضم إلى وفد ممثلي الأوراس برفقة كل من شيحاني بشير وعاجل عجول الذين شاركوا في مؤتمر المركزيين بالجزائر العاصمة بتاريخ 15 أوت 1954، ورغم أنهم لم يسمح لهم بالتدخل نظرا لموقفهم « المتطرف »، لكنهم لم يضيعوا فرصة الدفاع عن رأيهم على هامش المؤتمر، وهو ضرورة العمل المسلح كوسيلة وحيدة لتحرير البلاد . كما ذكر سابقا، قرر وفد الأوراس-الناماشة الانضمام إلى مجموعة الـ 22، وبدؤوا التحضير للعمل المسلح .

كان عباس لغرور ورفاقه عثمان التيجاني ومير حسن وبن عباس غزالي وحماد عمار وسالم بوبكر وبن زيدان رمضان ووقاد خميسي وشامي محمد... (أربعون مناضلا مقتنعون مستعدون تمام الاستعداد) قد قاموا بنشاط وتخصير عميقين في منطقة خنشلة، تمثلا في تهيئة القواعد الخلفية، كإنشاء مخابئ للمواد الغذائية وملاجئ للثوار وتحديد مهام المناضلين المدنيين الذين لن يشاركوا في العمل المسلح، وهي الاتصال وإيصال الرسائل إلى المسؤولين، التزويد المستمر بالمواد الغذائية واللباس، على سبيل المثال بعض من هؤلاء المناضلين من عائلة عباس وهم فرحات أو عباس لغرور، خاوة السايح، بوجهين البهلول، خاوة السايح ؛ الأول اعتقل وسجن في بداية الثورة، الثاني البهلول استشهد في عملية هجوم على مزرعة

القطيعة والالتزام

معمر واضرام النار فيها أما الثالث فكان مكلفا بالاتصال بين إدارة الثورة في الأوراس-النمامشة والمناضلين داخل المدينة، ناضل حتى سنة 1961، اعتقل وسجن بعد حصار بيته الذي كان يأوي ستة مجاهدين، استشهد اثنان منهم وتمكن اثنان من النجاة، وتم توقيف اثنين من بينهما لخليل لغرور، وبعد حصار دام يوما كاملا، تم حرق منزله ومنزل جاره لغرور الطيب أين تعيش إحدى أخواتي المتزوجة من أحد أبنائه .

كنت شخصا حاضرا في هذه العملية الرهيبة، كنت في بيت الطيب مع مجموعة من الشباب نحفظ القرآن على يد أحد أبنائه « شنتة » . عند بداية حصار منزل « السايح » الذي يبعد عن منزل « الطيب » بحوالي كيلومتر واحد، رميت المصحف (مصحف عباس) فوق سقف المنزل واتجهت نحو منزلنا الذي يقع بعد حوالي أربع كيلومتر، وما إن بدأت الابتعاد عن منزل الطيب استقبلت بوابل من الرصاص من طرف الجنود الفرنسيين، ولحسن الحظ كانت الرصاصات تصل باردة وتسقط على الأرض أمام قدمي، رفعت يداي إلى الأعلى كمن يسلم نفسه وعدت إلى بيت عمي الطيب، وبعد مدة جاء العساكر بسياراتهم المصفحة وطلبوا مني الركوب ومشاهدة اتجاه فرار المجاهدين بواسطة نظارة التقريب، قلت لهم لا أعرف أين اتجهوا، فضربني أحدهم في بطني بمؤخرة سلاحه وسقطت على الأرض، بعدها طلبوا منا الابتعاد وأضرموا النار في البيت... وبأعجوبة نجا المصحف من الاحتراق .

بعد هذه العملية تم اعتقال عشرات الرجال من سكان الدوار حيث تم تكبييل ايديهم وربط عنقهم ببعضها البعض بواسطة حبل، وتوجيههم بالضرب كقطيع حيوان نحو الشاحنة ليتم نقلهم إلى سجن المدينة .

• النظرة الأخيرة

كان عباس في معظم الوقت غائبا عن بيته، نادرا ما يرى زوجته وأبنائه. عشية اندلاع الثورة ذهب إلى بيت أبيه في « الدوار » (البادية)، كان بالتأكيد قد زار مسبقا بعض المناضلين ليخبرهم عن موعد اندلاع الثورة، واستغل هذه الفرصة ليلقي آخر نظرة على أبنائه : حسينة وطارق وزوجته. كان أبوه هناك، وقد تفاجأ لرؤية ابنه في هذا الوقت غير المعتاد. بعد تحية أبيه اتجه مباشرة نحو أبنائه ليقبلهم بتكتم بعيدا عن نظرة أبيه (العادة في ذلك الوقت أن لا يقبل الأب ابنه أمام الوالدين) يحدق في ابنه طارق وكأنه يودعه، وفي نفس الوقت يضع يده برفق على كتف ابنته حسينة ذات الثلاث سنوات مداعبا خلسة شعرها الأشقر الذهبي، وبعد ذلك يثبت نظره في ابنه، ويحدث زوجته : « آسف، سأقول لك شيئا أعرف أنه لا يعجبك، اهتمي جيدا بالأطفال. يمكنك العودة إلى خالك (ابن عم عباس الذي تكفل ببنات أخته زوجة عباس بعد وفاة زوجها) إذا أردت، أو تبقي مع أبي، لأنني سأغيب لمدة طويلة، وربما لن تريني من الآن فصاعدا... »، أجابته زوجته : « أعرف، ادك الحزب والبولتيك » أي أعرف أن الحزب والسياسة ابتلعاك.

يخرج من الغرفة ويعبر بصحبة والده الفناء الفسيح وسط قطعان من الغنم والماعز، وعلى يساره اسطبل فيه عدد من الخيول والبقر كان قد تم إدخالها للتو. لم يلتفت خلفه. تحدث لمدة طويلة مع والده الذي كان يرتدي بنوسا ويده ملفتان وراء ظهره، مطأطئ الرأس محدقا في الأرض صامتا. أما عباس فكان مغطى بـ « قشابيته » (وهو لباس أمازيغي يلبس خصوصا في فصل الشتاء) ينظر إلى أبيه الذي بدا غير مبالي بما يروي له عباس. في الحقيقة كان يفكر بعمق في أهمية القرار الذي اتخذه ابنه. بعد مدة قبل عباس رأس والده وهو

القطيعة والالتزام

يتحدث إليه : « إذا تعرضتم إلى شيء، أطلب منك المعذرة... سوف أسلك طريقا طويلة مع رجال آخرين مثلي، لست ولن أكون وحدي، في كل مكان في الجزائر في الشرق في الغرب في الوسط في الجنوب سيثور الرجال والنساء، سوف تسمع عني وعنهم وعنا جميعا. ربما لن نعود جميعا، الله فقط يعلم بذلك، لكن سترى يا أبي، سترون جميعا أن الظلم سيتوقف، بأن أراضينا ستستعاد، بأن المستوطنين سيعودون كما أتوا، بأن كل أبنائنا سيذهبون إلى المدارس وسيأكلون الرغيف الأبيض، لن يمشوا حفاة الأقدام... سوف تشرق الشمس (يطلع النهار) عليهم وعلى الجميع... نسيت يا أبي أن أخبرك بأن أخي شعبان سيرافقني في هذه المهمة النبيلة. عليك بمواساة والدتي... قل لها بأننا سافرنا وستأخر على العودة... ». بعد تنهد عميق رفع والده رأسه محذقا في ابنه يخاطبه : « ماذا أفعل ؟ ماذا أقول لك يا ابني ؟ إنني أسامحك، أسامحكما . الله يحميكم وليكن الله في عونكم جميعا » ثم أضاف : « لا تنس أن تمر على البيت لترى والدتك... » .

غادر عباس منزله وكلا من أبنائه وزوجته ووالده على عجل، ولن يراهم إلى الأبد . كانت الشمس تغرب من خلفه مقتحمة سلسلة جبال تامزة . كان يعمه - بدون شك - إحساس كبير بالراحة وبالحرية، بالنسبة له لقد سطر الخط النهائي بعد أن اجتاز حاجز العائلة وذلك بعد أن أبلغها بمشروعه . كان الجو باردا في نهاية هذا الشهر، الأمطار نادرة وحملة الحرث لم تنته بعد . إنه في الطريق إلى المدينة، كان - بدون شك - يفكر بأنه يغادر مكان ولادته وأبنائه إلى الأبد، والده - الذي يحس بأن شيئا ما خطيرا سيقع - يراقبه من بعيد، إنه يبتعد شيئا فشيئا . بقلب مثقل وبحسرة يتنهد ؛ هاهو خيال ابنه،

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الذي لن يراه أبدا بعد هذا اليوم، يبتعد ويختفي وراء الهضبات الصغيرة، يستدير نحو زوجته الثانية زعرة التي تتسائل عن سبب قلقه وتوتره فيرد عليها بالشاوية « عباس ييقيت » أي أن عباس فعلها، بمعنى أنه (عباس) تمرد، بدون أن يوضح لها.

أما عباس فقد اجتاز واد « لغرور »، إنه على بعد حوالي ثلاث كيلومترات قبل أن يصل إلى المدينة، ليودع والدته ويباشر التحضيرات للهجوم التاريخي. في الطريق كان يتأمل الأراضي الشاسعة المسماة أراضي « لغرور » المحتلة من طرف المستوطن Louis Brusset، الذي أسس فيها مزرعة كبيرة، كان يفكر في هذه الأراضي، أراضي أجداده، في وضعية « الخماسين » والعمال اليوميين المستغلين والنساء والأطفال وهم يلتقطون سنابل القمح التي تتسرب من آلة الحصاد تحت حرارة الشمس في حقول المستوطنين، هذه الصور، صور المعاناة والظلم تزيد أكثر في حيويته وإرادته وعزمته في النضال والتضحية لإعادة كرامة مواطنيه. يلتقي بوالدته في بيته في المدينة كغير العادة، يجلس مطولا معها، تشتكي له والدته وتلومه لأنها لا تراه إلا نادرا، فيرد عليها : « لا تلوميني أمي، سأغيب لمدة طويلة هذه المرة يجب أن تتعودي » فتطلبت منه سبب الغياب الطويل، ويرد عليها مبتسما بالشاوية : « آنوقير أدناوي ثاحوريث » أي نذهب لنأتي « بالحرية ». بنوع من الحيرة والقلق ترد عليه والدته : « أنتم لستم بالجن » (« الحورية » بالدارجة الجزائرية تعني الجنية، وهي شخص أو ملاك لا يتحدث معه إلا الشخص الذي يسكنه الجن).

• يجب أن يقول الفرنسيون أنهم تجرؤوا (ديدوش مراد)

بعد التحضيرات لسافر عباس إلى باتنة ثم أريس لحضور آخر المراحل، أين التقى بين بولعيد وشيخاني بشير وعاجل عجول ومناضلي كل من أريس وبريكة والخروب وبسكرة، المجتمعين بهدف الترتيب لهجومات ليلة نوفمبر. في اجتماع المدنية بالعاصمة قرر الـ 22 أن يكون يوم أول نوفمبر 1954، تاريخ انطلاق العمل المسلح (حسب شهادة بن طوبال عبد الله تاريخ 1 نوفمبر قررته مجموعة الستة). تم أيضا عرض ومناقشة كل الصعوبات التي ستواجههم وكانت عديدة ويصعب التغلب عليها. كانوا واعين بها لكن كما قال لهم ديدوش مراد: « يجب علينا أن نتجرأ ». كانت الجلسة قد بدأت بخطاب بن بولعيد الذي جاء فيه: « لأول مرة نلتقي جميعا. أنتم تمثلون مختلف مناطق الجزائر. لقد جندتم رجالا واثقين فيهم. البعض منكم يعرف بعضهم البعض. إذا كنتم جميعا مجتمعين هنا هذا الصباح وقدمناكم لبعضكم البعض بالأسماء الحقيقية فهذا يعني أنه باستطاعتنا فعل ذلك بكل أمان ». بعد مناقشة طويلة ختم ديدوش مراد المناقشة: « يجب أن نكون مستعدين لكل أنواع التضحية بما فيها وخصوصا بحياتنا، حظنا في النجاح نادر، لكن يجب أن نُجتاز الصعوبات ونحقق نجاح الثورة، سوف يأتي من بعدنا آخرون لأخذ دورنا ويعوضوننا... يجب أن يقول الفرنسيون أنهم تجرؤوا »¹². ليرفع أكثر من روح معنويات المناضلين والتي كانت في أوجها، أعلن بوضياف - الذي تم تعيينه منسق CRUA ثم فيما بعد منسق جبهة التحرير الوطني FLN - عن المساعدة التي ستأتي من مصر الثورية مباشرة بعد اندلاع الثورة »¹³.

12. Yves Courrière, *Les fils de la Toussaint*, Paris, Fayard, 1968, p. 202.

13. Yves Courrière, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كما تنبأ ديدوش مراد، فقد سقط في ميدان الشرف بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الثورة. لقد تجرأ ديدوش. لقد تجرؤوا جميعا. كان أول قائد منطقة يستشهد. كانوا على علم بما ينتظرهم. سنوات بعد هذا الاجتماع وبعد الاستقلال هاهي شهادة بوضياف: « هاهو الآن وبعد 22 سنة، تحملت مجموعة صغيرة منبثقة من المنظمة السرية (OS) مسؤولية اندلاع الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن. ماذا سيخفي لنا المستقبل؟ الموت أو الحياة؟ لا يهم، كان يحركنا فقط اليقين بأنه في نهاية الطريق ستكون جزائر حرة وسعيدة. في ذلك الظرف كانت الأولوية هي رسم طريق تسمح بالخروج من الجمود الذي غاصت فيه الحركة الوطنية، وفتح الثغرة التي من خلالها، تستطيع قطعاً الطاقات الشعبية المشاركة في النضال. أقلية وتحظى بعداوة من طرف كل التشكيلات السياسية، حركتنا تبدو محكوما عليها بالفشل، لكن الترحيب المفعم بالحماس من طرف الجماهير وانضمامهم السريع أعطى للحركة قاعدة شعبية عظيمة. للأسف هذا التيار الهائج جلب أيضا العديد من الانضمامات التي أفقدت تدريجيا الطابع المتجانس للحركة في الأول. تضحيات الجماهير وحدها هي التي سمحت بتحقيق الاستقلال... »¹⁴.

يقول بوضياف « للأسف هذا التيار الهائج جلب أيضا العديد من الانضمامات التي أفقدت تدريجيا الطابع المتجانس للحركة... ». يعني بوضياف هنا أن انضمام السياسيين المركزيين والاندماجيين والشيوعيين وجمعية العلماء أفقد التوازن والتجانس الفكري في الأهداف والوسائل، وبالتالي الطابع الثوري لثورة نوفمبر. هذه الأحزاب اندمجت في صفوف الثورة تحت راية « جبهة وجيش التحرير الوطني » لكن في الواقع وكما هو

14. Mohamed Boudiaf, *La préparation du 1^{er} Novembre*, Paris, Etoile, collection Eljarida, 1976, p. 1.

معروف يصعب تحقيق الاندماج الفكري كما يصعب للمناضل أن يتنازل عن مبادئه وأفكاره بسهولة.

• اجتماع لقرين بالأوراس

« في شهر سبتمبر 1954 عقد مناضلون معظمهم « مصاليون » (نسبة إلى الزعيم مصالي الحاج) اجتماعا في الجزائر العاصمة لمدة يومين. مثل دائرة باتنة شيحاني بشير مرفوقا برؤساء القسمات، وتم إيوائهم في « حسين داي » و« الحراش » (أحياء بالجزائر العاصمة). ترأس الاجتماع « بن تفيثفة » مع مساعديه « بودة » و« مهري » والاثنان مركزيان. مباشرة في اليوم الأول هدد رجال مصالي بطرد كل من لا يؤدي يمين الولاء لمصالي، وسيعد خائنا كل من استبعد. دعا المركزي « بودة » كل الأطراف إلى ضبط النفس. خلال استراحة الغداء قدمت لهم شرائح من الخبز بالزبدة، وعند استئناف الأشغال تدخل ممثل القبلة (حي بالعاصمة) ليقول : « المصاليون والمركزيون صورة طبق الأصل لذا وذاك، تهمهم السلطة فقط ».

في اليوم الثاني تم الانتخاب على مشروع، كلف المكتب عجول وعباس بتسليمه إلى « مولاي مرباح » مساعد « مصالي »، ورفض « مرباح » استقبالهما مما أدى إلى غضب عباس ولومه الشديد لكل من مرباح وسيده مصالي. وتدخل بن بولعيد ليعلن : « لن نحضر ابتداء من الآن أي اجتماع، سوف نعول فقط على أنفسنا ».

أخبر بن بولعيد شيحاني بأن المركزيين يعارضون العمل المسلح. عند مغادرتهم سلم نفس المركزيين إلى بن بولعيد وكذلك إلى رفاقه نفس المبلغ 9000 سنتيم (قيمة ذلك الوقت).

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

اجتمع بن بولعيد في 20 أكتوبر 1954، في « لقرين » بالقرب من « الشمرة » على بعد 30 كلم شرق باتنة في بيت عبد الله أومزيتي مع مجموعة من المناضلين : عجلول، شبحاني، لغرور، نويشي، حاجي، خنطرة، وأبلغهم بتاريخ 1 نوفمبر 1954. عجلول ولغرور وحاجي كانوا على علم منذ عدة أيام بأنه التاريخ المتوقع لاندلاع الثورة. بعد مرور اللحظات الأولى للمفاجئة بدأ النقاش بجديّة. أحظر مصطفى بن بولعيد من قسنطينة آلة السحب بالكحول (رونيو) ومنشورات، وبدأ يشرح : « الثورة ستكون من عمل جيش التحرير الوطني، هدفها هو جزائر مستقلة جمهورية لغتها العربية ودينها الاسلام. حربنا ليست حربا دينية. ستستمر لسنوات عديدة. سوف تعرض علينا فرنسا استقلالاً داخلياً سيُرفض ». (من كتاب « مغربلو الرمال » محمد العربي مداسي).

في هذا البيت تم سحب بيان أول نوفمبر الذي سيوزع على منطقة الشرق الجزائري.

عين بن بولعيد المجموعات والأماكن 48 ساعة قبل أول نوفمبر وهي كما أوردها محمد العربي مداسي :

- كيمل هدفين : زريبة الواد ودرمون بقيادة محمد العابد .
- تبردقة : بقيادة عبد الوهاب عثمانى .
- خنقة سيدي ناجي والولجة : عبد الحفيظ السوفي .
- لمصارة : بقيادة بولعراس .
- قايس : بقيادة كيلاني وناصر .
- خنشلة : مجموعة عباس لغرور مع مجموعة عمار معاش مقسمة إلى خمسة أفواج .

القطيعة والالتزام

- تكوت : مكى عشوري .
 - تاغيت : محمد اسبايحي .
 - لقصر : بلقاسم مزياني .
 - إنوغيسن : مصطفى غقالي .
 - أريس : أحمد نواورة .
 - بريكة : محمد الشريف سليمانى والصادق بن داىخة ومنصور غقالي .
 - عين توتة : إسماعيل كشرود،
 - باتنة : ثلاث مجموعات بقيادة على بعزي ومحمد الشريف بن عكشة والطاهر نويشي وقرين بلقاسم وحاج لخصر .
 - شمرة، فم الطوب، تيمقاد، عين ياقوت، توفانة، بوالفرايس، المعذر يقودها رجال الطاهر نويشي .
 - الخروب : بشير حاجي .
 - عين مليلة موسى حاجي .
- نلاحظ خلال هذا التقسيم الوارد في كتاب مداسي أن مصداقية المعلومات تقترب من الحقيقة لأنه اعتمد على الفاعلين الذين كانوا بكل قواهم العقلية، فقد استقى هذه المعلومات في سنوات الستينات والسبعينات . كان هدف بن بولعيد هو أن يلتهب كل الأوراس .

الفصل الرابع

شهادتان لاثنين من الفاعلين

في هذه الليلة التاريخية

• القلة القليلة

« في المقابل، وفي البداية كانوا خمسة، ثم تسعة مسلحين فقط بأمل جنوني، انخرطوا في مغامرة ميؤوس منها، ولكن بعد كل ذلك، أليست الكلمة الأكثر صوابا التي قيلت خلال المناقشات الطويلة في المجلس الجزائري، تلك التي قالها هذا الرجل المشبع بالحس السليم والموهب في نفس الوقت، المنتخب عن تبسة في المجلس الجزائري، باتيستيني : " بدوري أريد أن أعلن أن وحدة العائلة الكبيرة الفرنكو-إسلامية بالجزائر، لم تتأثر أبدا بأحداث خطيرة بدون شك، ولكنها، وأقولها بكل قوة، هي عمل أقلية قليلة، ولا أنسى أن تلك الأقليات القليلة هي غالبا من تصنع الثورة... لأنه من الآن فصاعدا هي ثورة " ¹⁵ .

15. Jean Vaujour, *De la révolte à la révolution : Aux premiers jours de la guerre d'Algérie*, Paris, Albin Michel, 1985, p. 312.

• الشرارة

كان لليلة أول نوفمبر صدى قوي في الأوراس وفي كل شبر من أرض الجزائر. إنه انفجار بركاني لكل مراحل الكفاح المتراكمة والمعاناة التي عاناها الشعب الجزائري. أخيرا استفاق الشعب الجزائري مرفوع الرأس، لقد اهتزت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية بعنف غير مسبوق. لقد كانت ليلة نوفمبر كما وصفتها الصحف الفرنسية: « كرعء في سماء صافية ». كانت الساعة تشير إلى الواحدة ليلا، لما استيقض جنود ثكنة خنشلة على دوي الرصاص. خمس مواقع كانت مستهدفة من طرف الثوار، أعطى عباس لغرور الأوامر التالية: « في أي حال من الأحوال لا تغتالوا المدنيين. لا تمسوا بالشيوخ ولا بالنساء وحتى الحراس إذا لم يطلقوا الرصاص »¹⁶.

أثناء الهجوم على مركز الشرطة تم فقط تجريدهم من سلاحهم لأنهم لم يقاوموا بالسلاح، مما يدل أن الثوار الجزائريين لم يكونوا دمويين كما وصفتهم الصحافة الفرنسية. بعض المؤرخين يصفون ليلة أول نوفمبر بـ « ليلة القديسين الحمراء » *La Toussaint rouge*. كما هو معلوم أيضا أن اغتيال المعلم « منري » كان برصاصة طائشة، وحتى « القائد صدوق » تم اغتياله بعد أن سحب سلاحه بنية قتل الثوار، وهذا باعتراف *Vaujour Jean* مسؤول الأمن بالجزائر أثناء اندلاع الثورة. وحسب تصريح عجول فإن بن بولعيد غضب غضبا شديدا لهذه الحادثة.

استيقظ الجزائريون والخناشلة ورؤوسهم مليئة بالتساؤلات، معظمهم فخورون لأنهم أصبحوا موضع اهتمام. لقد تكلموا برأس شامخ وبصوت

16. Yves Courrière, *ibid.*

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

عال سمعه الجميع. صوتهم لم يسمع فقط، بل أيقظ الضمائر وأثار الهلع في الوسط الاستعماري.

طلب عباس لغرور من الممرض سالم بوبكر عدم المشاركة في العمليات العسكرية والانتظار بأدواته خارج المدينة في المكان المحدد. كانت هذه أولى خلايا مصالح الصحة في الثورة الجزائرية. تم توقيف سالم بوبكر الممرض الأول في الثورة أثناء معركة الجرف الكبرى 1955، وقد نشر استجوابه بعنوان: « اعترافات ممرض أوائل الثوار »¹⁷، لم يُدلِ بأي تصريح قد يضر بالثورة.

لأول مرة، يقرر مصير الجزائر في عمل موحد ومنسق من قبل أبنائها فقط بدون أي تدخل أجنبي.

كانوا أقلية لكنهم واثقون من أن الشعب سيتبعهم، أكثر من ثلاثين عملية اعترفت بها السلطات الاستعمارية نفذت في وقت واحد في عدة مواقع في كل التراب الجزائري.

إحدى أهم العمليات وقعت في مدينة خنشلة. وفيما يلي نعرض شهادتين لمناضلين من الحركة الوطنية شاركا مباشرة في عمليات تلك الليلة التاريخية لأول نوفمبر 1954. يسردان فيها تفاصيل تحضير وتنفيذ الهجوم التاريخي في هذه المدينة.

• ها نحن قد وصلنا إلى اليوم الموعود

الشهادة الأولى لفاعل مباشر في هذه الليلة التاريخية وقبلها، وهو سالم بوبكر.

17. Claude Paillat, *Dossier secret de l'Algérie*, Paris, Presse de la cité, 1961, t. 1.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

« تم قبولي أولا كمناضل، ثم أصبحت بعد ذلك مسؤول خلية الطلبة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بخنشلة، طلبة منحدرين من مختلف الطبقات الاجتماعية. كان تأثير مبادئ الحزب على كل هؤلاء الشباب يترجم بالحماس الكبير، والإخلاص للقضية الوطنية : الانضباط الذاتي، احترام التوجيهات الوطنية، التربية المدنية، والتكوين السياسي للحزب.

لقد كنا جميعا مرتبطين مع بعضنا البعض، خلال لقاءاتنا، ناقشنا كثيرا الأحداث السياسية ؛ فبالنسبة لنا، النضال ليس مجرد شعار... الآن، أصبح حب الجزائر هو كل شيء في حياتنا ».

يتابع : « انحصرت أنشطتنا في الحزب ما بين العام 1950 ومارس 1954، في الروتين المعتاد الملازم لجميع الأحزاب السياسية : تنظيم الخلايا، اجتماعات، لقاءات، حملات انتخابية، بيع الصحف والمنشورات التي يصدرها الحزب، بيع تذاكر (CSVR لجنة المساندة لضحايا العنف)، جمع الاشتراكات، تعليق مناشير مكتوب عليها شعارات مناهضة للاستعمار، كتابة الشعارات الوطنية على الجدران، وبالخصوص، شرح المذكرة الشهيرة للمناضلين والمنخرطين والمتعاطفين التي قدمتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية حول القضية الجزائرية إلى الأمم المتحدة، والتي تطالب بإقامة دولة جزائرية... ».

بعد تعديل في هياكل قسمة الحزب، ينقل لنا الشاهد معلومات مهمة لفهم الرجال والوقائع : « بعد التعديل، وجدت لجنة القسمة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية نفسها مكونة من خمسة أعضاء : عباس لغرور، بن عباس غزالي، بن كوت عبد الكريم، لرقط كيلاني، وأنا، كنا نجتمع كل 15 يوما إن صح القول في شبه إسطنبول أي مرقد للحيوانات يمتلكه سعدي عمار بن شباح، بالضبط في غرفة يؤجرها لرقط كيلاني، وهو تاجر عطور

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

أصيل من واد سوف، أو في غرفة المناضل مسعد ناصر السوفي، وهو جزار بخنشلة.

في مارس 1954، تاريخ انقسام حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، اتخذت مجموعتنا تحت قيادة عباس لغرور، مسؤول قسمة حركة الانتصار بخنشلة، موقف الحياد النشط والمستقل عن كتلتي الحزب المتمثلتين في المصاليين والمركزيين.

يعود الموقف المحايد لمجموعتنا أساسا إلى محاولة توحيد كل الوطنيين في حزب قوي مجدد. ولما تبين أن كل الآمال فقدت، قررت حفنة من المناضلين افتتاح النصر، أي الحصول على الاستقلال بالعمل المسلح، العنيف والمباشر، وإحياء الشعلة الثورية التي بدأت تنطفئ لدى بعض المناضلين، لقد أصبح نشر فكرة انطلاق الثورة هو المخرج الوحيد القادر على تحرير الجزائر.

هؤلاء الرجال المدفوعون بإيمان لا يتزعزع، وبصلابة مثالية، كانوا مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيل الوطن.

لما عقد المصاليون مؤتمرهم في « هورنو » ، ببلجيكا، في 15 جويلية 1954، كان قد مثل خنشلة فيه، الحاج عبد الله مراد، أما المركزيون فقد عقد مؤتمرهم في الجزائر العاصمة، في نفس اليوم، وحضره لغرور وشيخاني بصفتيهما ملاحظين، ولم يكن باستطاعتهما أخذ الكلمة، وذلك بسبب موقفهما المتطرف والثوري.

تجسدت فكرة المرور فورا إلى العمل المسلح أكثر في أذهان بعض المناضلين، في الفترة، من مارس إلى جوان 1954، حيث بقينا في ريبة من أمرنا، رافضين كل اتصال مع المجموعتين، أما أموال الحزب التي كانت بحوزتنا فقد جمدناها واستخدمت فيما بعد في شراء الأسلحة.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

في بعض المدن، اصطدم المناضلون بعضهم ببعض بسبب بيع جريدتي « الجزائر الحرة » التابعة للمصاليين و « الأمة الجزائرية » التابعة للمركزيين. هذان الاتجاهان أعاقا كثيرا مسعانا خلال الإعداد لاندلاع الثورة.

بعد انقسام الحزب MTLD، خرج رجال من تحت الظل والسرية، غير معروفين لدى الجمهور العريض، شكلوا في أقصى درجات السرية اللجنة الثورية للوحدة والعمل CRUA. وحدوا في هذه الحركة الجديدة الثورية، كل الأنصار المتحمسين للكفاح المسلح، من قدماء عناصر المنظمة الخاصة (OS) (السرية جدا) والمناضلين الحياديين في الحزب، لقد قررت اللجنة الثورية المرور إلى العمل المسلح في الأيام المقبلة.

في جوان 1954، بلغني الخبر الأهم بالنسبة لي، ففي هذا اليوم، 24 جوان، بينما كنت أتنزه في شوارع خنشلة، اقترب مني بن عباس غزالي، وهو أحد قادة مجموعتنا، ليبلغني أن عباس لغرور يستدعيني لمقابلة في بيته.

على الفور اعتقدت أنه سيبوح لي بشيء مهم للغاية لقد هيجتني هذه الفكرة كليا، وحين الوصول إلى لغرور، وبعد الاستقبال المعتاد، لاحظت اختفاء صورة مصالي الحاج، فسألته عما وقع لها.

أجاب عن ذلك : « أنا أتلفتها لأنه خان القضية »، وأضاف : « يجب نسيان الحزب القديم الذي لا يعبر سوى إلى الروتين. فبأساليبه البيروقراطية والإصلاحية، لن تصبح الجزائر مستقلة أبدا.

كيف سيخوض الكفاح على جبهتين؟ في ظل شرعية ما، بواسطة اللعبة الانتخابية، وفي السرية عن طريق العمل الثوري : مستحيل، يجب اختيار خطة عمل واحدة. الخطة الوحيدة التي ينبغي أن تؤدي إلى التحرير، التي لا تنحرف أبدا، لقد أصبحت هشاشة حزبنا واضحة إلى الدرجة التي أصبح فيها غير منظم بسبب الأزمة الأخيرة ».

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

ثم واصل موضحا أنه لا بد من الخروج من حالة الانقسام بالمرور إلى العمل المباشر، وكشف لي عن وجود مجموعة من الثوار يخططون لاندلاع قادم للعمل المسلح في الجزائر.

واختتم حديثه مضيفا : « هكذا إذن، يا أخي العزيز، سنمر إلى العمل المباشر، وواجبك هو أن تكون من بين أعضاء هذه المنظمة الجديدة التي ستضرب العدو وتفرض وحدة الجزائريين وراء شعار الاستقلال، الهدف الذي ناضلنا من أجله منذ سنوات » .

في نهاية شهر جوان 1954، تم إنشاء اللجنة الثورية للاتحاد والعمل CRUA مشكلة من 4 أفراد يحضرون وينظمون الهجوم على مدينة خنشلة، وكان مسؤولوها هم : عباس لغرور، بن عباس غزالي، وقاد صالح، وأنا.

بسبب كون منزل عباس لغرور مراقبا جدا من قبل الشرطة، فإن اجتماعات اللجنة كانت تتم بمنزلي .

من جوان 1954 إلى 31 أكتوبر 1954، كانت فترة التحضير والتدريب : وضع خطط الهجومات على أهداف في مدينة خنشلة، شراء الأسلحة والذخائر، لباس عسكري، أدوية، راديو ترانزيستور، تكوين فرقة شبه عسكرية واختيار إطارات ومناضلين موثوق بهم، استعمال وتفجير الألغام، دروس نظرية في مبادئ حرب العصابات، إعداد مواقع للانسحاب في الأدغال وتخصير الملاجئ مع الطعام .

كانت اجتماعاتنا تنعقد في الغابة، أين نتدرب على استعمال السلاح والقنابل اليدوية (التدريب على رمي القنابل اليدوية يتم باستخدام الحجارة، هذا بسبب قلة مخزون القنابل اليدوية) .

وهكذا في سبتمبر 1954، حضرت حصة تدريب عسكري قرب حمام الصالحين (حمام معدني)، على بعد 5 كلم من خنشلة، في المكان المسمى

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

عين السيلان، في هذا الموقع، توجد غابة مهجورة مكونة من شجر السنديان، كثيفة، بها الكثير من الأدغال، ملائمة لتعليم حرب العصابات بسبب تضاريسها الوعرة والأودية الكثيرة.

وبعد تمرين الرماية والتدريب، قدم لغرور لنا مصطفى بن بولعيد وشيخاني بشير، اللذين جاءا للتفتيش في ناحية خنشلة، ثم كلفت اللجنة الثورية لخنشلة بتقديم مخطط مفصل للهجوم على المدينة في الأيام المقبلة، وتم البت في هذا المشروع بعد مشاورات عديدة على النحو التالي :

- الهجوم على محافظة الشرطة .
 - الهجوم على مقر البلدية المختلطة .
 - الهجوم على الثكنة العسكرية .
 - الهجوم على الجندرية .
 - تخريب وتدمير المحول الكهربائي المزود للمدينة .
- قطع الخطوط الهاتفية التي تربط خنشلة بعين البيضاء وباتنة، لمنع الاتصالات الهاتفية الخارجية .
- بعد تحديد هذه الأهداف، أوقفت اللجنة قائمة المشاركين في الهجوم ووضحت دور كل واحد .

قائمة المناضلين الذين اتصلت بهم اللجنة وقبلتهم، وكان عددهم 40، منهم 23 شهيدا، و 17 مازالوا أحياء :

- عجال (استشهد)، كان هذا المناضل يبيع حزم الحطب لتسديد اشتراكاته وتقديم المساعدة في الإعداد للثورة . كان عمره 17 سنة، استشهد كمقاتل قائد لمجموعة في ناحية عين البيضاء .
- عقابة حمودي (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .

شهادتان لاثنين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

- عريف فرحات (استشهد)، اعتقل، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ عليه الحكم بالمقصلة بسجن قسنطينة.
- عريف حسين (استشهد)، اعتقل، وفر في 4 نوفمبر 1955، برفقة بن بولعيد، من سجن قسنطينة، ثم استشهد فيما بعد في معركة.
- عثمانى إبراهيم، المدعو التيجاني (استشهد)، قائد منطقة خنشلة، أم البواقي، عين فكرون، الخروب.
- بن عباس غزالي (استشهد)، قائد منطقة سوق أهراس مندوفي.
- بن كوت عبد الكريم، استشهد في 14 ديسمبر 1954 أثناء معركة بدوار كيمل.
- بن زيدان رمضان (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.
- بوعظيل إبراهيم (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.
- بوهلالة محمد (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.
- بورمادة قدور (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.
- شاكر محمد (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.
- شامي محمد (استشهد)، قائد منطقة تبسة وواد سوف، مكلف بالاتصالات مع المشرق.
- غرياني علي (استشهد)، اعتقل، حكم عليه بالمؤبد مع الأشغال الشاقة، قتله المنظمة العسكرية السرية في غيليزان عند خروجه من السجن، في جوان 1962.
- حفطاري علي (استشهد)، اعتقل، وفر في 4 نوفمبر 1955 برفقة بن بولعيد من سجن قسنطينة، ثم استشهد في معركة.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

- حفطاري صالح (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- حمام عمار (استشهد)، قائد ناحية انسيغة بآبار تامقرة، استشهد في معركة الجرف الكبرى، في سبتمبر 1955 .
- كشروود علي، استشهد في 14 ديسمبر 1954، أثناء معركة بدوار كيمل .
- عباس لغرور (استشهد)، نائب بن بولعيد، قائد مجموعة خنشة، عضو ثم قائد ولاية الأوراس النمامشة .
- شعبان لغرور (استشهد)، قائد ناحية فالمة، الخروب، سيقوس، واد زناتي .
- لحميم رشيد (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- لعور الربيعي (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- لرقط كيلاني (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- اللموشي محمد (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- مخلوفي كمال (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال .
- مريّر لحسن (استشهد)، قائد ناحية عين البيضاء، سدراتة، مسكيانة، مكلف بالاتصالات والربط بين الأوراس والشمال القسنطيني، أين التقى زيغود يوسف وبن طوبال لخضر وبن عودة مصطفى .
- مساعد ناصر السوفي (استشهد)، قائد ناحية ثم عون اتصال مع المشرق، وأخيرا مكلف بقوافل الأسلحة .
- مساعد الطيب (شهيد)، مسؤول مخازن المؤونة واللباس، استشهد في معركة .

شهادتان لاثنين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

– مراد لخضر (حي)، تجند وعمره 15 سنة، هو الوحيد من المجموعة، الناجي من الاعتقال، واصل مساره من جيش التحرير إلى الجيش الشعبي الوطني كضابط. (توفي في منتصف العشرية الماضية).

– نواصرية عبد الرحمان، استشهد في السجن بعد التعذيب الذي سلط عليه بعد اعتقاله.

– وقاد صالح (استشهد)، عضو ولاية الأوراس النمامشة، قاد المجموعات المسلحة الجزائرية في تونس.

– سالم بوبكر (حي)، اعتقل أثناء معركة الجرف الكبرى (تبسة) في سبتمبر 1955.

– سعدي امعر (استشهد)، قائد ناحية ششار النمامشة.

– سامر محمد (حي)، اعتقل وسجن حتى الاستقلال.

– زايدى اممر (استشهد)، اعتقل، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ الحكم بالمقصلة بسجن قسنطينة.

– زايدى سليمان، استشهد في معركة.

– زروالي عبد الحميد (استشهد)، نائب قائد منطقة سوق أهراس، مكلف بالخصوص بالاتصالات مع الإخوة التوانسة.

كما كلفت اللجنة سائق سيارة أجرة، مهنأوي العياشي، بالنقل والاتصالات والتموين، وقد اعتقل وسجن حتى الاستقلال، خرج في 1962.

كانت التعليمات صارمة : في اليوم المحدد يجب احترام النساء والشيوخ والأطفال والمدنيين.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يجب أن لا يكون مسعنا عملا يائسا، بل واعيا، مدروسا ومنظما. الخطأ البسيط يمكن أن يدمر كل الصرح الثوري المثبت بصبر وبجهود كبيرة وتضحيات كثيرة.

الأهم هو أنها عملية بسيكولوجية كبيرة، بهدف إثارة اهتمام الرأي العام الدولي حول القضية الجزائرية التي هي قبل كل شيء قضية سياسية. في 23 و24 أكتوبر 1954، عقد اجتماع أخير في الجزائر، أين حدد المسؤولون نهائيا اليوم الموعود : أول نوفمبر 1954. بعد ذلك تم تقسيم البلاد إلى 5 مناطق عمليات للعمليات المسلحة : إقليم كل من وهران، الجزائر، القبائل، شمال قسنطينة، الأوراس .

ظل قرار إنشاء وتنظيم المنطقة السادسة للصحراء عالقا إلى وقت لاحق بعد اندلاع الثورة. فيما يتعلق بأول نوفمبر، قرر المسؤولون أن تشن الهجمات على امتداد البلاد بداية من الساعة الواحدة صباحا.

في يوم 29 أكتوبر 1954، عاد عباس لغرور من باتنة، أين حضر اجتماعا ترأسه بن بولعيد وشيخاني، اجتمعنا في منزلي على الساعة 21. وبعد افتتاح الجلسة، كلفني لغرور بقراءة نصين بالفرنسية، واحد مشكل من ورقة واحدة مستنسخة، عبارة عن منشور من قبل جيش التحرير الوطني (انظر الملحق)، قصير، بسيط وموجه للتوزيع على نطاق واسع بين السكان. أما الآخر، المؤلف من ورقتين، فعبارة عن بيان جبهة التحرير الوطني، يحدد بوضوح الأرضية السياسية للجبهة. في رأس المنشورين رسم علمان صغيران تقاطع فيهما الأخضر والأبيض وضرب فوقهما هلال ونجمة باللون الأحمر.

هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن هذه الحركة الثورية، كنا جميعا متأثرين جدا بعد قراءة المنشورين.

شهادتان لاثنين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

غاص لغرور في تفكير عميق، لم يقل شيئا. غمرت الدموع عيني وقاد، أما بن عباس فراح يردد بدون توقف : « الله أكبر، أخيرا بلغنا اليوم العظيم » .
بنبرة وقار أعلمنا لغرور أن اليوم الموعود حدد بليلة الأحد 31 أكتوبر إلى الاثنين 1 نوفمبر 1954. وأن الساعة المحددة هي : الواحدة صباحا.

ستقع الهجومات في آن واحد في كل الجزائر وفي الساعة نفسها. كلمتا السر بالنسبة لعمليات هذه الليلة هما « خالد » و« عقبة ». ثم أوصانا لغرور بحفظ سر اليوم والساعة بيننا وأن لا نكشفه لمقاتلينا إلا يوم الأحد. ثم شرع في تقسيم العمل :

لغرور : التنسيق العام للعمليات والاتصالات مع بن بولعيد لنقل الأسلحة والحصول على آخر التعليمات .

وقاد : مكلف بجمع وتنظيم المجموعات بعين السيلان، على بعد 5 كلم من المدينة، بداية من مساء يوم السبت 30 أكتوبر إلى 31 أكتوبر 1954 .

بن عباس : المراقبة العامة والاتصال بالمناضلين الذين ينبغي إعلامهم بشكل فردي، وعلى كل واحد التوجه بكل سرية بوسائله الخاصة إلى مكان الموعد .
بعد تحديد مهام كل عضو من اللجنة، مررنا إلى تعيين الأهداف التي ستهاجمها المجموعات :

– محافظة الشرطة : قائد المجموعة بن عباس غزالي، وقاد صالح نائب، بن كوت عبد الكريم، لغرور شعبان، لرقط الهاشمي، لحميم رشيد، عقابة حمودي .

– البلدية المختلطة : عباس لغرور قائد للمجموعة، شامي محمد، بورمادة عبد القادر، بورمادة قدور، سامر محمد، بوعطيل إبراهيم، لموشي محمد .

– الجندرمة : قائد المجموعة كشرود علي، غرياني علي، لعور الربيعي، شاكر محمد، حمام عمار، مخلوفي كمال، حفطاري علي .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

– الثكنة العسكرية : سعدي امعمر قائد المجموعة، مساعد ناصر سوفي، زروالي عبد الحميد، مرير لحسن، عجّال، عريف فرحات، عريف حسين، زايددي اعمر، زايددي سليمان، بن زيدان رمضان، نواصرية عبد الرحمن، بوهلالة محمد، حفطاري صالح، زايددي أحمد .

– المحول الكهربائي وقطع خيوط الهاتف : عثمانى إبراهيم المدعو التيجاني، يساعده لرقط كيلاني .

بعد المشاركة في كل التحضيرات والتنسيق لغارة خنشلة، أبلغني لغرور أنه وفقا لأوامر تلقاها من بن بولعيد، ينبغي أن لا أشارك في الهجوم على المدينة، حيث كان مقررا أن أكون على رأس المجموعة المهاجمة للبلدية المختلطة، لكوني الممرض الوحيد المؤهل في كل الأوراس . لقد أخذ هو نفسه مكاني في مهاجمة البلدية المختلطة وعوضه في منصبه سعدي امعمر الذي ينبغي أن يقود الهجوم على معسكر الجيش .

بعدها شرح لي جيدا مهمتي، وهي البقاء في القاعدة الخلفية برفقة أخوين اثنين بهدف اتخاذ كل الإجراءات الضرورية في حالة عدم عودته حيا من الهجوم على خنشلة .

إذا، كنت مزودا بكل الوثائق والأموال والعتاد، وكان علي مرافقة الأحياء إلى دوار يابوس بعد نهاية الغارة، إلى المكان المسمى لحريق، أول مكان لتجمع مجاهدي ناحية خنشلة .

بعد أن أعطى لنا الأوامر والتعليمات الأخيرة، تكفل لغرور بمهمة الاتصال بين بولعيد في الأوراس بهدف جلب أسلحة إضافية . لأن الأسلحة الممنوحة لنا لم تكن كافية لتنفيذ الهجومات الكبيرة المقررة بخنشلة .

الأحد 31 أكتوبر 1954، بالنسبة لي كان يوم إخراج ترسانة الأسلحة والذخائر والمعدات المخبأة في بيتي من المدينة . خزنا كل شيء في « العين

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

السخونة « (حمام الصالحين)، ثم جاء فيما بعد ثلاثة إخوة، تسلموا المعدات ونقلوها إلى المكان المتفق عليه، الذي سينطلق منه كومنندو الهجوم.

ستجري مباراة كبيرة في كرة القدم في خنشلة هذا اليوم، الفريق المحلي لكرة القدم USMK يستقبل الشباب الرياضي لقسنطينة. بهذه المناسبة، تعزز تواجد قوات الأمن في الملعب، لاحظنا حضور العديد من رجال الشرطة. كانت النتيجة هدفين لهدف.

في المدينة، كان الجو احتفاليا، الناس يشربون في الحانات المكتظة، لا أحد يهتم بشيء أو يكثرث لنا، خرجنا آنذاك من المدينة مارين خلف الحديقة العمومية.

إثر وصولنا إلى مكان التجمع، حضرنا استعدادات إخواننا الذين كانوا يلبسون بزاتهم العسكرية، وآخرين كانوا يتسلحون ويفحصون أسلحتهم للمرة الأخيرة. كانوا كلهم فخورين بمظهرهم. بعد ذلك جمعنا الرجال والمعدات المتاحة، وعلى الساعة العاشرة وأربعين دقيقة ليلا، وصل لغرور مسلحا ولابسا بزة عسكرية.

انتظرنا وصول الأوراسيين العشرين الذين يفترض أن يلحقوا بنا، ثم بحثنا عنهم في الغابة، واستخدمنا إشارات بالمصابيح الكهربائية اليدوية، دون جدوى. فهم لم يأتوا.

بعدها وجه لغرور خطابه لنا قائلا :

« إخواني المجاهدين الأعزاء، ها نحن قد بلغنا يوم الثورة العظيم الذي ينبغي أن يقود الجزائر إلى الاستقلال. رغم قلة بعض الأسلحة التي وُعدنا بها، وتخلف مجموعة العشرين رجلا عن الوصول من دوار يابوس، يجب علينا

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

الإبقاء على الهجومات على كل الأهداف كما خطط. وعلى كل واحد منا بذل قصارى جهده لضمان النجاح .

أعرف أننا سنواجه العدو وأيدينا عمليا فارغة، وسلاحنا الوحيد هو الإيمان، ولكن المهم بالنسبة لنا في هذه الليلة التاريخية، هو إشعال فتيل الثورة، وأنا واثق ومتأكد من أن الشعب الجزائري كله سوف يتبعنا في مسيرتنا هذه . كل واحد منا يتحمل بداخله، في هذا الوقت، جزءا كبيرا من المسؤولية في تنفيذ وإنجاح الهجومات على الأهداف المحددة وغنم الأسلحة من العدو .

انطلقوا، إنني أثق بكم، وأثق في بسالتكم وشجاعتكم .

انطلقوا، اضربوا العدو بقوة وبدون أي عاطفة وعودوا ظافرين، لأن الله مع المجاهدين ومع القضايا العادلة .

الله أكبر .»

بعد خطاب هذه اللحظة التاريخية، أمر المجموعة المكلفة بعزل المدينة هاتفيا بالتوجه إلى خنشلة . ثم جاء دور المجموعة المكلفة بمهمة تعليق مناشير جيش وجبهة التحرير على جدران كل بيوت المدينة . ثم تتابعت المجموعات الأخرى بعد فترة وجيزة، تاركين برفقتي أخوين اثنين . نحو الساعة الواحدة وعشر دقائق وصلت إلى أسمعنا أولى التفجيرات . أخيرا، الطلقات النارية الأولى للجزائر المقاتلة .

كان هناك جرحى . الجريحان الأولان للثورة، اللذان قدمت لهما الإسعافات الأولية هما : وقاد صالح، الذي أصيب عن طريق الخطأ في الساق اليمنى من قبل بن عباس، وسعدي، الذي أصيب بشظايا الألغام التي وضعتها مجموعتنا في الثكنة .

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

تخلف لغرور عن اللحاق بنا، وبدأ الحماس بالفتور. ثم قررنا الانتقال.
مع بزوغ الفجر، ظهر لغرور أخيرا، سليما معافى وهو يبتسم.
كنا جميعا سعداء وفخورين بالمشاركة في اليوم الأول للثورة.
اخترقنا غابة الأوراس لكي نشرع في عمل كبير من التوضيح والتنظيم.
وفي طريقنا، التقينا حطابا يقطع الأخشاب وكان منهمكا في الغناء. فاقتربنا
منه بهدوء:

– السلام عليكم.
– وعليكم السلام، أجاب الحطاب.
– ابتداء من اليوم، لن تزعج من قبل الفرنسيين.
– من أنتم؟
– نحن محررو البلد.
– ما معنى المحررين؟ لا أفهم شيئا ولكن... أنتم جزائريون ومسلحون.
– نحن مجاهدون، نجاهد من أجل أن تكون لديك حياة أفضل.
– كيف هي الحياة الأفضل؟
كذلك شرحنا للفلاح، وبعده لآلاف الجزائريين الآخرين، سبب كفاحنا
وأهدافه وغرضه.
دعانا لتناول الطعام عنده وكله سعادة وابتسام.
الحصيلة:

– الملازم الأول جيرار دارنو، قائد فصيلة السبايس بخنشلة: قُتل.
– الجندي أندري ماركيت، مستدعى كتيبة المدفعية 4: قُتل.
– خسائر مادية.

• الخلاصة

بالنسبة لنا، فقد رفع التحدي في هذه الليلة من نوفمبر 1954 التاريخية، من الآن فصاعداً، تجرباًنا على مواجهة الاستعمار الفرنسي، بقواته المسلحة وكل إدارته، بحفنة صغيرة من الرجال، دون وسائل، دون دعم كبير، ليس لهم سوى الإيمان والتضحية كسلاح وحيد .

أصبح الحلم حقيقة، مهمتنا بدأت للتو فقط. بالنسبة لهؤلاء الرواد مهمتهم الآن هي : تنظيم وصيانة وتدعيم الثورة حتى النصر النهائي، بعون الله والشعب الجزائري، والدول الشقيقة والصديقة، وكل الرجال المحبين للسلام والعدالة، سنوفق ولكن بكثير من التضحيات والخسائر، في الأرواح على وجه الخصوص. ذاك هو ثمن الحرية .

إن الانطلاق المتزامن للعمليات في كل الأراضي الجزائرية فاجأ العدو الذي كان رد فعله شديداً أمام حجم الهجومات . ففي الأوراس وقعت الهجومات في باتنة، خنشلة، بسكرة، الخروب، فم الطوب، تكوت، إيشمول، مضائق تيغانيمين، أمّا في أريس وبسكرة فقد تم تأجيل العمليات في آخر لحظة .

في ليلة أول نوفمبر 1954، وقعت أكثر من ثلاثين عملية عبر أنحاء الجزائر، الشيء الذي يؤكد العزيمة الراسخة للشعب الجزائري في التحرر من الليل الاستعماري الذي استمر منذ 1830 . على غرار الفيتنام، فإن الجزائر باختيارها الكفاح المسلح لاستعادة سيادتها واستقلالها، سوف تُتبع في هذا المسار الثوري من قبل كثير من الشعوب المستعمرة، التي ستخوض بدورها حروباً تحريرية ضد المحتل للانتصار لقضاياها العادلة ولتحرير بلدانها من نير الاستعمار .

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

• بيان جيش التحرير

« أيها الشعب الجزائري :

فكر بوضعك المذل تحت الاستعمار، العدالة، الديمقراطية، المساواة، ليست سوى خدع وتضليل منه .

كل هذه المصائب، يضاف إليها إفلاس كل الأحزاب السياسية التي تدعي الدفاع عنك . لنقف معا جنبا إلى جنب مع إخواننا الذين يموتون لتعيش أوطانهم في الشرق والغرب، ندعوك لاستعادة حريتك حتى وإن كانت دماؤك ثمنا لها . نظم عملك إلى جانب قوى التحرير التي يجب عليك تقديم المساعدة لها، العون والحماية .

إن عدم المبالاة بالكفاح جريمة، ومعارضة العمل خيانة .

إن الله مع المقاتلين من أجل القضايا العادلة، ولا توجد قوة يمكن لها إيقافهم منذ اليوم، إما الموت بشرف أو تحرير الوطن .

يحيا جيش التحرير .

تحيا الجزائر المستقلة .

الله معنا، الثورة تسير، وستنتصر . »

الشهادة الثانية لبن زيدان رمضان، مولود في 1928، مناضل في الحركة الوطنية، اعتقل صبيحة أول نوفمبر 1954، وأطلق سراحه في 1961، نشر شهادته الربيعي مباركي في جريدة الأحداث في 24 و 25 جويلية 2006 .

« عملت في صباغة الصوف وصناعة الأحذية، وفي سنة 1947 ألقي القبض على الحاج عبد الله مراد، إثر الاحتجاجات التي تلت الانتخابات بين المرشح القريب من حزب الشعب بن ركروك ومرشح المنتخبين الجزائريين بن شنوف الهاشمي .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

بدأ الحديث عن الثورة المسلحة أول مرة في اجتماع الحزب ببيت الحاج عبد الله مراد سنة 1952، وقال أغلب المناضلين أن الثورة هي الحل لمشكلتنا « الشعب كرهنا، لازم انديرو ثورة، شوفو لاندوشين (الهند الصينية)، ماهمش خير منا » .

في سنة 1953، انقسم الحزب، وتم افتتاح الجلسة ولأول مرة في اجتماعاتنا، باسم أشخاص آخرين غير اسم الزعيم مصالي الحاج، وبدأ الخلاف، أذكر أننا تتابعنا في عشرة مناضلين إلى بيت عباس لغرور، أين اتفقنا على العمل للثورة المسلحة ضد الاستعمار خارج إطار الحزب، وبدأ عباس لغرور التحضيرات بالتصرف في مقر الحزب (بيت الشافعي بوقفة) وباعه بغية شراء أسلحة (بنادق وخناجر)، مما أوجب الخلاف داخل الحزب .

سألني الحاج عبد الله مراد عن سر ترددي على عباس لغرور فكذبت عليه بالادعاء أن علاقتي بعباس بسيطة، وأكدت له أنني مستمر في النضال بجانبه في الحزب، درءا للشبهة أصبحت مذ ذاك أحضر اجتماعات الحزب بقيادته، وكانت تنظم عادة ببيت ناجي مراد كما واصلت دفع الاشتراك بانتظام، وكنت قد أعلمت عباس لغرور بذلك .

نظمت اجتماعين للمجموعة المنشقة عن الحزب في دكاني، ثم غيرنا مكان الاجتماعات بعد أن هددتني الشرطة حين كتب المصاليون فوق الجدار المقابل لدكاني شعار الحزب آنذاك « حرروا مصالي »، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نجتمع في الحقول سرّيا ونبلغ المعلومات لبعضنا بطرق سرّية .

اشتريت مسدسا قديما عيار 6.35 ملم وأعطيته لعباس لغرور، كما كلفت صهري حامي عبد الحميد، فاشترى لي بندقية « ستاتي » أخفيته في البيت

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

الذي أستأجره في حوش الزهرة السطاييفية، ثم سلمتها لشعبان ريم وأبلغت عباس لغرور ليستلمها منه .

كنا نخرج في مجموعة للتدرب على السلاح مرتين في الأسبوع في الموقع المسمى « شعبة الغولة »، أما المناشير فكنت أبعثها أحيانا في طرود بواسطة السيدة الفرنسية « مدام إيزات »، لتسلمها بدورها في « قايس » إلى أحد المناضلين ليوزعها بدوره، وكنت لا أعرف عنه إلا الاسم « جلالى محمد »، كما تقتضى سرية العمل .

كان عباس لغرور شديد الحيطه والحذر، حتى أنني كنت أعتبر خوفه مبالغا فيه آنذاك . أتذكر أنه لما أمرنا باليقظة ومراقبة تحركات الشرطة وقوات الدرك الفرنسية في أواخر شهر أكتوبر 1954، كلف أيضا بعضنا بمراقبة البعض الآخر، خشية التراجع أو العمالة للشرطة، وكلفني شخصا بمراقبة تحركات « لحسن مرير »، بعد أن اتهمه المصاليون بالعمالة للشرطة، وكان عباس لغرور قد منحه مبلغا ماليا لشراء بندقية، لكن لحسن مرير استنفذ المبلغ المالي دون أن يحضر البندقية، مما عزز الشكوك المثارة حوله، وكان لحسن مرير صديقي قبل أن أكلف بمراقبته، وأصبحت أتتبع خطواته ليلا حين يعود إلى بيته في بوجلبانة (حي من أحياء خنشلة)، إلى أن أعفيت من المهمة بعد أن تأكد عباس لغرور من براءته .

صباح يوم 31 أكتوبر 1954 م، أصبت بحمى شديدة، والتقيت عباس لغرور، فأمرني بإبلاغ لحسن مرير وبوعطيل إبراهيم بأن موعدنا الليلة في اجتماع مصيري بـ « شعبة الغولة »، وعلى الجميع الحضور إلى المكان .

سارعت إلى إبلاغ لحسن مرير وبوعطيل إبراهيم كما أمرت، وفي الطريق التقيت مراد ناجي، وهو الأخ الأكبر للخضر مراد، وجدته شديد القلق لغياب

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أخيه لمدة يومين متتاليين، وسألني إن كنت أعلم شيئاً عنه، فأجبتّه بالنفي، وردّ عليّ بالقول: « أنا على يقين بأنه مع عباس لغرور ».

عزم ناجي على إخبار الشرطة بغياب أخيه، ولما قدرت أن ذلك سيعرض كل خطة تفجير الثورة لخطر الانكشاف، إذ لو بلغ الخبر للشرطة ستفشل خطة العمليات المقررة ليلة الفاتح من نوفمبر، لذلك ألححت عليه ألا يخبر الشرطة، ثم قلت: إن أنت أخبرتهم سيقبضون عليك ثم سيلحقون بك أخاك لخصر، إذن عليك بالتزام الصمت وسأتدبر أنا الأمر. (في زاوية التاريخ، جريدة الأحداث 24 جويلية 2006، ص 22).

التقيت مع حسن مرير مساءً، وانطلقنا في طريقنا نحو « شعبة الغولة »، أثناء مرورنا قرب ثكنة وسط المدينة، تخلف لحسن قليلاً، ليسمح لي بالاستدارة نحوه، ورؤية الثكنة بوضوح ودون إثارة الانتباه، خصوصاً بعد أن سمعنا إشاعات مفادها أن الاستعمار يكون قد علم بمخططنا قبل الأوان، ومن حسن الحظ أنني لم ألاحظ أية قوات إضافية في حراسة الثكنة، ولا في كامل وسط المدينة.

أكملنا الطريق إلى « شعبة الغولة » التي وصلناها في حوالي الساعة الخامسة مساءً، وكان كل الطريق إلى الموقع تحت حراسة رجال من جماعتنا. وصل عباس لغرور ببعض قطع السلاح القديمة التي حملها بسيارة يقودها مهناوي العياشي، وفي الطريق، كاد عباس لغرور أن يطلق النار على قوات الدرك (كنا نسميهم الحناش)، إثر توقف السيارة أمام حاجز للتفتيش، لكن مشيئة الله أنقذته كما أبلغنا حين وصوله.

بقينا ننتظر قدوم جماعة من ناحية أريس كما قيل لنا، كان من المفترض أن تنقل لنا السلاح الذي سنستعمله في العمليات، لكن انتظارنا طال دون

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

وصولهم، مما جعل عباس لغرور ينفعل بشدة، وقام مخاطبا لنا : « يا جماعة رانا ناجحين، رانا عدينا على الحناش واعماهم ربي علينا، الثورة ناجحة، ضرك مانستناوش، ومانبقاوش امكتفين، كيفاه، ماناش ارجال والا ؟ »

كانت كلمته قصيرة ونارية، فورا تكفل بتقسيم المجموعات مع السعدي امعمر ووقاد صالح وبن عباس غزالي، وعلى الساعة الواحدة والنصف فجر أول نوفمبر 1954 م، قرر عباس لغرور الانطلاق لبدء العمليات، كما قرر أن يلتقي الجميع في دوار يابوس بعد إنجاز العمليات بيوم.

هبطنا إلى مدينة خنشلة، وكنت ضمن الفرقة التي ستهاجم ثكنة رجال الجندرمة بقيادة السعدي امعمر، وكنت قد أصبت من شدة الحمى برعاف شديد، فأعطاني سالم بوبكر أقراص أسبيرين، لكن ذلك لم يخفف عني الألم، فغادرت المجموعة خشية التأثير عليهم وإفشال عزيمتهم.

بدأت الاشتباكات، وسمعت صوت أولى طلقات البارود في حوالي الثالثة صباحا، دخلت إلى بيتي ثم غادرته مسرعا إلى الدكان، وهناك لحق بي رجال الشرطة واقتادوني إلى محافظة الشرطة بالمدينة.

بعد أن فتشني أحد رجال الشرطة المدعو « عبد الله بولبيار »، رأيتهم يخلعون ثياب الحاج عبد الله مراد، وهو أحد المناضلين المصاليين، قبضوا عليه قبل وصولي، ثم أحضروا الحلواجي « بوسكين » وهو أيضا من المصاليين، ثم أحضروا كمال مخلوفي وعقابة حمودي وزايدي أحمد وزايدي امعمر وزايدي سليمان وشاكر محمد وغرياني علي وكثير ممن لم أتعرف عليهم.

هناك التقيت جلالتي محمد الذي كنت أبعث له المناشير في قانس مع « المدام إيزات » دون سابق معرفة به، ولما سألته عن الطرود التي كنت أبعثها إليه، أنكر تماما، وراح يسألني، لماذا قبضوا علي ؟

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

بعد التأكد من هويتي دريني على كيفية التصرف في كل أمور السجن، لكونه مناضل عرف السجن سابقا لمرات عديدة .

عذبنا رجال الجندرمة عذابا لا رحمة فيه، ثم حبسنا في سجن خنشلة حيث أصبح الاستنطاق يتم بمحافضة شرطة خنشلة، أما التعذيب فبمحافضة شرطة عين البيضاء، أتذكر أسماء بعض من تولوا مهمة تعذيبنا كالشرطي دومانجي محمد وعمران وكازانوفا .

تمت إحالتي على المحكمة العسكرية بقسنطينة، وتكفل المحامي الأستاذ قايبو المعروف في مدينة خنشلة بالدفاع عني أمام المحكمة التي حكمت علي بالسجن لمدة سبع سنوات، والنفي من خنشلة لمدة عشر سنوات والحرمان من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات .

سجنت بسجن لامببيز الشهير بباتنة مع تالاس أحمد وشاكر محمد ولعور الربيعي وقادة بورمادة وبوهلالة محمد وحفطاري علي وغيرهم، وسرحت من سجن لامببيز سنة 1961 م .

من بين رجال ليلة أول نوفمبر الذين كنت أعرفهم، التيجاني عثمانني، وكنت شديد الشك فيه ولم يكن شكّي في محله، لأنه سريع الحركة، متقلب المزاج، وكان والده إسكافيا في المدينة .

أما لرقط كيلاني فقد عرفته سابقا كما عرفت أخاه الهاشمي، وكان يبيع العطور في السوق الشعبية، وعرفت غرياني علي الذي ينحدر أصله من جبل غريان بليبيا، وكان مقيما في خنشلة، وعرفت سابقا ناصر السوفي الذي كان من رجال القوم خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يعمل جزارا في وسط المدينة وعرفت رشيد لحميم وكان يعمل سائقا، وحمّام شاكر الذي كان يعمل بحافلة بوعامر، وبن عباس غزالي الذي كان أكبرنا وعيا وكان متعلما وثائرا، حاول

شهادتان لاثنتين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية

مرارا السفر للمشاركة في قتال الصهاينة في فلسطين ولم يكتب له ذلك، كما كنت أعرف كشرود علي الذي كان قد أنهى لتوه الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي وكان فقير الحال، وابن كوت عبد الكريم الذي كان يعمل إسكافيا، وبوعطيل إبراهيم المشتغل بتجارة الخضر، وبورمادة قدور الذي سبق له أن شارك في حرب الهند الصينية، وبورمادة قادة المتعلم المتابع للأحداث السياسية وكان صغير السن، مهنأوي العياشي الذي كان يعمل كسائق، ووقاد لخميسي المدعو صالح وكان متعلما ورياضيا نشيطا، يعمل بقاعة السينما بالمدينة، وابن ساعد الطيب، وشامي محمد والمناضل لعور الربيعي والصغيرين كمال مخلوفي وشعبان لغرور وعقابة حمودي الملتحق حديثا بالمجموعة، وبوهلالة محمد الذي كان على اتصال ببوعزيز محمد اللموشي الذي كان يسكن بقرية بابار، كما كنت أعرف جيدا الصغيرين لخضر مراد واعجال فلاح المشتغلين بالحطابة والمنحدرين من نفس الدوار الذي أنحدر منه .

عرفت آخرين في اجتماع ليلة 31 أكتوبر 1954 م، بشعبة الغولة، منهم السعدي امعمر وحفظاري علي وزايدي علي الذي نفذ فيه حكم الإعدام بسجن قسنطينة، ونواصرية عبد الرحمن الذي كان مميزا بطربوشه .

وعرفت في السجن فيما بعد زروالي عبد الحميد وعريف فرحات وعريف حسين وزايدي أحمد وزايدي سليمان، والوحيد الذي لم أتعرف عليه من المشاركين في تفجير الثورة التحريرية في خنشلة هو سامر محمد المنحدر من دوار يابوس . (في زاوية التاريخ، جريدة الأحداث 25 جويلية 2006، ص 22) .

الفصل الخامس

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

« يجب أن يكون لدويّ ثورتنا صدَى في جميع أنحاء العالم »

محمد العربي بن مهيدي

• يوم بعد الفاتح من نوفمبر 54

تصدرت « أحداث » أول نوفمبر – كما سمّتها الصحافة الفرنسية – عناوين الصحف الاستعمارية وصحف البلدان العربية وكذلك معظم الصحف الدولية. استيقظ الجزائريون صبيحة أول نوفمبر، منهم من هو فخور ومنهم من هو حائر وقليل منهم غير مبال.

اكتشف الخناشلة (نسبة إلى خنشلة) تصدر اسم مدينتهم كل الصحف الاستعمارية، لقد أصبحت مدينتهم في قلب أول ثورة وطنية، كما اكتشف الجزائريون في نفس الوقت وجود هذه البلدة الصغيرة المغمورة، التي تربط بين جبال الأوراس وجبال النمامشة، أين انطلقت الشرارات الأولى للثورة التحريرية، هذه الثورة التي سوف تضع حدا للحكم الاستعماري الذي دام أكثر من قرن.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

هذه المدينة غير المعروفة بالنسبة للكثيرين، مع أنها كانت في وقت مضى مدينة ذات أهمية كبيرة وذات موقع استراتيجي، تقاطعت فيه أحداث هامة من تاريخنا الوطني .

كان من المفروض أن يتصدر عناوين صحف هذا اليوم خبر الانتخابات في الولايات المتحدة، أو أي حدث كبير، كإعادة توحيد الألمانيتين مثلا، أو حتى خبر تتويج الملكة Marie من قبل Pie الثاني عشر، لكن حدث أول نوفمبر بالجزائر اعتبر أهم من ذلك كله وفرض نفسه في احتلال الصدارة، لقد ترك أثره في العقول وأيقض الضمائر والمشاعر.

هذه بعض العناوين الصحفية التي كتبت عن « الحدث » الذي هو في الحقيقة بداية ثورة .

– جريدة *La Dépêche de Constantine* : « سلسلة من الهجمات الإرهابية في الجزائر، ومقتل ضابط وجنديين في "خنشلة" و"باتنة" . »

– جريدة *Le Monde* : « مقتل العديد من الأشخاص خلال هجمات مسلحة متزامنة استهدفت مراكز الشرطة بالجزائر » .

– جريدة *France Soir* : « ظهور مفاجئ للإرهاب بالجزائر » .

– جريدة *Le Figaro* : « الأوراس في حالة تمرد » .

– جريدة *Paris Presse* : « ثلاثون هجوما هذه الليلة بالجزائر » .

– جريدة *Echo d'Alger* : « ثلاثون هجوما إرهابيا في وقت واحد بالجزائر » .

– جريدة *Le Journal d'Alger* : « سلسلة من الهجمات الإرهابية أمس بالجزائر، بعد الفلاقة، الإرهابيون... لا بد من اتخاذ إجراءات عاجلة » .

– جريدة *La Dépêche Quotidienne* : « إرهابيون ينشطون بمناطق مختلفة بالجزائر » .

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

– جريدة *L'Echo d'Oran*: « ليلة الأحد إلى الاثنين من "خنشلة" إلى "كاسيني" هجومات إرهابية في التراب الجزائري ». .

شرعت الصحافة الفرنسية في تحليل « الأحداث »، ابتداءً من اليوم الثاني من شهر نوفمبر، حيث اعتبرت « مجرد عمل قامت به مجموعات صغيرة تعمل بشكل منعزل وبطرق بدائية، هذا في المدن الكبرى، أما في منطقة الأوراس فإن هذه الأحداث أخذت شكل التمرد الحقيقي، لكن القاسم المشترك بين هذه الأعمال، هو أن كل هذه العمليات العسكرية تمت في وقت واحد وشملت كل التراب الوطني، وهذا دليل على أننا أمام عمل منظم ومدروس »¹⁸.

تفاجأ السكان صبيحة أول نوفمبر في « خنشلة »، بالعدد الهائل من الجنود الذين راحوا يجوبون المدينة على سيارات الجيب والشاحنات، وتضاعف عدد الاعتقالات بين المواطنين.

قال البعض: « يريدون محاربة فرنسا بالعصي والحجارة ! إنهم مجانيين » .

البعض الآخر قالوا: « داروها يا بوروب » أي: لقد فعلوها يا الله !

هذا يعني أنهم انتقلوا إلى الفعل، يا لها من جرأة ! .

أما بالنسبة لأغلبية السكان، فقد أخذوا يتساءلون عن سبب وجود هذا العدد غير المعتاد من الجنود .

صادف اليوم الثاني من شهر نوفمبر يوم الثلاثاء، وهو يوم السوق الأسبوعية بمدينة « خنشلة »، كان الجو باردا والأمطار تتساقط بكميات شحيحة، أعادت الأمل للفلاحين في بداية حملة الحرث بعد طول انتظار .

18. جريدة *Le Monde* في 02/11/1954 .

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

معظم المتسوقين والفلاحين يلتحفون برانيسهم أو قشاياتهم، كانت رؤوسهم ملفوفة داخل شاش أبيض أو قريب من البياض، بعضهم يقف بجانب مواشيه وسط الضوضاء والضجيج، وهو خليط من خوار البقر وصهيل الخيول وثرغاء الأغنام، بالإضافة إلى صراخ التجار والمداحين، هرج ومرج لا يمكن وصفه، كل هذا مضاف إليه تلك الروائح الغريبة المكونة من براز مختلف المواشي وأنفاسها ومن روائح التوابل والأعشاب الموسمية.

حتى أن درجة البرودة بدأت تخف من شدة ذلك الازدحام وتلك الحرارة التي كانت تنبعث من أنفاس الأبقار والأغنام والخيول، وكذا الحركة العشوائية المستمرة للمتسوقين.

كل هذا لا يعبر عن جو السوق المعتاد، فالوجه كانت متجهمة والعيون حائرة، مما يعبر عن مدى القلق السائد هذا الصباح، المتسوقون يتجنبون الحديث عن هذه « الأحداث »، ففي الواقع كانوا يجهلون حقيقة ما يجري، يضاف إلى ذلك الخوف من العساكر المحيطة بالسوق والمدججة بالأسلحة وهي على أهبة إطلاق الرصاص.

القوات الفرنسية توقف وتفتش الجميع بدون استثناء، بعض الأشخاص تم اعتقالهم وصدورت أوراق هوياتهم، لقد ساد الخوف والقلق، بعض هؤلاء المعتقلين فأخذوا يتساءلون عن سبب اعتقالهم، أما البعض الآخر من نشطاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية « MLTD » فحمنوا سبب ذلك بسهولة.

بعيدا، وفي مكان آخر بالجزائر العاصمة مثلا: كان أول نوفمبر بالنسبة للمواطن الجزائري البسيط، يمثل يوما كباقي الأيام التاريخية التي لم يقدر أو يستوعب حجمها كبدية لحدث... كذلك الأمر عندما أعلنت الصحافة الفرنسية في عناوينها الكبرى عن سلسلة الهجومات التي وقعت صبيحة الفاتح من نوفمبر 1954، في مختلف أنحاء الجزائر. كانت ردود الأفعال مختلطة ومتباينة.

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

ساد الارتياح في أوساط الشباب المتشبعين بالأفكار الوطنية، في حين كان القلق والتخوف عاما بين الإطارات السياسية التقليدية، فهم يعلمون وبالتجربة كيف يتم قمع كل ثورة في كثير من الأحيان بوحشية على حساب الآلاف من الضحايا الأبرياء... أما بالنسبة للأوروبيين، فقد تحولوا من موقف السخط إلى موقف الغضب... عند هؤلاء جميعا يجب القول أن هناك سؤالا يفرض نفسه ويبقى مطروحا دون إجابة : من الذي قام بهذه الحركة، بهذا القدر من التنسيق والتنظيم إلى درجة أنها صدمت كل العقول¹⁹.

• حياة الكرامة والشرف

بالرغم من أن النتائج المادية لهذه العمليات لم تكن في مستوى توقعات قادة الثورة، إلا أن العناوين الضخمة التي غطت هذا الحدث في الصحافة الاستعمارية كانت في حد ذاتها انتصارا كبيرا في نظر المبادرين لهذا العمل المسلح، زيادة عن العناوين التي نشرت في الصحافة العربية والدولية، وسمحت بأن يسمع صوت الجزائر في كل مكان في الجزائر وفرنسا وفي كل أنحاء العالم !

الآن فقط، يمكن للوفد الخارجي لجيش وجبهة التحرير الوطني أن يتحدث وهو مرفوع الرأس عن القضية الجزائرية، ويرفع مشعل الثورة وصوت الجزائر عاليا.

سمع صوت الجزائر من خلال معظم الإذاعات في العالم، في القاهرة أعلن في إذاعة « صوت العرب » عن بداية الثورة التحريرية : « على الساعة الواحدة صبيحة هذا اليوم بدأت الجزائر تعيش حياة الكرامة والشرف » .

19. محمد لبحاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار ANEP، 2005، إصدار غاليمار، 1970 .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لقد تم أخيرا وضع خط للمسار الثوري، وأعطيت إشارة الانطلاق بإشعال فتيل الثورة.

هجومات عديدة وقعت في أماكن مختلفة، حوالي ثلاثين هجوما، وفقا لما أوردته الصحافة الفرنسية آنذاك، لكن عددها كان أكثر بكثير، أي ما يقارب 70 عملية مبرمجة ناجحة بنسب متفاوتة (بعض العمليات لم تنفذ)، والأهم أن معظمها نفذ بالفعل، لقد رسم أخيرا خط الانطلاق لهذه الثورة، وخط القطيعة النهائية مع الاستعمار الفرنسي.

اعتبرت السلطات الاستعمارية في الوهلة الأولى هذه العمليات مجرد تمرد قبلي محلي، كما كان الحال في الثورات السابقة، لكنها كانت مخطئة، فقد أدركت لاحقا أن الأمر ليس كذلك هذه المرة، وهذا مقتطف من تقرير الجنرال Cherriere يوضح فيه هذه الرؤية «... إن الجيش يعتقد أنه في مواجهة مشكلة سبق له التعرض لها في شمال إفريقيا منذ عقود، وهو قمع متتالي لتمردين محصورين في منطقتي الأوراس والقبائل الكبرى، لخصم قليل العدد والعدة نسبيا، سطحي ومحبط، لكنه بارع في حرب العصابات... النتائج الفورية جعلتنا نعتقد في الوهلة الأولى أننا أمام انتفاضة قبليه مماثلة لتلك التي ميزت تاريخنا في شمال إفريقيا...»²⁰.

في «خنشلة»، بالرغم من أن النتائج لم تكن في مستوى توقعات عباس لغرور ورفاقه، إلا أن ما حدث، مقارنة بما حدث في مدن أخرى، اعتبر نجاحا عسكريا وإعلاميا كبيرا، فقد قتل ضابط (أول ضابط ضحية حرب التحرير في صفوف الجيش الفرنسي)، كما تم قتل جنديين، وتكبير أعوان الشرطة

20. في مجلة الدفاع الوطني (الفرنسي) ديسمبر 1956 منقول عن كتاب :
Jean Raymond Tournoux, *Secrét d'état*, Paris, Plon, 1960.

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

وتجريدتهم من أسلحتهم، بالإضافة إلى تصدر اسم « خنشلة » العناوين الأولى للصحافة الاستعمارية.

فيما بعد، انتشر أوائل ثوار « خنشلة » نحو الشرق، نحو نواحي « مسكانة » و « تبسة » و « سوق أهراس »، والشمالن نحو نواحي « عين البيضاء »، « الخروب » و « قالمة »، حيث أصبح « شعبان لغرور » شقيق « عباس لغرور » قائد هذه المنطقة والمسؤول الأول عنها، أما نحو الغرب فقد تم ربط الاتصال بثوار نواحي « باتنة »، « أريس »، « بوحمامة »، كما امتد نشاطهم نحو الجنوب إلى نواحي « ششار »، « بابار »، « تبردقة »، « خنفة سيدي ناجي » و « بسكرة ».

بعد عدة أشهر عمت الثورة كل نواحي الأوراس-الناماشة، وتعدتها إلى نواحي بعيدة مثل : « سطيف » و « مسيلة » و « بوسعادة »، وإلى أقصى الجنوب. تجدر الإشارة إلى أنه نظرا لأهمية موقع ناحية واد سوف الاستراتيجي في نقل السلاح طلب بن بولعيد عدم القيام بأي عمل عسكري هناك. لقد بدأت الحرب، إنها حرب حقيقية ستستمر لقرابة ثمان سنوات.

تفاجأت الأحزاب السياسية والجمعيات الجزائرية واندحشت لما حدث، فراح تترقب ما ستؤول إليه الأحداث وتنتظر عواقبها ونتائجها.

كثير من نشطاء الأحزاب المختلفة اعتقلوا، خاصة مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية « MLTD ».

إن ما حدث هو التتويج المنطقي لأكثر من قرن من المقاومات والانتفاضات المتتالية منها « الأمير عبد القادر »، « الشيخ الحداد »، « بوعمامة »، « الزعاطشة »، « موحد أمزيان » بالأوراس عام 1879، انتفاضة الأوراس عام 1916، وأخيرا أحداث 08 ماي 1945، تلك التي أعلنت القطيعة النهائية مع فرنسا ومع أكثر من نصف قرن من المطالبة السلمية بالمساواة والكرامة والحرية.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كل مطالب التشكيلات السياسية والجمعيات التالية: « نجم شمال إفريقيا »، « أحباب البيان والحريّة »، « جمعية العلماء المسلمين »، « حزب الشعب الجزائري »، « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية »، لم تجد آذانا صاغية من طرف فرنسا والمعمرين، فقد بقيت آذانهم صماء أمام المطالب السلمية. حفنة من الناشطين، ابتداء من المنظمة السرية (OS)، ثم اللجنة الثورية للوحدة والعمل CRUA، وأخيرا جيش وجبهة التحرير الوطني FLN-ALN اتخذت قرارها باللجوء أو الانتقال إلى العمل المسلح باعتباره اللغة الوحيدة التي سيفهمها المستعمر.

• ردود أفعال المواطنين والطبقات السياسية والجمعيات

راح المواطنون الجزائريون العاديون يتساءلون عن هذا الكم الهائل من الجنود المنتشرين في الطرقات والشوارع، أما الآخرون الذين يستطيعون تصفح الجرائد، فقد أدركوا أن شيئا خطيرا يجري، ذلك لأن تلك الهجومات التي وقعت شملت مناطق متعددة من الجزائر بالشرق والوسط والغرب.

أما الأوروبيون فكانوا يعتقدون أن هذا مجرد عمل « إرهابي » لجماعات متواجدة أساسا بمنطقة الأوراس.

العديد من القادة السياسيين ورؤساء الجمعيات وبعض المواطنين لم يؤمنوا بما تهدف إليه هذه العمليات، وقالوا: إنهم مجانيين.

أحد أهم ردود الفعل، ما جاء على لسان « عبان رمضان » إثر الإفراج عنه من السجن في شهر جانفي عام 1955، متحدثا عن كريم وأوعمران، بعد أن التقى بهما، قال: « لقد طلبت منهم (أي من الثوار) تقييما كليا للوضع، وبعد أن اطلعت على التقرير الخاص بعدد المجندين ونوعية الأسلحة التي في حوزتهم، وكذلك إمكانياتهم المادية، قلت لهم إنني أعتبرهم مجرمين لأنهم

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

أقحموا البلاد في مغامرة كبيرة وضخمة بموارد زهيدة كتلك التي عندهم، ثم عقببت على الأمر قائلاً : أنا أساساً أفهمهم، ففي وضعهم كمحكوم عليهم بالإعدام، ليس لديهم ما يخسرونه، وانضمت إليهم في هذه المغامرة»²¹.

بلغ أمر التشكيك إلى أن بعض المناضلين الأكثر خبرة لم يكونوا على اقتناع تام بالعمل الثوري، فهذا « عبان رمضان » مثلاً لم يكن مقتنعاً بالإمكانات الزهيدة التي واجه بها مفجرو ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، القوة الاستعمارية الفرنسية ! لقد أخطأ مثلما أخطأ في اعتبار كل مفجري ثورة نوفمبر من المحكوم عليهم بالإعدام، ومجرمين. لم يكونوا مجرمين، ولم يكونوا جميعاً من المحكوم عليهم بالإعدام.

قبل إلقاء الضوء على ردود أفعال الأحزاب السياسية والجمعيات، ندرج هذه الشهادة لأحد مناضلي الحركة الوطنية²² تشرح وضع وموقف الطبقة السياسية قبل شهر نوفمبر 1954... قبل عام 1954، كان هناك اتجاهان سياسيان متعايشان في الجزائر : الأول وطني يطالب بالاستقلال، ويمثله حزب الشعب الجزائري PPA، وكان يطالب بالاستقلال التام عن فرنسا، والثاني إصلاحي كان يؤيد فكرة الاندماج مع المطالبة ببعض الحقوق المدنية، كان يضم كل من « جمعية العلماء المسلمين، UDMA، و PCA واتحاد المنتخبين وبعض الشخصيات المستقلة، بالإضافة إلى كون هؤلاء يؤيدون فكرة الاندماج، واقتصرت مطالبهم على تحسين المستوى المعيشي للجزائريين، كما كانوا ينددون بالتجاوزات التي يقوم بها وكلاء الإدارة الاستعمارية خاصة، القياد والباشاغاوات ». ويستمر ليسرد مواقف هذه الأحزاب فيكتب :

21. بلعيد عبد السلام، المجازفة والتاريخ، الجزء الأول، الجزائر، إصدار المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ENAG، ص 135.

22. عمر غزالي ناشط في حزب الشعب الجزائري PPA منذ عام 1942، وسجن من 1954 إلى 1957، شظايا من الذاكرة، إصدار قصر الكتاب، 2003.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

« إنه تلاعب بذيء بالحقيقة التاريخية، لما ينسب استعادة الوعي لدى الشعب الجزائري لهؤلاء الإصلاحيين ويتم اعتبارهم مبادرين، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من قريب أو من بعيد، بإشعال فتيل الثورة...»

للتذكير ها هي بعض المطالب المدرجة ضمن برنامج هؤلاء الإصلاحيين :

– UDMA : المطالبة بحكم ذاتي تمارس فيه السلطة من قبل نخبة معينة مختلطة : الجزائريون والأقدام السوداء.

– أما برنامج " أحباب البيان " فقد تم رفضه واعتبر غير واقعي، لهذا السبب تم التخلي عنه.

كما رأت " جمعية العلماء المسلمين " من جهتها أن استقلال الجزائر " وهم وحلم "، وكانت تدعو لمحو الأمية وتعميم اللغة العربية.

– اقتضت مواقف الحزب الشيوعي الجزائري PCA على السعي من أجل محو الفوارق الاجتماعية، والتنديد بالتجاوزات والانتهاكات المرتكبة من طرف الإدارة الفرنسية وأتباعها، ففكرة الانفصال عن فرنسا كانت أمرا غير مطروح البتة في الوقت الحالي.

– اتحاد المنتخبين والشخصيات المستقلة كانوا يسعون جاهدين من أجل تحسين الوضع الاجتماعي...»²³.

إن ردود فعل الأحزاب لم تكن في البداية مشجعة بالنسبة لرجال نوفمبر، لكن إيمانهم وإرادتهم كانت أقوى من كل العراقيل. كانوا متأكدين أنه عاجلا أو آجلا ستلتحق هذه الأحزاب بمسار الثورة. وهذه بعض مواقف الأحزاب كما أوردها محمد حربي : بالنسبة لحزب UDMA كان « فرحات عباس »

23. عمر غزالي، نفس المرجع السابق.

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

يعتبر الكفاح المسلح مجرد خيبة أمل، فوضى ومغامرة؛ فبالنسبة له هو إعادة لأحداث ماي 1945، التي ندد بها.

إن تزوير الانتخابات في أبريل 1955 أيقظ « فرحات عباس » من أحلامه وأقنعه بأن الحاكم العام « سوستال » ليس بمقدرته إقناع الأوروبيين بقبول التغييرات، بل هو فقط يحاول استدراج الجزائريين والتلاعب بهم من أجل عزل « حزب جبهة التحرير الوطني ».

أما بالنسبة للمركزيين: « كانوا يجعلون دائما من اتحاد كل الوطنيين، حتمية للكفاح المسلح، فبعد أن تم تبليغهم بأن يوم 15 أكتوبر هو تاريخ اندلاع الثورة، قامت اللجنة المركزية بتكليف كل من "حسين لحوّل" و"امحمد يزيد" بالذهاب إلى القاهرة، لدعم "بن بلة" وإقناعه بضرورة جعل فكرة الكفاح المسلح مشروطة بتحقيق المؤتمر الوطني الجزائري... »

ففي أول نوفمبر، اعتبر المركزيون هجومات الفاتح من نوفمبر مغامرة، كما توقعوا تراجعاً في الحركة الوطنية، وتحت وقع هذه الظروف وجد كل من "لحوّل" و"يزيد" نفسيهما مجبرين على البقاء في "القاهرة" لخدمة مصالح جبهة التحرير الوطني²⁴.

بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين: « من بين كل الاتجاهات الوطنية في الجزائر، كانت جمعية العلماء المسلمين آخر من حدد موقفه، في الفاتح من نوفمبر 1954 طلب "أحمد بن بلة" من "الشيخ البشير الإبراهيمي" دعوة الجزائريين للمشاركة في الكفاح المسلح لكن هذا الأخير رفض الفكرة رفضاً قاطعاً.

كما امتنعت جريدة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر العاصمة عن التعليق عن هذا الحدث، واختارت التحفظ والحياد: « في هذا الوقت الحالي ليست لدينا أي معلومات مفصلة ومرضية؛ ولهذا لا يمكننا الإدلاء بأي

24. محمد حربي، جبهة التحرير الوطني سراب وواقع، إصدار Jeune Afrique، 1980.

تعليق... بالطبع ليست "البصائر" من سمحت لنفسها بإجراء خطوة جريئة في هذا المجال.

في جانفي 1955، دعت جمعية العلماء المسلمين إلى تجمع شعبي جزائري في مسيرة تضم جميع المنظمات والشخصيات المستقلة والمعروفة بتعاطفها مع القضية الجزائرية، هذه المبادرة التي تتعارض تماما مع الأهداف المسطرة من قبل جبهة التحرير الوطني، تشبه في بعض الحالات نداء المركزيين في الثاني من نوفمبر 1954.

بالنسبة للحزب الشيوعي، فباسم مبادئه المتمثلة في تمثيل العمال، فند ادعاء جبهة التحرير التمثيل والتحدث باسم كل الأمة، تحت وطأة الظروف، وفي بيان مؤرخ في الثاني من نوفمبر 1954، وجد PCA نفسه مجبرا على تحديد مواقفه الأساسية حول القضية الجزائرية، مع ملاحظة عدم تواجد أي إشارة لمطلب صريح بالاستقلال... بيان كهذا كان هو بحد ذاته موقفا صريحا ضد هذا المطلب»²⁵.

على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي، فقد انتقد الحزب الشيوعي الجزائري "أنصار العنف"، أما مناخلو الحزب الشيوعي بمنطقة الأوراس، فلم يتأخروا عن الالتحاق بالثوار. « في الحين اتصل شيوعيو الأوراس قروف والعمراني بمصطفى بن بولعيد»²⁶.

وأمام ردود الأفعال هذه، واصل ثوار نوفمبر طريقهم من أجل نشر الوعي وتحسيس الشعب الجزائري بضرورة الكفاح المسلح، كما واصلوا سلسلة الهجومات على المراكز العسكرية، وعمليات تنفيذ الكمائن ضد الجيش الفرنسي. إنها اللغة الوحيدة التي يفهما المستعمر. لقد تطلب الأمر أكثر

25. محمد حربي، *ibid*.

26. محد حربي، *ibid*.

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

من سنة ونصف السنة، ليقتنع مجموع الأحزاب السياسية وجمعية العلماء المسلمين بالانضمام سياسيا إلى صفوف الثوار، وليضموا صوتهم إلى الوفد الخارجي لقيادة الكفاح.

• « رعد في سماء صافية »

كما تمنى « العربي بن مهدي » وصرح، وصل صوت الثورة الجزائرية وصددها إلى جميع أنحاء العالم. فقد وصف العديد من المؤرخين والصحفيين الفرنسيين عمليات أول نوفمبر بضربة « رعد في سماء هادئة ».

عرفت « الأحداث » - كما سمتها الصحافة الفرنسية - تأييدا وترحيبا كبيرين في الدول العربية، خاصة من قبل الشعوب، أما تونس والمغرب فقد أعلنتا عن استعدادهما لدعم الثورة الجزائرية وجعلها ثورة مشتركة في إطار جيش التحرير المغربي الذي كان قد نسق له رواد الحركات الوطنية، وبلغ مرحلة التوحيد من أجل كفاح مشترك، لكن تم إجهاضه من طرف فرنسا كما سنرى فيما بعد.

أبلغ الوفد الخارجي الجزائري في مصر الرئيس « جمال عبد الناصر » عن نية الجزائريين في إشعال فتيل الثورة، خصوصا وأن مصر كانت مستعدة لتدعيم الثورة، لكنها فقط كانت تشك في قدرة الجزائريين على تفجيرها.

بعد اندلاع الثورة تساءلت ففة من مجلس الثورة المصري، عن مدى نجاح أي عمل مسلح تقوم به مجموعة صغيرة من الرجال وبأسلحة قليلة وبدائية ضد بلد مثل فرنسا المدعومة من حلف شمال الأطلسي.

لقد برهن الثوار على قدرتهم وتحدوا فرنسا والحلف الأطلسي وكل الشكوك التي أثيرت حول قدراتهم.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

في البلدان الآسيوية مثل الصين والهند، وأمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية، كان التعاطف مع الأحداث بارزا، إذ بعد خمسة أشهر من أول نوفمبر، حضر الوفد الجزائري الخارجي في مؤتمر « باندونغ » لدول عدم الانحياز بأندونيسيا، كان ذلك أول انتصار دبلوماسي كبير تم تحقيقه بفضل الفاتح من نوفمبر 1954، فقد فتح العمل المسلح الطريق واسعا أمام السياسيين، لقطف أولى ثماره .

تجلت أهمية العمل العسكري بعد ذلك، في هجومات 20 أوت 1955، وفي معركة الجرف الكبرى في 22 سبتمبر 1955، حيث تم تسجيل القضية الجزائرية في الأمم المتحدة .

بعد سنة تحقق الهدف الذي ناضلت من أجله الأحزاب السياسية منذ عشرات السنين، إنه الطريق نحو الاستقلال .

تكمن عبقرية رجال نوفمبر في عدم عجزهم أو يأسهم أمام المواقف المحبطة للأحزاب السياسية وكاريزما قادتها ؛ فقد كانوا واعين بأنهم يملكون وسائل ضئيلة وتقليدية، لكن إرادتهم كانت فولاذية، وكما جاء في بيان أول نوفمبر 1954 : « النضال سيكون طويلا، لكن النتائج ستكون مؤكدة » .

في اليوم التالي لأول نوفمبر، تراجع عدد من المناضلين، غادر بعضهم الجزائر للعيش في مآمن بعيدا عن ويلات الحرب، وغادر البعض الآخر الجزائر في مهمة إلحاق صدى الثورة دبلوماسيا إلى جميع أنحاء العالم، وتزويد المجاهدين بالأسلحة .

شنت القوات الاستعمارية في اليوم التالي لأول نوفمبر هجومات شرسة على كل مناطق الأوراس-الناماشة، ووقعت أول وأهم مواجهة للمجاهدين مع العدو، في 29 نوفمبر 1954، استشهد فيها البطل قرين بلقاسم . « لقد كانت هذه أول معركة للمتمردين الجزائريين بالقرب من أريس بالأوراس »²⁷ .

27. وفقا لمجلة هيستوريا، رقم 195، ص 41 .

عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر

وقعت أولى الطلقات في الأوراس-الناماشة... لا يهم إن وقعت بخنشلة أو باتنة أو بسيدي علي أو ببوفاريك أو بعزازقة، المهم أنه تم إشعال الفتيل الذي تحول بسرعة إلى لهيب عم جميع أنحاء الوطن.

في هذا اليوم الأول كان عدد المجاهدين من رفاق بن بولعيد وعباس لغرور وعجول وشيخاني في الأوراس-الناماشة وفي مختلف أنحاء الجزائر، لا يتعدى 1000 مجاهد، معظمهم من المنطقة الأولى، لكنه سرعان ما تضاعف إلى الآلاف ثم عشرات الآلاف من المجاهدين والمجاهدات، المسبلين والمسبلات، يجوبون الجبال والسهول والصحاري في كل مناطق الجزائر وفي كل عواصم العالم، كل بسلاحه الخاص، في الداخل الكثير منهم واجهوا العدو مباشرة بشجاعة فولاذية وبكل قوة معنوية ومادية، فذهبوا بذلك إلى أبعد الحدود في التضحية وهي الاستشهاد. لقد اهتزت الجزائر هزة عنيفة زعزعت إمبراطورية فرنسا الاستعمارية وأيقظت العديد من الشعوب المستضعفة، وكان مركز هذه الهزة جبال الأوراس وجبال النمامشة!

« يمكننا القول اليوم، دون خوف من الوقوع في الخطأ، أنه لولا وجود « مصطفى بن بولعيد » لكانت محاولة التمرد في الجزائر قد سلكت مساراً مختلفاً، في حين كان على فرنسا آجلاً أو عاجلاً أن تعرف مشاكل كبيرة، لأنه في السياق الدولي، كانت البلاد لا محالة على طريق التحرر، وبالتالي الاستقلال، لكن غياب مركز لتفشي العصيان في الفاتح نوفمبر في الأوراس كان سيغير بالتأكيد طابع التمرد... »²⁸.

28. جان فوجور، من التمرد إلى الثورة في الأيام الأولى من الحرب في الجزائر، باريس، ألبين ميشال، 1885، ص 420.

الفصل السادس

توقيف ، تعذيب ، تهجير واغتيال

• إعدام أربع نساء : 16 سنة ، 27 سنة ، 32 سنة ، و 64 سنة

كان رد فعل السلطات الفرنسية سريعا وعنيفا، ففي اليوم الأول من نوفمبر باشرت القوات الفرنسية عمليات واسعة النطاق لتوقيف الجزائريين، خصوصا مناضلي MTL، وعائلات الثوار. في هذا الاطار تم توقيف كل عائلة عباس لغرور، الزوجة والأب والإخوة وكل من يحمل نفس اللقب. معظم من تم اعتقالهم لا علاقة لهم بما حدث، فقد تم احتجازهم كرهائن للضغط على الثوار. تم تعذيبهم جميعا. كان لدى زوجة عباس طفل (طارق) ذو ثمانية عشر شهرا، لم تتمكن من إرضاعه، وقبل ترحيلها إلى المعتقل، حبست وعذبت لمدة خمسة عشر يوما. بالإضافة إلى آلام التعذيب، كانت تتألم من انتفاخ ثدييها بسبب عدم إرضاع ابنها لعدة أيام. رغم كل ذلك لم تفش بهذا الألم لمعذبيها، ولاحقا كانت ترفض الحديث عما عانته من التعذيب. عندما أسألها عن كيفية تعذيبها كانت تهز رأسها وتتنهد وتقول لي بالشاوية « آه أمان التريستي ذ التيو » أي الماء والكهرباء والأنبوب، وهي وسائل التعذيب السائدة آنذاك. وعندما أُلح بأسئلة دقيقة، تتنهد أيضا وتقول لي بالشاوية

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

« أصلح أممي، ادج غاذي فلاك » أي يا بني صالح، دعك من هذه الأمور. مع ذلك تتذكر « تصرفا إنسانيا » فتضيف : « عندما كنت في ساحة الحبس "للاستراحة" كنت منزوية متكئة برأسي على الحائط، ورحت أضغط برفق على ثديي لاستخراج الحليب الذي كان يقطر بصعوبة وبكمية قليلة، كنت أتألم في صمت، فإذا بسيدة لا أدري إن كانت زوجة مسؤول الحبس أو مسؤول الجندرمة - لا أعلم بالضبط - رأيتني في هذه الوضعية، قرب حماي (أب زوجي) الذي كان هو الآخر يتألم من شدة التعذيب. تكون حالتني قد أثرت في هذه السيدة التي أعتقد أنها أم ولديها أطفال، نساؤهم فقط (الفرنسيون) عندهن شفقة، لقد صدمت بوضعتي فتدخلت بقوة - كما أعتقد - لتحريرنا أنا وحماي. وتم فعلا تحريرنا، لكنني لم أتمكن من إرضاع ابني، إذ لم يعد هناك حليب في ثديي... هل فهمت الآن لماذا هو ضعيف جسم طارق ؟ » هكذا أنهت حديثها مبتسمة.

توفي الأب في فبراير سنة 1955، متأثرا بالتعذيب الذي تعرض له بعد اعتقاله مرة ثانية من محتجز « امتوسة » الذي كنا فيه. ووقع له نزيف دموي داخلي على مستوى الأضلاع التي تحطمت من جراء التعذيب حيث داس جلادوه صدره بأرجلهم، ومُنِع الأهل من حضور الجنازة.

دخلت زوجة عباس المستشفى لإجراء عملية جراحية معقدة بعد ثلاثين سنة من الاستقلال، وأديت لها زيارة في المستشفى وهي مازالت تعالج وتتغذى بطريقة اصطناعية، عدد كبير من الأنابيب والأسلاك المختلفة معلقة بجسمها. سألتها عن حالها بعد العملية، فردت علي والدموع تملأ عينيها « أترى يا صالح يا ولدي ؟ هكذا كنت أعذب في نوفمبر 1954، هكذا فعلت فينا فرنسا ».

كان قرار السلطات الفرنسية إعدام جميع أفراد العائلة، كما صرح حاكم مدينة خنشلة « فيفي دو غيجي » : « يجب إعدامهم جميعا حالا

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

كمثال». وبعد اجتماع لمناقشة الفكرة تراجعَت السلطات عن هذا القرار « لكن السلطات قررت ترحيل العائلات إلى محتشد»²⁹، وهكذا تم نقل العائلات إلى المحتشد خلال نهاية شهر نوفمبر 1954.

ليلة أول نوفمبر كما كتبها صحفي « لبيراسيون » : « تمرد ليلة 1 نوفمبر 1954 أوقف طواف الفرسان في هذا الميدان المنعزل وسط المدينة (يقصد الثكنة العسكرية). فعلا في ليلة 31 أكتوبر إلى 1 نوفمبر هاجمت مجموعات إرهابية الأماكن الحساسة لمدينة خنشلة من بينها الثكنة العسكرية. اغتيل حارس وضابط فرنسي هو الرائد " دارنو" من الفيلق 9 "القناصة" الذي سميت الثكنة باسمه ». تكتشف فرنسا في نفس الوقت في الصفحات الأولى للجرائد ميلاد « جبهة التحرير الوطني » ووجود مدينة خنشلة أين سقط أوائل ضحايا حرب التحرير. بعد ثلاث أسابيع تم توقيف عشرين مشتبه فيهم. مباشرة اجتمع مجلس إدارة البلدية المختلطة لخنشلة : رئيس إدارة مدينة خنشلة « فيفي دوغيجي »، رئيس البلدية بن شنوف، ومساعدته « جان لوتشياني » والأعضاء المستشارون للبلدية. « جان لوتشياني » مثل أخيه « ماتيو » يسكنان في جزيرة « كورسيكا » يرويان : « تسألنا ماذا نفعل بهؤلاء الأشخاص ؟ " فيفي دوغيجي " كان مع فكرة خنق التمر في مهده. صرح بأنه يجب إعدامهم جميعا ليكونوا مثلا. عارضت هذه الفكرة مع بقية الأوروبيين. كانت مناقشة حادة لكن انتصرت فكرتنا، فقد تم تحويل المساجين على العدالة. في النهاية قال لي : "لوتشياني"، في يوم ما سوف تتأسفون على رأفتكم وسوف تذرّفون دموعا من الدم لكن بعد فوات الأوان ».

29. جريدة « لبيراسون » بتاريخ 21 جوان 1982 التي حققت في المقبرة الجماعية المكونة من 1300 هيكال التي اكتشفت في المدينة في فيفري 1982.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كان هذا بعد أول نوفمبر في مدينة خنشلة، « فيفي دوغيجي » كان المسؤول الإداري الأول على منطقة خنشلة، كان رده عنيفا. بأعجوبة نجت عائلات الثوار من الإعدام المحقق. وصل تكالب وهمجية القوة الاستعمارية (وهذا مثال فقط) إلى درجة إعدام أربع نساء بتاريخ 19 نوفمبر بمدينة « تكوت » بالأوراس وهن : منصور بوسنة 64 سنة، جمعة بوسنة 32 سنة، فاطمة جغروري 27 سنة، فاطمة بالرحايل 16 سنة. بالإضافة إلى قبلة مناطق أهلة بالسكان بقنابل النابالم في الشهر الأول من بداية الثورة، مما تسبب في اغتيال المئات من السكان ونزوح الآلاف منهم وترحيلهم إلى محتشدات في ظروف قاسية حيث تعاني عشرات الآلاف من العائلات التي تم إيوائها داخل مخيمات من البرد الجليدي في الشتاء ومن الحرارة القاسية صيفا. كما تسببت قبلة المناطق الجبلية في احتراق آلاف الهكتارات من الغابات والأشجار، منها أنواع من الأشجار النادرة.

• 80000 منشور أسقط على الأوراس

بعد شهور قليلة، تم تعيين الجنرال « بارالنج » ليسيير مصالح الأمن والمصالح الإدارية لمنطقة الأوراس-النمامشة، بما فيها مناطق بسكرة ووادي سوف. كتب « جان فوجور » الذي كان مسؤول الأمن في الجزائر أثناء اندلاع الثورة في مذكراته : « مشكل كبير يواجهنا : عائلات الثوار تعد بالنسبة إلى الثوار مصدرا أساسيا للدعم اللوجستيكي ومصدرا أساسيا للمعلومات. كيف نتصرف معها إن لم نجتمعها بعيدا ؟ لكن أين ؟ ». يضيف « جان فوجور » بأن مراكز الحشد تتكاثر وهذا تطبيقا لمخطط أنشئ خصيصا للأوراس من

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

طرف العقيد « فيغلي » ضابط SLNA (مصلحة الاتصال لشمال إفريقيا)، والذي يتضمن عزل الأوراس جغرافيا وعرقيا (أي حسب التقسيم القبلي)³⁰. تدخل رئيس بلدية خنشلة ونائبه بن شنوف لدى أب عباس لغرور ليطلب منه أن يتصل بعباس ليسلم نفسه ويعود إلى « الطريق المستقيم » مضيفا وبصوت فيه نوع من التهديد : « انتبه جيدا، إن فرنسا قوية، ذراعها طويل جدا ولا تعفو مرة ثانية. إن لم يسلم نفسه فإن العواقب ستكون وخيمة بالنسبة لعائلته »، فأجابه الأب بهدوء : « سيدي اذهبوا إلى الجبل، عندما تجدونه سأقول له ».

ألقت الطائرات الفرنسية 80000 منشور على القرى وبالخصوص قرى غسيرة، زلاطو، إشمول، وواد طاقة من أجل ترهيب الأهالي. ينتهي محتوى المنشور بما يلي : « أنتم أيها الرجال، أنتم الذين تمردتم بدون تفكير، إذا لم ترتكبوا أية جريمة التحقوا حالا بالمناطق الآمنة بأسلحتكم فلن يصيبكم أي ضرر. قريبا سيسقط على رؤوسكم ضرر مرعب، إنه النار من السماء وبعده سيسود السلم الفرنسي »³¹. أعلنت حالة الطوارئ في الأوراس وفي منطقة القبائل لتتسع إلى كل مناطق الجزائر فيما بعد في نوفمبر 1955، أي بعد هجمات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955.

بعد شهر من اندلاع الثورة « افتتح أول معتقل في خنشلة. أين تم حجز 160 شخصا »³².

عائلة لغرور عباس الذين تم ترحيلهم إلى معتقل « امتوسة » على بعد 25 كلم شمال خنشلة تتكون من 64 شخصا. من هذا المعتقل وبعد الإقامة فيه

30. Jean Vaujour, *ibid*.

31. Yves Courrière, *ibid*.

32. Ounasa-Siari Tengour, *ibid*.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

لمدة ما يقارب شهرين تم نقل كل الذكور البالغين 18 سنة فأكثر إلى محتشدات « الجرف » و« بوسيو » و« أرزيو » في الغرب الجزائري، أما الأطفال والنساء فتم « تسريحهم » بعد ما يقارب سنة من الإقامة في المحتشد.

قائمة عائلة لغرور عباس التي تم اعتقالها حسب المؤرخة « وناسة سياري تنقور » في كتابها « تاريخ الجزائر المعاصر » مصدر أرشيف « اكس انبروفانس » رقم : CAOM, 6 SAS 40 :

- لغرور عمر بن علي، 51 سنة، 12 فردا.
 - لغرور الطيب والريعي بن شنتة، 65 سنة، 5 أفراد.
 - لغرور لخليل بن شنتة، 45 سنة، 5 أفراد.
 - لغرور محمد بن عمار (أب عباس) 64 سنة، 8 أفراد.
 - لغرور بوعزيز بن محمد (أخ عباس) 6 أفراد.
 - بوغرارة قمرّة بنت علي، 30 سنة، زوجة عباس لغرور وأبناؤها حسينة وحشاني وليتيم العطرة بنت محمد (أم عباس)، 64 سنة، 4 أفراد.
 - لغرور الريعي بن عبد الحفيظ، 44 سنة، 4 أفراد.
 - لغرور خميسي بن الميهوب، 24 سنة، 3 أفراد.
 - لغرور فرحات بن عباس، 64 سنة، 4 أفراد.
 - لغرور عمار بن أحمد، 29 سنة، فردان.
 - لغرور السبتى بن المسعود، 45 سنة، 7 أفراد.
 - لغرور سعيد بن علي، 60 سنة، فردان.
 - لغرور أحمد بن مسعود، 24 سنة.
 - لغرور عمار المدعو عيسى، 30 سنة، فردان.
- هذا الاحصاء أُعد من طرف « القايد » عمار أوعياش في 1 ديسمبر 1954، ويحتوي التعداد على بعض الأخطاء في السن.

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

هذه عينة من مئات عائلات الثوار، ومن المحتشدات التي تأسست في الأيام الأولى لاندلاع الثورة، وقع اعتقال عشرات الآلاف من العائلات في كل مناطق الأوراس-النامامشة، وتصل الإحصائيات الرسمية سنة 1960 فتذكر الباحثة وناسة تنقور « أن 31.8 بالمائة من سكان دائرة خنشلة تم حشدهم وما يقارب 50 بالمائة من سكان الأوراس تم ترحيلهم » أي جمعهم في محتشدات، هي عبارة عن خيم من القماش. تتسع فيما بعد هذه المعتقلات لتشمل كل مناطق الجزائر، أكثر من ثلث الشعب الجزائري كان محتجزا.

قائمة مجاهدين من عائلة لغرور .

- عباس لغرور، اغتيل غدرا بتونس سنة 1957.
- شعبان لغرور شقيق عباس، استشهد بمنطقة عين عبيد أثناء معركة 1955 .
- محمد بن عمار لغرور، أب عباس، استشهد إثر التعذيب سنة 1955 .
- بلخير لغرور المدعو عمار، فر من معتقل الجرف، استشهد سنة 1960 .
- أحمد بن فرحات لغرور، استشهد سنة 1960 وسنه لا يتجاوز 17 سنة، استعمل كدرع من طرف الجيش الفرنسي .
- لغرور لخليل، فر من معتقل الجرف والتحق بالثوار، عاش حتى الاستقلال .
- لغرور الصادق فر من معتقل الجرف والتحق بالثوار، عاش حتى الاستقلال .

• « الأوراس مهد التمرد، الأوراس سيكون مقبرته »

كانت هذه بعض تصريحات العسكريين الفرنسيين وعناوين الصحف الفرنسية، على مدى الأشهر الأولى للثورة .

راسل « جان فوجور » مسؤول الأمن العام في الجزائر بعد ظهر يوم 2 نوفمبر الحاكم العام للجزائر بمذكرة تحمل رقم 42257 جاء فيها : « يبدو أننا في جبال الأوراس أمام المزيد من التمرد الذي يتسم خصوصا بالعدد المتزايد

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

والمستمر في عدد الثوار والذي - حسب آخر المعلومات - يقارب ألف رجل، هذه المعلومات تسمح لي بالتخوف من أن هذه الثورة التي مسرحها منطقة الأوراس هي نقطة انطلاق لحركة عامة في شمال إفريقيا³³. حسب المصادر الجزائرية فإن العدد الأول للثوار لا يتعدى 1000 مجاهد، وهو أهم عدد على مستوى الوطن في بداية ثورة التحرير. ينهي « جان فوجور » تقريره بطلب: « فرقة كبيرة من القوات المسلحة مكونة أحسن تكوين ومدعمة لمواجهة الطابع الخاص للعمليات التي يمكن أن يتطلب منا إجراؤها ».

فعلا، في الرابع من شهر نوفمبر تم إرسال ست فيالق من الكتيبة 25 المحمولة جوا (2400 جندي) إلى الجزائر بقيادة العقيد « دي كورنو » أين قاموا بأولى العمليات العسكرية في الأوراس.

في 21 مارس 1955، أقر المجلس الوطني الفرنسي بالأغلبية حالة الطوارئ التي تدعم السلطة العسكرية في منطقة الأوراس-الناماشة وما جاورها، وتسمح وتخول لها « جمع » السكان « الملوئين » داخل مخيمات « الاستضافة ».

في الواقع تم حشد السكان في الأسابيع الأولى من اندلاع الحرب، وقنبلة المناطق الجبلية الأهلة بالسكان لترغمهم على مغادرة سكناتهم. تزعزت السلطات الاستعمارية وأعلنت تعزيز قواتها العسكرية، وأعلن « فرانسوا ميتيران » وزير الداخلية في خطاب له أمام الجمعية الوطنية: « تنتشر الضوضاء هنا وهناك وفي وقت واحد، بان النار والدم في الجزائر. نفس ظاهرة الإرهاب الفردي عرفتها المغرب وتونس في المدن وفي البوادي. هل من اللازم

33. Jean Vaujour, *ibid*.

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

أن تغلق الجزائر حزام هذا العالم المتمرد منذ خمس عشرة سنة ضد الأمم التي تدعي الوصاية عليها؟ أقول لا... وهذا لن يكون لأن الجزائر فرنسية»³⁴.

تجدت كل المصالح الفرنسية عسكرية وسياسية لإخماد الحريق قبل أن يلتهم نظام الاستبداد الاستعماري الفرنسي.

بعد ترحيل مئات الآلاف من السكان إلى المحتشدات وقنبلة القرى والجبال وحرق الغابات، اجتاحت النظام الاستعماري الفرنسي مرحلة اليأس، فمر إلى الأحكام بالإعدام. في 6 سبتمبر 1955 تم استدعاء المحكمة الدائمة للقوات المسلحة بقسنطينة للحكم على الذين هجموا على مدينة خنشلة ليلة 1 نوفمبر 1954، التي ترأسها «هانريكي»، كان ممثل النيابة العامة هو الرائد «سيموني»، الكاتب هو ضابط الصف «دوفي»، والمترجم هو ضابط الصف «مرابط».

خمس وثلاثون رجلا التحقوا بالجبال مع لغرور عباس، 16 منهم تمكنوا من الفرار من قبضة رجال الأمن حكم عليهم غيابيا وهم: سالم بوبكر، مسعي عون، زروالي عبد الحميد، سعدي معمر، رداح موسى، عريف علي، مرير لحسن، بن أعراب الطيب، عباس لغرور، شامي محمد، كاتب شيحاني بشير، واللذين تم اغتيالهما معا، بن عباس غزالي، وقاد خميسي، لغرور شعبان، بن كوت عبد الكريم، عثمانى براهيم، لرقت كيلاني، من بين 19 متهم الذين مثلوا يوم 6 سبتمبر 1955 أمام المحكمة العسكرية ن حُكم على سبعة منهم بالإعدام، من بينهم زايدى عمر، عوف فرحات، والذين تم إعدامهما في سجن قسنطينة³⁵ يوم 13 فيفري 1956 « حسب هذا الكاتب فإن أول تنفيذ

34. Jean Vaujour, *ibid*.

35. Jean Pierre Marin, *Au Forgeron de Batna*, Paris, L'Hrmattan, 2005, p. 214.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

للحكم بالإعدام خلال الثورة هو بتاريخ 13 فيفري 1956، على زايدي عمر وعريف فرحات وبالتالي فهما أولا المعدومين في الثورة » .

• تنظيم الخلايا الأولى لأوائل الثوار

أول خلية المصالح الصحية للثورة الجزائرية

حددت مجموعة الـ 22 حدود المنطقة الأولى الأوراس-النمامشة كالتالي :
تمتد حدودها بداية من الغرب : الأغواط، بوسعادة، مسيلة، من الشمال :
برج بوعريريج، سطيف، لخروب، عنابة، من الشرق : سوق أهراس، تبسة،
كل الحدود التونسية، من الجنوب : الواد، ورقلة، ثغرت، أي كل جنوب
المنطقة. تعد من المناطق الأكثر مساحة مع المنطقة الخامسة، قبل إنشاء المنطقة
السادسة. هذه التفاصيل مهمة لاستيعاب صعوبات التنظيم الجمة التي
واجهت القادة في بداية الثورة.

تمكنت المنطقة الأولى منذ الأيام الأولى للثورة من هيكلة مصالحها،
شيخاني بشير مساعد بن بولعيد برفقة كل من عباس لغرور وعاجل عجول
حضروا مخططا تنظيميا يحتوي على مصالح مختلفة من بينها مصلحة
الإعلام التي تكفلت بإصدار جريدة *Le Patriote* التي كانت ترسل نسخا
منها إلى المناطق الأخرى. والمصالح الصحية، حيث وحتى قبل بداية الحرب
تمكن عباس لغرور من تجنيد ممرضين مناضلين أحدهما بقي في المدينة لتزويد
الثوار بالأدوية وهو « الحاج يعلى » والثاني وهو سالم بوبكر منعه من المشاركة
في العمليات العسكرية ليلة نوفمبر نظرا لأهميته، وكُلف بالانتظار خارج
المدينة وعالج أول جريحين ليلة نوفمبر. يكتب سالم بوبكر في شهادته في
كتاب *Récits de Feu* : « كان هناك جريحان، أول جريحين في الثورة عالجتهما

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

وهما وقاد الذي جرح بخطأ من بن عباس في ركبتة اليمنى، والسعدي جرح بشظايا نتيجة انفجار قنبلة وضعت في الثكنة من طرف مجموعتنا » .

يمكن القول بأن سالم بوبكر هو أول ممرض في الثورة الجزائرية. (يمكن الاطلاع على التفاصيل في كتاب : *Dossier secret de l'Algérie*, t. 1, p. 63 Claude Pallait) وقد أنشأ فيما بعد مركز معالجة للإسعافات الأولية، وأصبح هذا المركز مستشفى في أدغال جبال الأوراس-الناماشة، تجرى فيه حتى العمليات الجراحية، ترأسه الطبيب عثمانة محمد والتحق به فيما بعد أطباء وممرضون وممرضات آخرون .

• الهيكلة العسكرية واستراتيجية حرب العصابات

لم ينتظر مجاهدو الأوراس قرارات لقاء الصومام لهيكله جيشهم، فقد أسسوا تنظيماً عسكرياً محكماً منذ بداية الثورة، كما جاء في كتاب محمد العربي مداسي « مغربلو الرمال » : « أنهى الثلاثي شبحاني بشير ولغورور عباس وعاجل عجول في شهر أوت 1955 تنظيم المنطقة الأولى. تغطي الهيكلة مناطق الأوراس والناماشة وجنوباً وادي سوف وأم الطبول، وشمالاً تمتد إلى الأطلس التلي والهضاب العليا حتى برج بوعرييج، ومن جهة الحضنة يمتد التنظيم إلى كل من بوسعادة ومسيلة. من الناحية العسكرية تضم الهيكلة أربع مصالح وهي : - الفوج، وهو مجموعة تتكون من 12 رجلاً. - الفرقة، وتتكون من ثلاثة أفواج. - الكتيبة، وتتكون من ثلاث فرق. - الفيلق، ويتكون من ثلاث كتائب. هذه الهيكلة كانت نظرية فقط (على الورق). يقول عجول : "أما على أرض الواقع فلم يصل تعدادنا إلى فيلق، فقط ربما أثناء معركة الجرف". معركة الجرف وهي أكبر معارك الثورة التحريرية استمرت ما يقارب أسبوعاً كاملاً، وقعت

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

في 22 سبتمبر 1955، واجه فيها جنود جيش التحرير الوطني بكل ما يملكون من إرادة أكبر قوة جندتها فرنسا في تاريخ حرب التحرير. هذه المعركة هي في الحقيقة نتيجة لعملية ضخمة للقوات الفرنسية سميت بعملية "تيمقاد" جند لها أكثر من أربعين ألف عسكري مدعمة بكل وسائل الحرب من دبابات وطائرات وقوات محمولة، وقد كان لها صدى عالمي كبير، وخصوصا في الوسط السياسي والعسكري الفرنسي، اقتنعت فرنسا بأنها فعلا أمام حرب حقيقية.

كانت الاستعلامات جوهرية بالنسبة للثوار، فقد جندوا ما يسمى "بالمسبلين" وهم مواطنون عاديون يعيشون في البوادي أو داخل المدن، مهمتهم إعطاء أي معلومة صغيرة أو كبيرة تساعد الثوار: تحركات الجيش الفرنسي، عدده، وسائله، عدد قتلاه، معلومات عن العملاء، تزويد المجاهدين بالذخيرة واللباس، إلخ، أما من الناحية التكتيكية فكانت الأوامر بأن تكون تحركات المجاهدين بمجموعات صغيرة، وبسرعة، كما كان إلزاما عليهم تغيير الأماكن حتى يحس المواطن أو العدو بأن عدد المجاهدين كبير وأنهم موجودون في كل مكان. تقنيات أخرى كالسير "بالخلف" أي الوجه والأرجل عكس اتجاه السير، لتجنب تقصي الآثار، وأيضا رمي الفلفل الأسود لتجنب تقصي الآثار بواسطة الكلاب. كل هذه التقنيات مدونة في دليل يدوي (انظر الملحق). الحياة كانت صعبة بالنسبة للثوار يجب التأقلم مع البرد القاسي في منطقة الأوراس-النمامشة (أحيانا 10° تحت الصفر) وحرارة الصيف (أحيانا 55°) كذلك تحمل العيش في المداغل نهارا والتحرك ليلا، بالإضافة إلى تحمل الجوع والعطش، ففي كثير من الأحيان يتغذون بالأعشاب وجذورها إن وجدت، خصوصا في المناطق

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

القاحلة. كانت قوتهم تكمن في إيمانهم ورغبتهم في الاستشهاد من أجل تحرير شعبهم».

• تقييم الشهر الأول

عقدت أولى الاجتماعات لتقييم نتائج المعارك والوسائل المادية والبشرية المتوفرة، تحاور القادة بن بولعيد ومساعدوه شيحاني بشير، عباس لغرور، عاجل عجول، حول بعض «الإخفاقات» التي وقعت ليلة أول نوفمبر، وكذلك حول بعض الأسلحة غير الصالحة للاستعمال وخصوصا الأسلحة التي لم تصل بعد من الشرق (العربي). كما تم تقييم الكمائن الأولى: نجاحاتها وأيضا الخسائر الكبيرة خصوصا استشهاد قرين بلقاسم في 29 نوفمبر 1954. أظهر بن بولعيد قلقا من ناحية التسليح الذي لم يصل بعد وصرح بأنه لم يتمكن من ربط الاتصال بالمسؤولين المكلفين بالتسليح وإيصاله. أما عباس لغرور الذي لم ينتظر قدوم السلاح فقد ذهب للبحث عنه بنفسه عند العدو، بدأ يشرح لبن بولعيد مخططه للاستيلاء على الأسلحة بالهجوم على مركز «الحركة» (عملاء جزائريون) بـ «الويسته»: «سأذهب لآتي لك بالأسلحة سي مصطفى بالكمية التي تريدها ولن نعود في حاجة إلى هؤلاء المركونين أو المخبيين في الخارج»³⁶. بالنسبة للقادة بعد أن تم إشعال فتيل الثورة يجب الآن أن يتسع هذا المعلم ليعم كل مناطق الجزائر. المهمة ليست سهلة ولكن الأمل كان كبيرا لأن الشعب الجزائري استعاد الثقة في نفسه بعد عمليات أول نوفمبر. يجب على الثوار الآن أن يكونوا قدوة حتى ينظم إليهم مجموع الشعب. هكذا وفي هذا الإطار تم تعيين مجاهدين شباب لإيصال

36. محمد العربي مداسي، ص 39، *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

صوت الثورة إلى أبعد حد ممكن . تكاثف عدد الثوار بعد عدة أشهر وازدادت واتسعت رقعة المناطق الثائرة . يجب تنظيم وهيكله هذا الحشد من الثوار، إنها مهمة صعبة، ليس فقط بسبب تكاثف عدد الثوار ولكن أيضا لأن العديد منهم جاء من مناطق مختلفة من الوطن ومن مختلف قبائل الأوراس-الناماشة . تكثيف نصب الكمائن في جميع مناطق الأوراس-الناماشة للاستحواذ على الأسلحة، تخريب الأعمدة وأسلاك الهاتف، هجمات على مزارع المعمرين، إرسال رسائل تهديد إلى عملاء الإدارة الاستعمارية . رغم وسائلهم البدائية فقد استعملوا تقنيات حرب عصابات مكنتهم، ليس فقط من الإزعاج المستمر وعدم اعطاء راحة للقوات الفرنسية، بل مكنتهم من الانتصار في العديد من الكمائن والمعارك . أصدر القادة بإشراف شيحاني بشير كتيبات دونت فيه التكتيك الواجب تطبيقه في مختلف العمليات العسكرية وكذا طرق التصرف مع المواطنين (انظر التفاصيل في الأرشيف المرفق) . يكتب مصطفى مرادة وهو أحد القادة التاريخيين للولاية 1 في مذكراته : « عند سفره إلى ليبيا، عين مصطفى بن بولعيد كلا من شيحاني بشير وعاجل عجول وعباس لغرور كقادة مرجعيين لكل مسؤولي ما نسميه في ذلك الوقت "إدارة الولاية" كان هناك تنسيق في إدارة الولاية بين القادة الثلاثة كانت المناشير تصلنا مكتوبة باللغات الإسبانية والألمانية والفرنسية لنوزعها وسط الجيش الفرنسي لنعرف بقضيتنا العادلة المتمثلة في تحريرنا من الاستعمار . تصلنا أيضا مخططات تنظيم عمليات لهجمات موجهة لكل ناحية بحيث تكون كل حركاتنا منسقة »³⁷ .

37. مذكرات مصطفى مرادة (الرائد بن النوي)، الجزائر، دار الهدى، 2003، ص 46.

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

بعد أقل من أربعة أشهر أي في 11 فيفري 1955 تم توقيف القائد بن بولعيد على الحدود التونسية، وأصبح شبحاني بشير قائدا بالنيابة يساعده كل من عباس لغرور وعاجل عجول. هذا الثلاثي سيواجه تحديات مختلفة: محاربة ومواجهة القمع الذي لا مثيل له للقوات الفرنسية، كذلك تاطير وتنظيم الثوار الجدد، تنظيم الاستعلامات، تحسيس المواطنين وتوزيع المناشير... إلخ. في حديث مسجل مع المجاهد والدبلوماسي السابق يوسف الربيعي يصف فيه ظروف العمل الإداري: « كنا نملك على مستوى إدارة الولاية عددا من الآلات الكاتبة والآلات الناسخة (رونيو) كنا نعمل في الليل وفي النهار لكتابة آلاف المناشير باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والأسبانية هذه المناشير كانت توزع على كل حدود المنطقة الأولى من واد سوف إلى مسيلة والخروب وبرج بوعريريج وقلمة وتبسة ». كانت أعدادا هائلة من مختلف المناشير تطبع وتوزع على كل حدود المنطقة، كما كانت المنطقة تصدر جريدة *le Patriote* التي كانت توزع حتى على المناطق الأخرى. كان شبحاتي بشير رجلا إداريا منظما من الدرجة الأولى، كل شيء كان مدونا ويجب أن يدون كذلك. كانت منطقة الأوراس-الناماشة مركزا « للإدارة العليا للثورة » كما يسميها شبحاني بشير، وفعلا، لقد كانت كذلك لكونها مهدا للعمليات الأولى للثورة، كما كانت أيضا على اتصال مستمر بممثلي الثورة في الخارج وخصوصا الدول العربية، بالإضافة إلى كون موقعها الجغرافي المميز مساعدا على تمرير السلاح.

اتساع رقعة الثورة أدى إلى ظهور بعض الصعوبات في التنظيم، معظم الثوار الجدد غير متحيزين لم يكونوا ينتمون إلى الحركة الوطنية وبالتالي غير منضبطين، ويتجلى هذا خصوصا عند تعيين مسؤول تم تحويله من منطقة إلى

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أخرى أو من قبيلته إلى قبيلة أخرى من طرف مسؤوله المباشر. هكذا ظهرت بعض حركات تمرد أو عدم الطاعة (رفض التحويل) تم ضبطها. من القادة الذين كانوا يحضون باحترام، يكتب محمد العربي مداسي : « بن بولعيد وعباس لغرور كانوا الاستثناء الذي يؤكد القاعدة. أحببهم واحترمهم الشوار. عجول كان يُخشى أكثر من ما هو محبوب، أما شيحاتي بشير الذي لا ينتمي إلى المنطقة فكان يعتبر ضيف شرف معتبر فهو فوق الجميع » .

• بداية الانتصارات

يعد عباس لغرور مساعد شيحاني بشير المكلف بالشؤون العسكرية قائد حرب بامتياز. لتنظيم حرب العصابات بدأ بتحسيس السكان والتقرب منهم ؛ فبدونهم لا يمكن شن أي عملية ناجحة على العدو « فهم كالماء بالنسبة للسماك » كما يقول المجاهدون. الكمائن كانت تتم بعد دراسة للموقع وموضع كل مجاهد حسب نوعية سلاحه وللمعلومات الواردة من طرف المسبلين عن تحركات الجيش الفرنسي. يكتب العقيد « فرال دومنيك » في كتابه « معركة جبال النمامشة » والذي كان ضابطا في اللفياف الأجنبي في منطقة النمامشة سنة 1955 : « سمحت المرحلة الأولى التي تمتد من نوفمبر 1954 إلى سبتمبر 1955 لعباس لغرور أن يتحكم في السكان وأن ينصب كمائن دموية للقوات الفرنسية ككمائن "تافسور" و"ثنية لعويجة" واغتيال ستين عسكريا فرنسيا من بينهم قائدان لفيلقين وأربعة ملازمين ومسؤول إداري مدني. المرحلة الثانية وتتميز بمعارك عنيفة، حيث وزيادة على 100 ضحية في الطرف الفرنسي من بينهم 8 ضباط، سقط أكثر من 700 متمرد... كان يطبق التقنيات الحديثة "للحرب الثورية" Guerre subversive وإنه تقني

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

جيد في الحرب الثورية، وقد ناور جيدا على المستوى العسكري»³⁸. كما وصفه « فرال دومنيك » أيضا بأنه القائد الثوري الوحيد في الجزائر الذي أُلحق بالجيش الفرنسي أكثر الخسائر من بداية نوفمبر 1954 إلى 25 جويلية 1957 وهو تاريخ إعدامه. حاولت السلطات الاستعمارية بكل الوسائل إيقاف المد الثوري. بالنسبة لفرنسا فإن عدوها (الثوار) هم « عبارة عن عصابات معزولة ». لمواجهة هذه الدعاية في بداية الثورة وليوهموا السكان والسلطات الاستعمارية بأن عددهم كبير طبق المجاهدون استراتيجية تتمثل في أن يتنقل الثوار في مجموعات صغيرة موزعة في أماكن مختلفة تتحرك وتفترق بسرعة، بعد أن تقوم بنصب كمائن وعمليات تخريب مختلفة. يقول المؤرخ العسكري « بيار منتانيون » : « التمرد لم يكن تمردا جماعيا يضع الجمهور في الواجهة وفي حركة. تكتيك الثوار قد تم اختياره الأفضلية للضربات السريعة وعمليات الكومندوس أين تلعب السرعة والمباغطة والاختفاء دون ترك آثار دورا هاما. الهدف يجب أن يكون سهلا نسبيا من أجل نتيجة سريعة ومهمة»³⁹. أما بالنسبة للعقيد Henri Jaquin مسؤول مخابرات اللفياف الأجنبي فيقول في كتابه : « محيط جاك سوستال لم يكن منبسطا تماما » : عصابات الثوار المنظمة تعدادها كان في البداية 8000 رجل مدعمين كلهم بأسلحة قتال. في الأوراس أين بدأ التمرد بنجاح باهر، هاهو التمرد يمتد إلى غرب منطقة وهران. المتوسط الشهري لعمليات الاغتيال تعدى 600 عملية سنة 1954، ليصل إلى 2500 في شهر فيفري 1957»⁴⁰.

38. Dominique Farale, *La bataille des Monts Nemamchas, Algérie 1954-1962 : Un cas concret de guerre subversive et contre-subversive*, Paris, Economica, 2004.

39. Pierre Montagnon, *La Guerre d'Algérie : genèse et engrenage d'une tragédie*, Paris, Pygmalion, 2004.

40. Henri Jaquin, *La guerre secrete en Algérie*, Paris, Olivier Orban, 1977, p. 95.

• نتائج السنة الأولى للكفاح المسلح

قامت السيدة جميلة عمران بدراسة مهمة لنتائج العمليات العسكرية الأولى من خلال دراسة جريدة *La Dépêche quotidienne d'Alger*، قسمت جميلة عمران دراستها إلى أربع مراحل : الأولى من نوفمبر 1954 إلى جويلية 1955، الثانية من شهر أوت 1955 إلى فيفري 1956، الثالثة من شهر مارس 1956 إلى ديسمبر 1956، والرابعة من شهر جانفي 1957 إلى مارس 1957. أورد هنا النص الكامل للمرحلة الأولى من كتاب « الثورة الجزائرية وصدائها في العالم »، منشورات ANEP 2011. ص 90. ملتقى دولي حول صدى ثورة نوفمبر؛ لإبراز دور منطقة الأوراس-الناماشة خلال نصف السنة الأولى من الكفاح المسلح.

« من نوفمبر 1954 إلى جويلية 1955، تمت معظم عمليات الكفاح المسلح في الولاية الأولى وبالتدقيق في منطقة باتنة، رغم أن العمليات المتزامنة ليلة أول نوفمبر مست مناطق عديدة من الجزائر.

في اليوم الثالث من شهر نوفمبر تم قطع الطرق بين باتنة - خنشلة، باتنة - بسكرة، باتنة - أريس. كما تم الهجوم على مراكز سريانة، بانياس، أريس، مشونش، فوم الطوب. في اليوم الرابع من نوفمبر تم إجلاء السكان الأوربيين من أريس وفم الطوب » .

ظهر في جريدة *La Dépêche quotidienne d'Alger* ليوم 12 نوفمبر 1954 عنوان : « في الأوراس الفلاقة (الشوار) في كل مكان ». تدخل سلاح الدبابات والطائرات لكن دون أن تتمكن من توقيف القتال الدائر « إعادة الأمن أو النظام التام في الأوراس يحتاج إلى وقت طويل المدى، معركة جبل إشمول (لأول مرة تتحدث الصحافة عن معركة وليس اشتباك)

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

أخذت محل الجند من طرف قوات المضليين الذين اصطدموا بقوة ذات تكوين لافت النظر مكونة من عدد كبير من رجال معظمهم بلباس عسكري موحد . « *Dépêche quotidienne d'Alger* du 14 et 15-11-1954 ».

سوف تتجدد الاشتباكات أهمها اشتباك جبل « قرحليل » ودوار « كيمل » وجبل « إشمول » . بعد انخفاض الاشتباكات أثناء شهري فيفري ومارس - بدون شك نتيجة لعمليات الحصار الكبرى، منها عملية *Véronique* التي تمت بتاريخ 19 جانفي 1955 التي جند لها 5000 عسكري في هجوم على منطقة « توفانة » ثم عملية *Violette* التي جرت بتاريخ 22 جانفي 1955، حيث جند 3000 عسكري لحصار جبال « تيزا » و « فوتس »، عمليتان متتاليتان في الأوراس خلال شهر جانفي - تستأنف المعارك بكثافة متزايدة. ابتداء من شهر ماي 1955 تتسع رقعة الحركة لتتعدى منطقة باتنة وتمتد إلى كل من مناطق خنشلة وتبسة. عمليات هامة وقعت : 3 اشتباكات و 4 كمائن (صفحة 24). بالإضافة إلى وقوع 55 هجوما على مراكز ودوريات عسكرية و 46 مزرعة و 97 عملية تخريب جرت دائما في الولاية الأولى حسب نفس الجريدة .

من بين 143 عسكري فرنسي معترف بأنهم اغتيلوا في الجزائر من نوفمبر 1954 إلى جويليا 1955، 119 منهم اغتيلوا في الولاية الأولى من بينهم 81 في منطقة باتنة .

من بين 544 تائرا أُعلن اغتيالهم في هذه المرحلة، 382 منهم في الولاية الأولى، القمع يمس بعنف شديد المدنيين، عدد كبير من السكان تم ترحيلهم، جريدة *La Dépêche quotidienne d'Alger* تعترف بترحيل 4700 بين شهر نوفمبر 1954 وشهر جانفي 1955 في منطقة باتنة وحدها .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

2214 شخصا تم توقيفهم في الولاية الأولى بين نوفمبر 1954 وجانفي 1955 . بالرغم من أن العمليات كانت أقل كثافة أو ارتفاعا، إلا أن القمع يضرب وبضراوة الولاية الثانية التي – وبعد بعض عمليات متشعبة في نهاية 1954 وبداية 1955 – بدأ فيها استمرار القتال في بداية شهر ماي 1955، دائما في منطقتي سكيكدة وقالة . خلال ثلاثة أشهر من ماي إلى جويلية 1955 في هاتين المنطقتين، 10 جنود فرنسيون اعترف رسميا باغتيالهم، 11 مركزا أو دورية و62 مزرعة هوجمت، و30 عملية تخريب جرت .

وقع قمع لا مثيل له على هاتين المنطقتين أين تم توقيف 2501 خلال ثلاثة أشهر، أكثر مما وقع في الولاية الأولى خلال تسعة أشهر . من بين 27 مشتبه فيهم، 22 في الولاية الثانية خلال الثلاثة أشهر الأخيرة .

في الولاية الثالثة يبقى النشاط مقتصرًا في منطقة تيزي وزو، ليست بعد حرب حقيقية لكن فقط بعض المضايقات : 14 مركزا أو دورية و33 مزرعة تم الهجوم عليها، و95 عملية تخريب . الخسائر غير مرتفعة بكثير بالنسبة لخسائر الولاية الأولى، وحتى بالنسبة للولاية الثانية . اغتيل 9 جنود فرنسيون و65 تائرا، وتم اعتقال 875 شخصا .

من قراءة جريدة *La Dépêche quotidienne* تتضح النتائج التالية : من نوفمبر 1954 إلى فيفري 1955 كان الكفاح المسلح محدودا في منطقة باتنة التي تحملت تقريبا لوحدها ولمدة ستة أشهر طويلة تفجير حرب التحرير الوطني .

ابتداء من شهر ماي سنة 1955 بدأ توسع وتكاثر الحرب، لكن تبقى الولاية الأولى التي تجمع 70 بالمئة من خسائر الثوار و85 بالمئة من الخسائر التي ألحقت بالجيش الفرنسي مهد الكفاح المسلح .

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

ضخامة القمع تتضح من خلال عدد الموقوفين الذي يجب ملاحظة العدد المرتفع خصوصا في الولاية الأولى .

71500 شخص في دوار إشمول و 1600 في دوار يابوس تم ترحيلهم إلى توفانة في 26 نوفمبر 1954 . في يوم 28 ديسمبر 1954 تم ترحيل سكان مشتة أولاد بوزيان (750 شخصا) إلى « تمقرة »، ثم سكان دوار « تامزة » (800 شخص) نحو سهل زرحاز أو زرهاز بتاريخ 19 جانفي 1955 .

هذه الدراسة مهمة لتوضيح دور المنطقة الأولى خلال الأشهر الأولى للثورة، وكيف كانت محاصرة . وقد فك الحصار وعمت الثورة بعد هجمات 20 أوت 1955 .

• المبشرون بالثورة

كانت المنطقة الأولى تتمتع بتنظيم دقيق بفضل بن بولعيد ورفاقه، فقد نظموا بدقة الرجال والميدان وهذا سنوات قبل اندلاع الثورة . فقد تمت هيكلة المناضلين وخصوصا ما كان يسمى من طرف السلطات الاستعمارية « الخارجون عن القانون » أو « متمرذو الشرف » الذين أصبحوا أولى مجموعات ثوار نوفمبر، هؤلاء الأبطال الذين تغنى بهم سكان الأوراس-الناماشة هم : قرين بلقاسم وشبشوب الصادق وعمار معاش وبالرحيل وغيرهم...

هذه المجموعات كانت الدرع الحامي لأعضاء المنظمة السرية (OS) الذين التجؤوا إلى الأوراس سنة 1950 . يجب الملاحظة هنا بأن المنظمة السرية (OS) لم يتم اكتشافها في الأوراس نظرا للانضباط والسرية والتضامن السائدين في المنطقة آنذاك . يكتب المؤرخ الفرنسي « إيف كوريار » : « النتائج في منطقة الأوراس كانت جد لافتة للأنظار . كل مجموعة وكل قسمة ذات أهمية كان على رأسها رئيس، وكل لجنة على رأسها مسؤول محلي ومسؤول الشرطة

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

الداخلية، وآخر على رأس المالية، وآخر للشؤون الإسلامية، وآخر على رأس النقابة. بن بولعيد ومساعداه شيحاني بشير وعباس لغرور أصبحوا من الآن فصاعدا على رأس أربعمائة رجل منظمين ومسيسين منضبطين في شكل خلايا ومجموعات عمل تدخل أو تنفيذية، بالإضافة إلى كونهم يمتلكون أهم مخزن للأسلحة في الجزائر. يسحب بن بولعيد من جيبه الهيكل التنظيمي الذي سوف يعرضه بعد ستة أيام على رفاقه. هاهي هيكله الأوراس :

مسؤول المنطقة : بن بولعيد . المساعدان : شيحاني ولغرور .

قسمة باتنة : 50 مناضلا، منطقة القنطرة : 10 رجال، منطقة Mac-Mahon

(عين توتة) : 10 رجال، منطقة الشمرة : 40 رجلا .

قسمة خنشلة : 60 رجلا، فوم الطوب : أكثر من مائة رجل . قسمة

أريس : ما يقارب 100 رجل⁴¹ .

بعد لقاء الثوار مع المسؤولين الأوائل، بن بولعيد وشيحاني ولغرور وعجول، تقرر إرسال أفواج من الأوراس إلى النواحي المختلفة، وهكذا وعلى سبيل الذكر، تم تعيين جماعة خنشلة في مختلف النواحي :

— بن عباس غزالي في سوق أهراس وموندوفي .

— لحسن مرير في عين البيضاء وسدراتة ومسكيانة .

— حمام عمار في انسيغة وبابار وتامقرا .

— لغرور شعبان شقيق عباس، عين بالخرروب وعين عبيد وسيقوس وواد

زناتي وقلالة .

— عين السعدي امعمر بششار والنمامشة .

41. Yves Courières, *ibid*.

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

– عثمانى إبراهيم المسمى تيجاني، عين مسؤولا عن ناحية خنشلة، أم البواقي، حتى الخروب.

– عين مسعد ناصر السوفي، عين عون اتصال بين المنطقة الأولى والمشرق، ومكلف بقوافل السلاح.

– عين صالح وقاد وعبد الحميد زروالي، كلنا بتشكيل نواة لربط الاتصال بالحدود التونسية، هذه النواة سوف تدعم لاحقا رجال مثل عمر البوقصي، حوحة عثمان، قتال الوردى وآخرين غيرهم.

يبدو أن عباس لغرور خاب ظنه في كمية السلاح المتواضعة التي حصل عليها في أول نوفمبر، مما دفعه إلى مضاعفة نصب الكمائن ومهاجمة الفرق الفرنسية أينما تواجدت، بغية غنم ما أمكن من الأسلحة لتسليح المجندين الجدد المتدافعين للانضمام إلى صفوف الثورة، بدافع الأمل في تحرير الوطن.

تكفل الرعيل الأول من ثوار نوفمبر بالقيام بإشعال فتيل الثورة، ثم نشرها عبر ربوع الأوراس وكل الجنوب القسنطيني.

شهور بعد المواجهات الأولى مع العدو ومع حجم الصراع الذي دخل في مرحلة الحرب الشاملة ورغبة في هيكلة الثوار على شكل مجموعات ذات مهام دقيقة، كتب المجاهد عمار ملاح مايلي : « في جوان عقد القائد عباس لغرور اجتماعا بمكان يدعى فم اتغروفت لإطارات المنطقة، وكان الحاضرون : بن بولعيد عمر، مدور عزوي، أحمد نواورة، الطاهر انويشي، مسعود عايس، مسعود بلعقون، علي بن شايبية، الحسين برحاييل، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، الحسين عبد السلام، محمد بن المسعود قاسمي، علي بلحاج بن جديدي، بن بولعيد محمد، بلقاسم سمايحي .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

وفي هذا الاجتماع الهام، وتطبيقا لتعليمات القائد العام مصطفى بن بولعيد قرر عباس لغرور إرسال فرقة من المجاهدين لنشر الثورة في الصحراء وللقيام بالتوعية والتجنيد وجمع الأسلحة والمال .

وقد عين سي الحسين عبد السلام مسؤولا عن الفرقة وعين نائبه سي الحواس والصادق جغروري مسؤولا عسكريا : وتتكون هذه الفرقة من 30 مجاهدا . وقد قرر أيضا إنشاء وحدة "الكوماندوس" ، وأسندت قيادتها لأحمد عزوي . تحت إشراف عباس لغرور كونت أفواج في الجهة الشرقية من المنطقة الأولى :

- فوج تبردة وجلال وخيران بقيادة كرابادو .
- فوج قنطيس تحت إشراف أحمد السكاح .
- فوج ناحية الشريعة بقيادة عمر البقصي والوردي قتال .
- فوج ناحية الماء لبيض وواد أهلال والعاتر والجرف ونقرين تحت قيادة زهر شريط .
- ناحية عين البيضاء أشرف عليها علي الحركاتي .
- ناحية مسكيانة حوحة بلعيد⁴² .

كان لقادة المنطقة الأولى دور هام في توسيع رقعة الحرب ضد الجيش الفرنسي، فقد سعوا إلى إشعال الثورة في كثير من الأماكن البعيدة عن مركز المنطقة، بعد إفاد مجموعات مسلحة تنفذ عمليات نوعية، وكان لهذا الامتداد أهمية كبرى، حيث قلل تركيز القوات المعادية على مقر قيادة المنطقة .

42. الرائد عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، دار الهدى، 2004، ص 76، 77 .

توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال

فبحكم دورها الطلائعي، قدمت المنطقة الأولى كل المساعدة الممكنة لباقي المناطق لتأجيج نار الثورة، فبعثت بالأسلحة والرجال لتدعيم المنطقة الثانية والثالثة، وقد ذكر الرائد عمار ملاح ذلك فيما يلي : « إثر اتصالات بين قادة المنطقة الأولى (الأوراس)، شيهاني بشير وعباس لغرور من جهة والقائد زيغود يوسف، أرسلت المنطقة الأولى وحدتين مسلحتين من جيش التحرير الوطني، وعلى رأسهما المجاهدان أحمد جرعراوي وشعبان لغرور وهذا تضامنا مع المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) قبل هجومات 20 أوت 55 »⁴³.

وعن فضل عباس لغرور وجهوده الجبارة لتوطيد الثورة، واهتمامه الجاد بكل ما يخدم مسار الكفاح ضد الجيش الفرنسي، كتبت شهادات كثيرة من بينها ما جاء على لسان الرائد مصطفى مراردة بننوي النوي، وهو أحد قادة الولاية الأولى بالنيابة : « في شهر ماي 1959 توقفت محطة الراديو بسبب عطل معقد، فهذا الجهاز كان يشتغل بفضل جمع بطاريات مسوقة وربطها ببعضها البعض للحصول على طاقة ترتفع قدرتها من 1,5 فولت إلى 90 فولت وخلال ربط هذه البطاريات تم تحويل إحداها في اتجاه معاكس الأمر الذي أدى إلى تعطيل المحطة بأكملها.

كان لا بد من اتخاذ إجراءات سريعة لحل هذه المشكلة، ولذلك كلفت منصور رحال بالاتصال بالمركز القيادي للاتصال في المنطقة الثانية المسيرة من طرف عبد العزيز عشي المختص بالإمداد فباشر هذا الأخير مهمة حل هذه المشكلة، حيث لم يمر أسبوع حتى كان قد جهز المركز بوحدة جديدة تامة التجهيزات، فقد كانت هناك تجهيزات كثيرة مخزنة تحت الأرض وكانت تحت مسؤوليته، حيث أخذ منها ما يلزمه من قطع لإصلاح المحطة. ولا بد من الإشارة

43. الرائد عمار ملاح، مرجع سابق، ص 109.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

هنا إلى فضل الشهيد عباس لغرور الذي كان يجمع هذه التجهيزات بعد المعارك التي كان يخوضها مع جيش التحرير ضد جيش العدو الفرنسي⁴⁴.
جاء في كتاب نماذج عن شخصيات في الحركة الوطنية، وفي الفصل المخصص للمجاهد بوغزالة محمد، هذا الأخير غادر واد سوف مع مجموعة من المجاهدين بقيادة حمة لخضر، والتقوا عباس لغرور الذي استقبلهم، كتب ما يلي : « استقبلنا بحرارة مدة أسبوع، وشكرنا على الانتصار في معركة حاسي خليفة بقيادة سي المبروك نائب حمة لخضر...، بعد هذه المدة، قدم لنا عباس لغرور توجيهات أخصها :

– لما لاحظ قدم أسلحتنا قال : أسلحتكم عند عدوكم.

– لا تواجهوا العدو، لأن القوى غير متكافئة.

– واجبنا هو إفهام وإقناع الشعب بثورتنا، يجب أن يعرف معناها

ومغزاها

– نريد أن يعرف العدو أننا في كل مكان، لكن علينا تجنب مواجهته

مباشرة » .

44. مصطفى بن النوي، مذكرات مصطفى مرادة، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، الجزائر، دار الهدى، 2003، ص 132، 133 .

الفصل السابع

جبال الأوراس-النمامشة في مواجهة القوات الفرنسية

« إذا مرت ثلاثة أيام دون عمل مسلح فقد خنّا الجزائر »

عباس لغرور

بذلت المخابرات كل الإمكانيات الموضوعية تحت تصرفها من قبل السلطات الفرنسية السياسية والعسكرية، لعزل السكان في المناطق مجال نشاط المجاهدين دون جدوى .

لقد نجح مجاهدو جيش التحرير الوطني في توعية وتعبئة السكان لصالح القضية الوطنية، إلى درجة أن الدعاية الاستعمارية لم تتمكن من استدراجهم . الحرب النفسية التي شنتها « المصالح الإدارية الخاصة » SAS، عززت يقظتهم حتى يتجنبوا السقوط في فخ الخدمات المدرسية والطبية التي يقدمها برنامج المصالح المذكورة . وحتى إن كان السكان قد استفادوا من الخدمات المتاحة لهم، إلا أنهم عرفوا كيف يبقون أوفياء لالتزامات أفراد أسرهم من أب وأخ وابن عم أو جار، ممن يضحون في الجبال .

فيما يتعلق بعباس، أثبت السكان ارتباطهم القوي به إلى درجة بلغت أقصى حدود الإخلاص والاحترام . عباس لم يكن محبوبا فقط من طرف

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

السكان، بل من طرف المجاهدين أيضا. رغم أنه لم يسع إلى هذا الاحترام والإجلال أو يعمل له، كما سنرى في الفصل المخصص لدراسة شخصيته .

هذا ما كتبه الجنرال « بيجار » : « يسيطر على منطقة النمامشة قائد حرب حقيقي هو عباس، إنه يهيمن على كل تلك المنطقة بما في ذلك السكان المدنيين الذين كان هو معشوقهم، يعود لكتيبتني شرف السيطرة على هذه المنطقة المستحيلة، التي انهارت القوات الفرنسية فيها مرات عديدة »⁴⁵.

اعتبر عباس لغرور أحد أكبر استراتيجيي الحرب الثورية في الجزائر، ليس فقط من طرف مجاهدي جيش التحرير الوطني، ولكن أيضا من العسكريين الفرنسيين المرموقين . لقد أقر أعداء عباس لغرور بأنه المقاتل الفذ الذي كبدهم أكبر الخسائر إبان حرب التحرير، في الفترة الممتدة من 1954 إلى 1957 . كما اعترفوا أيضا بكونه العدو الذي احترمت اتفاقيات الحرب، ففي خطابه خلال هجومات أول نوفمبر 1954، أمر بوضوح تام رجاله بعدم قتل المدنيين، خصوصا النساء والأطفال، وعدم التعرض حتى للجنود إذا لم يقاوموا، وكما سنرى في الصفحات التالية كيف تعامل باستقامة مع سجناء الجيش الاستعماري وفقا لاتفاقيات الدولية .

مشاهير الضباط المخضرمين، كالجنرال فانوكسم، العقيد دو كورنو، بيجار، وضباط آخرين من ذوي الخبرة، لم يستطيعوا إخضاع المقاتلين في الأوراس النمامشة أو الانتصار عليهم، رغم الإمكانيات الهائلة المعبأة . فقد تميز عباس لغرور مع رجاله كشريط لزهري، سيدي حني، أحمد الغول، الوردني قتال، التيجاني، أحمد الوهراني...، وكثير غيرهم في عدة معارك كبرى، لاسيما معركة الجرف، العامرة (عصفور)... وآخر معركة له كانت على الحدود التونسية وعلى أرضها، كان في طريق الدخول إلى التراب الجزائري فاذا به يتصادف

45. Marcel Bigeard, *Ma vie pour la France*, Paris, Rocher, 2010.

جبال الأوراس-الناماشة في مواجهة القوات الفرنسية

وجنوده بقافلة من الشاحنات مدججة بالعساكر والسلاح على وشك الدخول إلى الحدود الجزائرية فشنوا عليها هجوما تم فيه حرق العديد من الشاحنات والقضاء على عدد من الجنود الفرنسيين، وقد جرح عباس في هذه المعركة. وقعت هذه المعركة في المكان المسمى « خنقة بوحبة » أو « خشم الكلب ».

في كتاب بعنوان : « الليف الأجنبي منذ عام 1945 إلى أيامنا هذه » يذكّر المؤلف بأشهر العمليات التي واجهها الليف، يعترف المؤلف بقساوة المعركة التي شارك فيها الفيلق الأجنبي الثالث للمشاة REI 3° بتافاسور (خنشلة). يكتب : « في 29 جويلية 1955، خاض فيلق الليف الأجنبي الثالث للمشاة معركة قاسية ضد المتمردين ».

حينما يتحدث المجاهدون عن عباس يسمونه « رجل الـ 163 كمين ومعركة »⁴⁶ ضد العدو في فترة قصيرة من 1 نوفمبر 1954 إلى جويلية 1957. وكان يقول للمجاهدين حسب شهادة قائد منطقة سوق أهراس قتال الوردى : « إذا قعدنا ثلاثة أيام دون قتال العدو، يقول عباس : لقد خنّا الجزائر ». في الوقت الذي كان البعض ينتظر في الخارج بهدوء تحت الظل أو في الدفء اقترب النصر، كان عباس يتحرك ويقاوم على مختلف تضاريس المنطقة الأولى، سجله - وهو سجل منطقة جبال النمامشة - يرتفع إلى كمين أو معركة كل أسبوع، أين انتهى به المطاف إلى الاستقرار بجبالها، وهي القلعة الطبيعية التي تحدى فيها جنرالات الجيش الفرنسي، حتى أنه كتب لهم منها رسائل كما يروي بعض رفاقه الأحياء يعلمهم فيها بموقعه بدقة !

يكتب المجاهد والدبلوماسي السابق « محمد معارفية » كيف تصرف عباس لينتقم لمقتل واحد من أهم قادة جيش التحرير : حمة لخضر، : « طلب

46. أرزقي باسطة، مواقف وشهادات عن الثورة الجزائرية، الجزائر، دار الهدى، 2009.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

من زاوش، مراقب سابق للدخالي (بمؤسسة تعليمية) أن يكتب إلى بارالنج ليقول له بأنه ينتظر فرقة المشاة في المكان الذي يرضيه، فله أن يحدد موعد اللقاء أينما شاء...»⁴⁷. هذا التحدي لا يظهر نوعاً من التبجح ولكنه ينبع من قواعد حرب العصابات التي تقتضي عدم الاعتراف بالهزيمة أمام العدو، وتحديه مهما كان ثقله. لقد عرف عباس كيف يستفيد من التضاريس الطبيعية لجبال النمامشة، القلعة الطبيعية غير العادية ذات الهندسة الاستثنائية. هذا الشكل الهندسي، بجماله الطبيعي كما بشجاعة رجاله، ترك أثره في عدد من العسكريين الاستعماريين.

في سرد «بيار كلوسترمان» أحد الطيارين أثناء حرب التحرير، نلاحظ إعجابه بجمال هذه الأماكن وانبهاره بحصانتها الطبيعية، على لسان شخصية روايته «دورفال»، بعد أن حلق وأعجب بالكولورادو وانحدارات دالقوسو، وزيمباز وكثبان كالهاري ويالو بكوريا وكليمانجارو، يستمر فيكتب: «لكن عظمة وجلال واد اهلايل كان يقطع له الأنفاس، لا يوجد مكان حلق فوقه شبيه بهذه الطبيعة التي كوتها الشمس، وعذبتها الرياح، ونحتتها جرف الأمطار، لم تشاهد عينا «دروفال» طبيعة جهنمية كهذه، فعلى امتداد القرون، شق الوادي بعنف في الجبل مضيقاً غائراً بعمق ثمانمائة متر، بالالتفاف والعودة منه بهدوء وحشي. جرفت المياه طبقة الطين، كاشفة الهياكل الضخمة للصخور العملاقة. الاندفاع الصاخب لمياه الربيع، يدير حجر الصوان، حاملاً الصخور، تاركا حفرا على الأحجار الكلسية، وناحتا المدرجات المذهلة المنحدرة على شكل شلالات في الظلال السحيقة، على بعد عشر كيلومترات شمال الجرف، حول انحناء النهر تتدفق المياه التي تركت على الضفة المحدبة كومة رائعة من الصخور، أصغرهما يساوي حجم قوس النصر... إنه هذيان هندسة عسكرية دفاعية»⁴⁸.

47. M'arfia Mohamed, *La Passion du Fellagha*, Paris, La Penée Universelle, 1981, p. 223.

48. Pierre Clostrman, *Apui-feu sur Oued Hallail*, Paris, Flammarion 1960, p. 177.

• جبال النمامشة الشهيرة « معقل المتمردين »

بعد بضعة عقود، لم يستطع الجنرال « بيجار » في مذكراته إخفاء اندهاشه أمام هذا الخصم الجديد الذي لم يكن يتوقعه. سرده الصحيح وغير المنمق يكشف : « يوم 5 جوان 1956، وُضعتنا تحت تصرف المنطقة العملياتية للناماشة. أفهموني بأنه هنا في الجنوب، سيكون من الصعب علينا لعب دور الأبطال في مواجهة متمرّد، يقبل، بل يبحث عن المواجهة. جبال النمامشة المشهورة معقل المتمردين، مبعث الرعب بمنطقة قسنطينة... في أثناء محاولات عديدة، أرسلت وحدات النخبة ضد هذه المرتفعات الصخرية، ذات متاهة حقيقية مليئة بالكهوف والأحواض والقمم المجردة العارية، القمرية المظهر. جعلها المتمرّدون حصنهم المنيع، في كل مرة، انسحب الفرنسيون بخسائر ملموسة، دون الحصول على نتائج حاسمة ». في هذا اليوم 5 جوان 1956، كان "بيجار" على بينة من المخاطر المحدقة، الطبيعة الجغرافية غير مواتية لرجاله، وأمام الإرادة الحديدية لخصومه، لا يستطيع تجنب مواجهة هؤلاء "المتمردين" في معركة الجديدة، التي دفعته للاعتراف أنه: (في 5 جوان 1956، كانت الكتيبة الثالثة للمضليين RPC 3^e - التي يقودها "بيجار" - في مواجهة خصم عنيد. لا يتعلق الأمر بملاحقة بعض العصابات المشتتة، في أدغال منطقة سوق أهراس، ولكن بمواجهة قوات القائد المتمرد عباس لغرور، السيد الحقيقي المسيطر بلا منازع على الشَّعبِ القاسية وعلى سكانها، الشاوية الذين لم يحدث أبدا لشخص، ولا حتى قبل ألفي سنة، أن تمكن من هزيمتهم، حتى الفيالق الرومانية... كتيبة من مائتي شايوي لا تتأثر على الإطلاق من المظليين ولا من جنود اللفيف، رجالها مناورون ممتازون ورماة بدقة... »⁴⁹).

49. Marcel Bigeard, *Pour une parcelle de gloire*, Paris, Perin, 1988, p. 408. (Plon, 1975).

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

بيجار كعسكري فرنسي محترف، لم يقر بالانتصار له ولكتيبته رغم التعظيم الشعبي الذي حظي به أثناء مشاركته خلال الثورة التحريرية في عرض 14 جويلية الشهير في باريس (العيد الوطني الفرنسي).

يضيف في كتابه : « ينضم إلينا "فانوكسم" ويخبرني أنه أنزل فرقتين من مظليي اللفيف الأجنبي في "قنتيس" ... الفرقة، مسيرة بشكل رائع، جريئة ومنضبطة بصورة فائقة... قائد هذه الفرقة المتمردة، هو لغرور عباس، زعيم حركة التمرد في الشرق القسنطيني . فرقة شجاعة، يناور رجالها بشكل ملحوظ... في 9 جوان 1956 بـ "قنتيس" ، أغاروا في العمق ليلا مرتين، ونجح عدد كبير منهم في المرور رغم خسائرهم... لقد واجهنا خصما، تفاجأ بكمين قاسٍ فرد بسرعة وبشجاعة. يباغت بنصب كائن قاسية، يتصرف سريعا وبشجاعة... لذا نفهم أن فصيلا مثل هذا، يقوده قائد من هذا الصنف، حقق حتى الآن غير الانتصارات » .

معركة بعد أخرى، خسارة بعد أخرى. من المؤكد أن الخسائر المتتالية وقعت في كل من الطرفين. لكن مهما كانت الصعوبات فإنها لم تقلل من عزيمة المجاهدين وقائدهم على تحقيق هدفهم وهو تحرير الجزائر. في 16 جوان 1956، أصابت هذه المجموعة، الجنرال بيجار بجراح نجا منها بأعجوبة .

رغم الإمكانيات غير المتكافئة، يعترف بيجار بقيمة أعدائه، ويذكر بعضهم حيث يقول : « عباس لغرور، عز الدين، بن مهيدي، أظهروا الصفات الحقيقية للمقاتلين : البطولة، الشجاعة، سرعة الحركة والمناورة » .

بيار مونتانيون يرى : « ستصبح جبال الأوراس والنمامشة، أعظم حلبة قتال لكلا الطرفين. هنا في الأراضي الصخرية المجدعة، والمتاهات والكهوف المظلمة، سواء في حرارة جويلية الملهبة، أو تحت الثلوج، أو في ضباب ديسمبر،

مع كل ذلك، تحدث مواجهات شرسة، تكون، وفي كثير من الأحيان، وجهها لوجه، صراع بين جنود فرنسيين ومجاهدي جيش التحرير الوطني. هنا وقعت أولى المواجهات ضد الوحدات القتالية المنظمة⁵⁰.

• كمين جلال

كان واحدا من أوائل الكمائن التي حافظت على شهرتها في القصص وسجلات الجيش الاستعماري. وقع سنة قبل كمين باليسترو ولكنه لم ينل نفس الكثرة من التناول في الكتابات المنشورة. كمين باليسترو (الأخضرية) الذي كان له صدى أكبر، لأن ضحاياه كانوا جنود الخدمة العسكرية وليسوا بمحترفين. أعتبر أنه من المفيد إعادة سرد وقائع هذا الكمين كما رواها عجول في الصفحات 85 إلى 92 من كتاب محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال.

« في 11 أبريل 1955، عاد عباس وعجول بعد إفلاتهما، إلى القلعة حيث يسود سأم تام. ففي غياب شيخاني، تقلص نشاط مقر القيادة إلى الحد الأدنى، وقد أهمل عمر ذقنه، وراح يجتهد مثل مبتدئ هيب في تقديم صورة القائد عن نفسه.

كان عباس يدور ويدور مثل نمر في قفص، ثم أمسك بسلاحه وعبأه بالذخيرة، ورد عن سؤال عجول: "أنا ذاهب لمحاربة الاستعمار. ألسنا هنا من أجل ذلك؟". كان عجول يود مرافقته، ولكنه قرر، لحذره وتخوفه من رد فعل شيخاني، إخبار عمر برحيلهما؛ فيسأله هذا الأخير، وهو يحس بشيء من الإطراء لكونه استشير: "وهل سي مسعود على علم؟" فأجاب عجول دون اضطراب: "نعم".

50. Pierre Montagnon, *ibid.*

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

كان الليل قد خيم حينما انطلقا، لقد اتجها شمالا، مجتازين القرن لبيض، ثم التفا حول « بويقضان»، وبلغا عند منتصف الليل « هنشير علي بن عثمان»، بلدة تقع إلى الجنوب الغربي من « تبردقة»، في القطاع الذي يقوده مسعود بن معاش، استقبلهم في « هنشير علي» المسؤول العسكري المحلي، شخص يدعى « الحاج كرابادو»، مسلح ببندقية « غاراند»، وكان يرافقه ثلاثة مجاهدين: علي لعفيف ومحمد الصالح عيساوي وكربادو آخر ابن عم الأول. كانوا مسلحين على التوالي، بمسدس رشاش « تومسون» وبندقية أمريكية 17 وبندقية « ستاتي».

شرح عباس للحاج كرابادو سبب مقدمهما، فقال له الحاج: « ينبغي لنا الذهاب إلى جلال إذن». ودون انتظار، توجهوا إلى جلال بالجنوب الغربي. كان يقطن بها قرب مركز عسكري فرنسي، مقاوم مدني بإمكانه إعلامهما نظريا.

ترك الحاج كرابادو مرافقيه إلى الخلف، وتقدم نحو بيت المقاوم، وطرق طرقا خفيفا على الباب، ونادى الرجل باسمه وطلب منه الخروج، فساد صمت طويل. ألق الحاج كرابادو، فأجابه صوت امرأة: لا أحد هنا، عد في النهار، وسمع همسا، وبكاء مكتوما، فقال: « هيا قولي له أن يخرج. فنحن نريد التحدث إليه فقط». وسمع أنينا، ثم انفتح الباب وتعلقت عجوز بسترتة. فردد محرجا: « إننا نريد فقط أن يعطينا بعض المعلومات». فرفضت المرأة: « قلت لك إنه ليس هنا، لن يخرج» ثم قالت شبه متراجعة: « بل هو هنا، سيخرج ولكن بشرط، أن تأكلوا قبل ذلك " زميتة" فمن يذوق ملحنا، لا يمكنه أن يضمر لنا سوءا» فقبل الحاج وانتظر أمام الباب أن تجهز الحلوى، ثم أكلها سريعا في وقت واحد مع الرجل الذي كانت تتبعه نظرات النسوة وكلها يقظة وأسى.

في الأخير تبين أن الرجل لم يكن يعلم شيئا ذا بال، فوجه الحاج كريادو إلى جاره، الذي كان يتوفر على معلومات أكثر فقال : « كل يوم، يمر موكب من سبع شاحنات عسكرية عبر جلال »، فسأله الحاج : « و من أين يأتي ؟ »، « من خنقة سيدي ناجي ويتوجه نحو خنشلة » .

بعد الاستماع إلى الحاج كريادو، أعلن عباس : « سننتظر الموكب عند مخرج المدينة » . لم يكن قد بقي على طلوع الفجر الكثير . وكان البرد قارسا . اختار عباس مكان الكمين . ووضع الرجل المسلح بالسباتي على قمة رابية : « تصرخ ما إن ترى الموكب » . وتلقى علي لعفيف، الذي كان قبالتة، الأمر بألا يطلق النار إلا عند إشارة من عباس أو عجول .

تمدد الحاج كريادو وعيساوي على التلة المحاذية للطريق، وكذلك فعل عباس وعجول على الجانب الآخر .

طلع عليهم الفجر وهم مجمدون من البرد . وبزغت الشمس، فأوقدت قطرات الندى المحيطة، وكشفت المنظر : لقد كان أجرد تماما . مر كل شيء بسلام حتى منتصف النهار، لكن بارتفاع الحرارة، صارت مواقعهم غير مريحة أكثر فأكثر، لقد استولى عليهم العطش، والتصقت مفاصلهم .

لا شيء في الأفق، اقترب عجول من عباس : « إنني أكاد أموت عطشا وجوعا » . فرمقه عباس بنظرة غير مهذبة . الساعة تشير إلى الحادية عشرة . قال : « نبه الآخرين بالإشارة أن يذهبوا لجلب بعض الماء » . حرك عجول ذراعيه، وتلوى قدر ما استطاع . لم يكن الآخرون يرونه أو لم يكونوا يفهمونه . كان عباس قد منع الحراك أو الكلام . « وحين يعطي عباس أمرا . فمن مصلحتك حقا أن تطيع » . يضيف عجول مبتسما : « فاقتربت منه أكثر حتى كدت ألامسه، وأريته شفاهي الجافة وقلت له : "إنني أموت عطشا" ، فأشاح بوجهه

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

عني ببساطة. وواصلت الهمس حتى سئم، وأذن لي في غضب بالزحف باتجاه الرجال الآخرين، والبحث عن الماء.»

لم يحالفهم الحظ، فقد عادوا خاليي الوفاض، أكثر عطشا من ذي قبل. وسأل الحاج كريادو عجول «أعلينا مهاجمة أية عربية عسكرية؟» فأجابه عجول: «كلا، لا مجال لذلك، وعلى أية حال، لن تطلقوا النار إلا بعدي» وعاد إلى مكانه قرب عباس الذي تجاهله، وهمس في عزم: «سننتظر حتى الظهر، إن اقتضى الأمر»

بعد نحو عشرين دقيقة، ظهر من بعيد، مثل دودة وحشية لا آخر لها، موكب طويل من سبعين شاحنة على الأقل، تحميها من الأمام والخلف مدرعات وعربات مجهزة برشاشات آلية. كانت مجنزرة المقدمة تقترب بثقل، ثم توقفت لبرهة في قمة العقبة، ورأسها الصياد يدور على نفسه ببطء. كان جنود العدو يظهرون سائرين على جانبيها. ابتهج عباس إلى حد الإثارة، وقال: «إنها فرصة نادرة!»، حاول عجول تهدئته وحين رأى أنه على وشك إطلاق النار، ارتمى عليه ورقد تماما على بندقيته هامسا بغضب في أذنه: «لم تعد هذه حرب عصابات يا سي عباس، هذا انتحار!». كان الحاج كريادو يراقب المشهد مندهشا. «العدو أقوى منا بكثير!»، يقول عجول خائر القوى. التف عباس على نفسه، وتخلص من قبضة عجول: «أنت جبان يا عجول! أنت لم تخلق للحرب. أقسم بالله ألا أشارك بعد الآن في كمين معك!». لقد كان غاضبا جدا جدا.

كان الموكب الصامت أمامهم، يتمطط في هدوء لا يكاد ينتهي، في هذه الأثناء، كان على لعيف الذي كلفه عجول بالبحث عن الماء والطعام، العودة إلى المقاوم المخبر، ليعطيه دلو ماء وبعض الرغيف وحفنات تمر جاف. أكلوا وشربوا، وعندما شعروا بتحسّن، عاد كل واحد إلى مركزه.

جبال الأوراس-الناماشة في مواجهة القوات الفرنسية

في العصر، عند الرابعة مساءً، وتحت شمس حارقة، رفع لعفيف فجأة ذراعاً فوق رأسه وحركه. فانتفض الحاج كريادو ورأى ثلاث شاحنات « جي أم سي » قادمة من جلال. بقي الرجال أرضاً، وما إن رأى لعفيف الشاحنة الأولى، تبطئ عند المنعرج في نهاية العقبة، حتى فتح النار دون انتظار، فتوقف الموكب ونزل جنود من الشاحنات، وانبطحوا أرضاً وشرعوا في إطلاق النار. ولمدة خمس عشرة دقيقة، ظلت بندقيتان رشاشتان ومدفع عيار 7/12، وأخرى من عيار 30، إضافة إلى بنادق ومسدسات رشاشة، تصب عليهم مطراً من الرصاص. كان المجاهدون يردون برشات مشبعة لكن قصيرة. ثم كان إيقاف إطلاق النار. يروي عجول: « تعرفت على قناصين مختبئين تحت الشاحنات. فقلت لسي عباس إننا محاصرون بين مركزين عدوين، أحدهما في جلال والآخر في خنفة سيدي ناجي. فكان لا بد من الحيلة ». فبدأ يصيح: « أوقفوا إطلاق النار! إنهم إخوانكم امامكم! » وصرخ عباس بصوته الجهوري: « حذار، لاتطلقوا النار! المجموعة 24 الفصيعة 12، لا، لا تسحبوا دبوس امان قنابلكم! » وانظم الوطنيون الآخرون وراح الصراخ يتعالى بالعربية وبالفرنسية، حتى تبث البلبلة التامة بين القناصين، ولحسن الحظ وبحدث سعيد نادر، كانت طلقة لعفيف قد كسرت هوائي راديو شاحنة مقدمة القافلة.

ومرت بضع دقائق من الدهشة، يملؤها الصخب والصياح، ثم شوهد رجالان يقفزان من شاحنة، ويفران مثل أرنبين باتجاه جلال. أصاب عجول أحدهما في كتفه الأيسر، بينما أخطأ لعفيف الآخر، ولكنه لحق به ركضاً (فقد كانت التلة تخفيه عن طلقات العدو) وعاد به إلى عباس وأفصح الفار: « أنا من تامزة. أنا الآن أسير الفرنسيين، إنهم يقتادونني إلى الرائد ميكال

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لاستنطاقي « . فسأله عباس : « و إلى أين كنت تركض هكذا ؟ » ، « لقد أطلق الفرنسي سراحي مع رفيقي لأبلغ مركز جلال ، فقد تم تخريب الراديو » . تحادث عباس وعجول لبعض الوقت ، ثم التفتا نحو الهارب . « سنطلق سراحك . ستعود إلى الفرنسيين . وهاك ما ستقوله للضابط : أكثر من ثلاثمائة مجاهد مسلحين ، كل واحد بأربع قنابل يدوية ، لا ينتظرون سوى الأمر بالهجوم ، إلا إذا استسلم هو ورجاله » .

قال لي عجول : « دام الانتظار بعد إطلاق سراح الرجل عدة دقائق ، بل قرونا ، فقد كنا نخشى وصول قوات جلال » . نزل قناصان من تحت شاحنة ، وأطلقا العنان لسيقانهما مثل حجلتين مذهولتين . وفتح المقاومون النار ، فجرحوا أحدهما . وطاردهما عيساوي وعاد بهما نحو عباس .

ابتهج عباس أيما ابتهاج : « نحن إخوانكم ! ولن نؤذيكم . انظروا بأنفسكم » وبالكاد رفع القناصون أعينهم . « سنطلق سراحك . فعودوا إلى رفاقكم . وانصحوهم بتسليم أنفسهم . نحن نضمن سلامتكم » .

يرووي عجول : « وحدث ما لا يصدق . فقد سلموا أنفسهم في صفوف ، الواحد تلو الآخر . كانوا في المجموع سبعة وعشرين قناصا جزائريا ورفيق فرنسي . كان عباس خائفا من أن يكشفوا الخديعة ، فلم يكف عن أمرهم بالاحتفاظ بأعينهم مخفوضة ، وبإلقاء أسلحتهم والإسراع في النزول إلى قعر الوادي . وتراكت أمامي إثر ذلك كومة سلاح كبيرة : واحد وعشرون مسدسا رشاشا ، بندقية " غاراند " ، بندقية رشاشة " بار " (اعتقدنا انها من عيار 30) وصندوقا ذخيرة ، وصندوق قنابل يدوية .

وعندما أصبحوا جميعهم في الأسفل ، صعدت إلى ظهر شاحنة الـ " جي أم سي " ، وحاولت تفكيك الرشاشة ، وحين لم افلح ، رششتها كلها بالبنزين بمساعدة عيساوي ، وأضمرت فيها النار » .

وأحرق عجول الشاحنتين الأخيرتين. وحين عاد، أخبره أحد القناصين، بوجود عدة حقائب مملوءة بالمال في الشاحنة الأولى. فلم يكده عجول يخفي غيظه. « لا تهتم، إنه ليس سوى مال العدو!، دعه يحترق ».

وسمع عباس يتحدث إلى السجناء: « مرحبا بكم في جيش التحرير الوطني! أنتم هنا في أمان، لأن جيش التحرير الوطني يعفو عنكم. إننا إخوتكم. نحن لسنا مجرمين، بل نحن مجاهدون. »

ونظر إلى الرقيب: « أنت أيها الفرنسي، أنت ديمقراطي؟ أجبني بصراحة. » فأجابه الرقيب: « أجل أنا ديمقراطي، أنا أحترم جيش التحرير الوطني وأتفهمه. أنا الآن أفهم معنى كفاحكم. وأنا موقن من أنكم ستنجحون! » كانت البهجة تغمر عباس.

والتفت في هيئة المنتصر إلى القناصين. « والآن، دوركم أيها الإخوة! فليرفع يده من يرغب في الانضمام إلى جيش التحرير الوطني ». لم ترتفع أية يد. وراحوا يتحدثون جميعهم في وقت واحد: « لسنا سوى احتياطيين، وسيتم تسريحنا قريبا ولكننا سنعود، هذا وعد ». وراحوا يتحدثون عن أطفال وعن والدين عجوزين يتكفلون بهما، وعن عمل ينبغي تسويته، فاسود وجه عباس، بدا كما لو كان خجولا. واستجوب الفرنسي: « كم ولدا لديك؟ » فرفع الرقيب إصبعين. « خذ هذا بعض المال، ليس كثيرا، يكفي لتشتري لهما بعض الحلوى ». ووضع المال في يده، ثم أمر: « الاحتياطيون، اصطفوا إلى جانب الرقيب! » انصاع نحو عشرين جنديا وانظموا إلى الفرنسي. بقي منهم ثمانية هم من العاملين، وفجأة شعروا بالقلق فطمأنهم عباس: « ليس ثمة من سبب لأن تخافوا، ستساعدوننا على نقل الأسلحة إلى مكان قريب (وأشار بسبابته نحو ربوة قريبة) وغدا، أنتم أحرار ».

أخرجوا جميعهم محافظ نقودهم، وفكوا معاصم ساعاتهم اليدوية، وعرضوا كل ما يملكون، شرط أن يطلق سراحهم مع الآخرين؛ فضم عباس

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

حاجبيه أمام مثل هذه الوقاحة، ونادى الرقيب : « أنت حر، فخذ الاحتياطين معك إننا ندعكم تذهبون بشرطين : الأول ألا تزعج السلطات العسكرية الفرنسية الاحتياطين، والثاني أن يتم علاج المدنيين الاثنى عشر وتحريرهما ». فوعد الرقيب بذلك، وأضاف أنه سيكتب إلى الصحف الفرنسية : « اعتمد علي، سأقول لهم كيف تعاملون أسراكم، سأشهد بأنكم لستم مجرمين . » ، كان وجه عباس يقطر سرورا .

كان الرقيب متأثرا، إلى حد أنه ذهب في الاتجاه المعاكس . فلاحظ عباس ذلك ولحق به، وخط له جواز مرور، في حال ما إذا لقي دورية لجيش التحرير الوطني، وفي أثناء ذلك، مرت سيارة أجرة من خنشلة، تمهل السائق في البداية، ثم انطلق كالإعصار، فأطلق عباس عيارا ناريا في الهواء، فتوقفت السيارة وأركب عباس الفرنسي والمدنيين الاثنى عشر، ثم أمر السائق بالتوجه إلى جلال . وصاح في الاحتياطين : « تدبروا أمركم من أجل العودة كالكبار ! إنه الغروب » . انطلق عباس وعجول ورفاقهم الأربعة والأسرى الثمانية عند الغروب باتجاه القلعة . وتوقفوا في بيت الحاج كرابادو، حيث تناولوا الطعام وقضوا الليل . وفي اليوم الموالي، أخبرهم مدنيون أن القوات الفرنسية قد اتجهت إلى مكان الكمين بأعداد كبيرة .

من ضباط الاستعمار الذين نظروا ونفذوا الحرب المضادة لحرب العصابات، العقيد « دومينيك فارال »، المؤرخ العسكري، يعترف : « يتحكم لغرور عباس جيدا في مهارات وأساليب الحرب الثورية، لقد كانت مناوراته رائعة... لغرور عباس كان زعيم جبهة التحرير الوطني الأوحده الذي قتل رائدين فرنسيين وألحق بالجيش الفرنسي خسائر بلغت نحو خمسين قتيلًا، من بينهم خمسة ضباط... كان قائد المتمردين الأول الذي وصل إلى هذه المرحلة في

الجزائر... الوطني والقائد المحلي لغرور عباس، طبق بدقة جيدة أكثر وأحدث تقنيات الحرب الثورية وأظهر موهبة عسكرية كبيرة» .

في سرده لمجريات معركة العامرة التي وقعت في 14 فبراير 1956، وأمام الوقائع، لم يستطع العقيد دومينيك فارال سوى الإقرار بالحقيقة: « تقدمت الفرقة الاستعمارية من الجنوب إلى قاعدة الجرف، وواجهت هناك المتمردين المتخندقين بشكل جيد للغاية.

كانت الرياح تعصف بهبات جليدية محدثة زوبعة من الثلج المنقوش. كانت هذه أكبر المعارك التي وقعت حتى الآن في الجزائر، وكان لغرور عباس مرة أخرى في المقدمة بالنسبة لقادة المتمردين الآخرين... أظهر لغرور عباس مرة أخرى أنه لا يتردد في مواجهة أمهر الفرق العسكرية الفرنسية. فقد ناور وتعامل معها بشكل جيد، كان من الممكن أن يكبد نصف الفرقة BDLE 2/13 خسائر جد فادحة، وتمكن من الانسحاب من وضعية صعبة جدا»⁵¹.

في رسالة العقيد دومينيك فارال سنة 2009 أضاف تفاصيل أخرى: « فعلنا كل شيء للقضاء عليه، فقد استحال علينا قتله أو عزله عن السكان أو دفعه إلى الاستسلام. لاحظنا أنه كان يملك غريزة فطرية للقتال وساحات الوعى، دون أن يكون قد تلقى تدريباً عسكرياً، فمساره (عباس لغرور) يذكّرنا بمتطوعي الجمهورية الفرنسية الأولى، الذين اختيروا كضباط بسبب قناعاتهم الثورية. فهم تكونوا في ميدان المعارك، وفي ساحة القتال» .

الجنرال كليمون دو لاريال يذكر: « في بني املول، عاجل عجول يقود عصابة من 400 متمرّد، مسلحون جيداً، وفي النمامشة لدى عباس لغرور 200 متمرّد مسلحون تسليحاً جيداً، عنيدون، فخورون بنجاحاتهم رغم

51. Dominique Farale, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

خسائرهم. نحن نتعامل مع مقاتلين شجعان، مناورين، عندما يطبق عليهم الحصار، يقاتلون حتى الموت...»⁵².

هنري علاق المناضل المعروف بتعرضه وإدانته للتعذيب في الجزائر، يؤكد : « عباس لغرور اهتم بحيوية بأساليب قتال الوطنيين الفيتناميين. قدرته التكتيكية أكسبته لدى رجاله التسمية الودية المألوفة بـ : جياب الجزائر »⁵³.

الجنرالات، بارالنج، فانوكسيم، بيجار وكل الذين سبقوهم أو تلوهم، طبقوا كل تقنيات وأساليب الحرب الاستعمارية، لقد كان استخدام القوة بإفراط وتجلت مظاهره في : القمع المسلط على نطاق واسع على المدنيين، حصار الأوراس، إلقاء قنابل النابالم على الغابات، والتي رغم حملات التشجير في السنوات الأولى للاستقلال، مازالت تحمل آثارا، يمكن وصفها بالكارثة البيئية، وتهجير أكثر من ربع السكان الجزائريين، أغلبهم من سكان الجبال والفلاحين، سيقوا إلى مخيمات بلا مياه ولا طعام، متحملين فصول الشتاء القارسة وفصول الصيف المحرقة (قدمت المؤرخة وناسة سياري تنقور⁵⁴ تفاصيل عن الحياة القذرة للمعتقلين في تلك المخيمات) دون نسيان الحرب النفسية التي شنتها مصالح الاستعلامات : المصلحة الإدارية الخاصة SAS، التي تعتمد على العمليات النفسية للدعاية والتضليل، والارهاب، خصوصا بين السكان. كان لهذا القمع تأثير عكسي مقارنة بالأهداف المسطرة، إذ التحق المئات من الشبان بالجبال، وأصبح السكان على وعي أكثر بدورهم وأهميتهم في حرب التحرير الوطنية.

52. Histoire du 18^e Régiment de Chasseurs à cheval Aurès-Nemamchas 1956-1962, dirigé par Jean Pierre Legendre.

53. Sous la direction de Henri Alleg, *La guerre d'Algérie*, Paris, Temps Actuel, 1981, t. 1.

54. Ounessa Siari-Tengour, *ibid*.

الفصل الثامن

الالتزام المغربي للمنطقة الأولى

• جيش التحرير المغربي

لم يقتصر نضال جيل ثورة نوفمبر على تحرير الجزائر فقط بل تعدى حدودها، لقد التزموا بما كان يطالب به زعماء الحركة الوطنية في كل من البلدان الثلاثة المغرب والجزائر وتونس، وهو مشروع وحدة البلدان الثلاثة الذي كان في طور الإنجاز لولا تدخل القوى العظمى، وبالخصوص فرنسا وعملائها في الداخل الذين أجهضوا المشروع تجنبا لظهور قوة جنوب أوروبا. كان هدف المشروع هو تحرير البلدان الثلاثة من الاستعمار والرعاية والحماية وذلك بالكفاح المسلح المشترك، السبيل الوحيد لتحقيق وحدة مغربية (انظر الملحق). يكتب منور مروش في شهادة له في كتاب « جيش التحرير المغربي 1948-1955 » من إصدار مؤسسة محمد بوضياف، 2004، ص 156 : « من البداية كان عبد الكريم الخطابي يتميز بفكرتين أساسيتين يحملهما بقوة وباستمرارية لم تعرف الانقطاع أو التناقض : فكرة وحدة المغرب العربي وفكرة التحرير التام عن طريق الكفاح المسلح الشامل الموحد المستمر حتى يتم تحرير كامل الأقطار

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

المغربية بلا تجزئة ولا مراحل... وأن وحدة الدول المغاربية تمر أولاً وقبل كل شيء على وحدة العمل المسلح»⁵⁵.

يعود تشكيل الجماعات المسلحة في أقطار المغرب الثلاثة إلى نهاية سنوات 40، ولكن « حصل التسارع بداية من 1951، وشهد عام 1952 ولادة الجماعات السرية»⁵⁶.

معظم رجال هذه المجموعات المجاهدة يجهلون أنهم كانوا جزءاً من جيش تحرير المغرب العربي، الذي مهد للإعداد له مناضلون من الدول الثلاث. محمد بوضياف وبن بلة من الجانب الجزائري، صالح بن يوسف والطاهر لسود من الجانب التونسي، عبد الكريم الخطابي من الجانب المغربي، وكانت مراكز التدريب تعمل فعلياً في بعض الدول العربية. هذه الإشارة ليست لإعادة كتابة تاريخ هذا الجيش (جيش التحرير المغربي)، ولكن ببساطة للتذكير بالالتزام السامي للقادة المغاربة من أجل وحدة شمال إفريقيا، وأيضاً للتأكيد على مشاركة الجزائر في عملية التحرير المشتركة، من خلال دور المنطقة الأولى (الأوراس-الناماشة). هذا ما يقودنا مجبرين إلى تناول موضوع تورط رئيس الدولة التونسية الحبيب بورقيبة مع بعض قادة لجنة التنسيق والتنفيذ في اغتيال عباس لغرور والإطارات القيمة من قادة الجزائر الثورية. بدأ نضال الشعب التونسي من أجل استقلاله في عام 1952، بعد فشل المفاوضات مع فرنسا. تكفل الأمين العام للحزب الدستوري صالح بن يوسف بتنظيم المقاومة، وهكذا تأسست النواة الأولى من المجاهدين، ثم تضاعفت لتصبح في وقت لاحق « جيش التحرير

55. شهادة له في كتاب جيش التحرير المغربي 1948-1955 من إصدار مؤسسة محمد بوضياف، 2004،

ص 156 (منور مروش كان طلباً بالقاهرة، مناضل الحركة الوطنية، وضابط في جيش التحرير الوطني).

56. René Galissot in *L'Armée de Libération du Maghreb 1948-1955*, Fondation Mohamed Boudiaf, 2004.

الالتزام المغربي للمنطقة الأولى

التونسي « الذي تجند في صفوفه الكثير من الجزائريين، عاد بعضهم (من الجزائريين وحتى التوانسة) من فلسطين بعد هزيمة الجيوش العربية في عام 1948 .

اشتهر من بين هؤلاء المجاهدين شريط لزهري، طالب العربي، عبد الكريم هالي، الكيلاني لرقط. برز في تونس في ظل هذه الظروف تياران رئيسان : أحدهما يمثل صالح بن يوسف الذي كان يطالب بالاستقلال التام لتونس وبوحدة الكفاح في إطار مغربي، وأما التيار الآخر فقد تزعمه الحبيب بورقيبة، الذي وافق على التفاوض مع فرنسا، وأمضى معها اتفاقيات 3 جوان 1955. لم تكن المنطقة الأولى (الأوراس-الناماشة) في منأى عن تطورات الوضع في تونس بسبب موقعها الجغرافي، فقد كانت في تعاون وثيق ومستمر مع المجاهدين التونسيين بقيادة صالح بن يوسف. نسق الوفد الخارجي للثورة الجزائرية ممثلاً بين مهدي وبن بلة وبوضيف مع بقية القادة المغربية لتحقيق الوحدة المغربية، كما أطلقوا وتبنوا فكرة إنشاء جيش مغربي موحد. حاول قادة الثورة الجزائرية من خلال الولاية الأولى إنعاش الكفاح المشترك. « تكونت قيادة مشتركة للكفاح المسلح ووضعت خطة النضال المسلح الموحدة بالقاهرة في 24 فبراير 1956، من طرف زعماء حركة التحرير بالمغرب العربي، وقد حضر هذا الاجتماع التأسيسي عن الجانب التونسي الطاهر لسود ومساعدته البشير الصباح، وعن الجانب المراكشي الدكتور عبد الكريم غلاب، وعباس لغرور قائد جبهة الأوراس من الجانب الجزائري، وحضر هذا الاجتماع كذلك الدكتور المهدي بن عبود وأحمد بن بلة »⁵⁷.

57. في القواعد الخلفية للثورة الجزائرية الجهة الشرقية 1954-1962، عميرة علية الصغير، التونسيون والثورة الجزائرية 1954-1958، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 54، ص 52، 123.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أشير إلى أنه لا يوجد مرجع آخر يؤكد سفر عباس لغرور إلى جمهورية مصر في كل مراحل حياته، مما يقلل من مصداقية المعلومة. يكون قد استدعي لهذا الاجتماع ولم يحضره أو مثله قائد آخر من المنطقة.

انخرط جهود قادة المنطقة الأولى (الأوراس-النمامشة) في العمل المشترك يتجلى أيضا في تعدد لقاءات التنسيق بين قادة جبهات القتال ضد الاستعمار الفرنسي « كان الطاهر لسود قد شكل عدة فرق لجيش التحرير الوطني ونظم لها قيادات عبر كل التراب التونسي وعبر الحدود التونسية الجزائرية. وقبل أن يغادر صالح بن يوسف تونس متوجها إلى طرابلس، عقد اجتماعا في بيته لقيادات جيش التحرير الذي أريد له أن يكون جيش تحرير المغرب العربي كله، وقد حضر هذا الاجتماع من الجانب التونسي : صالح بن يوسف وعلي الزليتنى والطاهر لسود والشهيد الطيب الزلامي، ومن الجزائر الشهيدان عباس لغرور والسعيد عبد الحى، ومن المغرب (مراكش) مجموعة من قيادة جيش التحرير بقيادة محمد البصري قائد المقاومة وجيش التحرير المغربي»⁵⁸.

إن حضور عباس لغرور بين المجتمعين ومشاركته في اللقاء ليست مفاجأة، بالنظر إلى توجهاته الكفاحية الوجدوية، فحتى قبل اندلاع الثورة كان عباس لغرور على اتصال مع المجاهدين التوانسة المعروفين آنذاك بتسمية « الفلاقة التونسية » الذين يعبرون الحدود كلما تطلب الوضع ذلك، ويطلبون المساعدة من إخوانهم الجزائريين.

إلى ذلك العهد كانت تقيم ببلدة خنشلة جالية تونسية معتبرة، وكان أغلبهم تنحدر أصوله من جزيرة جربة الساحلية، كل الخناشلة يعرفون

58. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، نظرة شعبية وطنية جديدة، 1830-1956، بيروت، مكتبة الجماهير، 1976، ص 120، 156.

« سعيد الجربي »، أصيل جزيرة جربة الذي كان يملك دكان بقالة يقع قريبا من منزل عباس، وكان يعرف جيدا عائلة هذا الأخير، كما كان على دراية بنشاطه الوطني وبعلاقته بالمقاتلين التونسيين. فقد كان هذا التاجر أيضا على اتصال بالمقاتلين التونسيين⁵⁹.

المناضل عيسى كشيدة الذي كان على دراية بكل لقاءات بن بولعيد وتحركاته في الفترة السابقة لنوفمبر 1954، بحكم نزول بن بولعيد عنده في العاصمة كلما حل بها، يذكر أنه قبيل اندلاع ثورة التحرير، كلف مصطفى بن بولعيد عباس لغرور مع مناضلين آخرين بمراقبة الحدود الشرقية.

« إضافة إلى ذلك، فإن عباس لغرور أحد مساعدي بن بولعيد الذي كان مسؤولا على قطاع تبسة، أبلغ سي مصطفى عن الحركات المشبوهة للقوات الفرنسية على الحدود... »⁶⁰.

كان قادة المنطقة الأولى على اتصال وثيق بباقي القادة المغاربة، فالعديد منهم شارك في الاجتماعات المتكررة لتنسيق العمل الثوري، من بينهم عباس لغرور، وبلعيد حوحة.

• بورقيبة-صالح بن يوسف : إجهاض المقاومة المشتركة

منذ الأشهر الأولى لاندلاع الثورة، قام جيش التحرير الوطني بالمنطقة الأولى (الأوراس-الناماشة) بمد يد المساعدة لجيش التحرير التونسي بقيادة الطاهر لسود، لم يقتصر الدعم على المساعدة في هيكلة هذا الجيش وتسليحه ومنحه اعتمادات مالية، بل تعدى كل ذلك إلى المشاركة في معاركه ضد

59. مقابلة لي مع سعيد الجربي، 1973.

60. عيسى كشيدة، مهندسو الثورة. نفس المرجع السابق.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أعدائه، فالمجاهدون الجزائريون قاتلوا جنبا إلى جنب مع المقاتلين التونسيين، في معركة أم العرائش والرديف⁶¹. حسب محمد العربي مداسي: « تمكن عباس وعجول من جمع غنيمة هائلة وزعها شيحاني بشير على منطقة الأوراس-الناماشة وحتى خارجها. فقد حول لعباس تسليم ستين قطعة سلاح أتوماتيكية إلى التونسي صالح بن يوسف ». بالمقابل كانت المقاومة اليوسفية السند الإضافي للمجاهدين الجزائريين، وساهمت بمساعدة ثمينة بعد اندلاع الثورة في الجزائر، خاصة في مهمة نقل الأسلحة، يؤكد ذلك هذه الرسالة من بن بلة التي يرجع تاريخها إلى 28 نوفمبر 1955، والتي تبين حقيقة أن « جبهة التحرير الوطني اعتبرت تواجد وانتشار 300 مجاهد من أنصار صالح بن يوسف في الجنوب التونسي امتيازاً لنقل الأسلحة من ليبيا إلى الجزائر »⁶².

عارضت المقاومة المسلحة التونسية وعلى رأسها صالح بن يوسف والطاهر لسود اتفاقات 3 جوان 1955 التي حصلت تونس بموجبها على الاستقلال الداخلي والحكم الذاتي، فقد كانت المقاومة ترى في بورقيبة رجل فرنسا، وكان لهذه النظرة ما يبررها، حيث أن بورقيبة كان في الواقع ماليا للغرب، علما أن هذا التوجه كان إلى ذلك العهد متناقضا مع موجة التحرر المنتشرة في العالم وخاصة بإفريقيا، وعلى النقيض مع كل مواقف الشعوب المناضلة في البلدان المحتلة.

ففي تلك الأيام كان اتجاه البلدان المكافحة من أجل التحرر ينحو بصفة تلقائية إلى البلدان الاشتراكية وإلى كتلة عدم الانحياز المتكونة أساسا من بلدان العالم الثالث، أما الغرب فكان يمثل الاستعمار والإمبريالية.

61. الطاهر عبد الله، مصدر سابق، ص 158، 159.

62. Jean Boisson, *Ben Bella est arrêté. Etudes et recherches historiques*, 1978, p. 422.

لما بدأت حرب التحرير بالجزائر، كانت حرب فيتنام قد انتهت لتوها بهزيمة مذلة للقوات الفرنسية .

في ذلك العهد وفي تلك الظروف جاء موقف بورقيبة ضد التيار مما اعتبر موالة للإمبريالية الغربية .

• الرئيس بورقيبة المعروف بجرأته لم يُخفِ أبدا اتجاهه الغربي

بعض تصريحاته مأخوذة من كتاب الكاتب التونسي عمار السوفي بعنوان « عواصف الاستقلال - رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي، جذور وتداعيات » تونس، 2000، ص 83 .

في تصريح للمجلة البريطانية « تايمز » قال بورقيبة : « تونس جزء لا يتجزأ من الغرب يجب أن تنخرط في منظمة الحلف الأطلسي » . يقول الصحفي والمؤرخ الفرنسي « جان لكوتير » عن بورقيبة : « لم ألتق أبدا خارج فرنسا برجل أكثر فرنسية من بورقيبة، وبرجل أقل عربية منه في العالم العربي » .

في كتاب للمؤرخ التونسي عميرة عالية صغير بعنوان « في التحرير الاجتماعي والوطني »، تونس 2000، ص 186، يكتب : « صالح بن يوسف يتهم بورقيبة " بكل الاغتيالات والعمليات الإرهابية " كان يقول : " أتهم الأستاذ بورقيبة أمام الله وللتاريخ بأنه يقوم بعمل تدميري . " ص 149 . يتهم صالح بن يوسف بعض مسؤولي الحزب الدستوري، ومن بينهم " محجوب بن علي " . كان اليوسفيون يرفضون وضع السلاح، كانوا يعتبرون أن قبول الاستقلال الداخلي يعد خيانة للثورة الجزائرية، ومن بين هؤلاء : " الطيب الزلاف " و " الطاهر لسود " الذي كان يقول : " كيف ؟ تشوف خوك يضربوا فيه واتخليه ؟ كيف اتسمه هذا ؟ ماتسميهش خيانة ؟ " هذان المناضلان

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

تمت مطاردتهم من طرف "محجوب بن علي" فسلما نفسيهما إلى سلطات بورقيبة. "الطيب الزلاق" وعدد آخر كبير تم إعدامهم سنة 1956.

محجوب بن علي الذي شارك في تصفية قادة ومجاهدي الولاية الأولى كان يسمى (كتاب عمار السوفي السابق الذكر) من طرف التونسيين "اليد الحرة لبورقيبة".

في اجتماع التحضير والتنسيق، جاء قرار إنشاء جيش تحرير تونس بقيادة الطاهر لسود مؤكدا على مواصلة قتال القوات الفرنسية حتى جلاء آخر جندي فرنسي عن بلدان المغرب، حدث هذا في خضم الصراع المتفاقم بين بورقيبة وصالح بن يوسف. كان مبدأ العمل المسلح المشترك هو الاتجاه السائد في ذلك الوقت بين قادة شمال إفريقيا ونخبته، وكان لهذا الاتجاه الغالبة في صفوف الطلبة الذين كان إيمانهم بالوحدة راسخا، وقد ورد في شهادة المجاهد "لمنور مروش"، الطالب السابق في تونس والقاهرة، المناضل في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ثم الضابط في جيش التحرير، أن الطلبة تشكلت لديهم قناعة تامة، هي أن "وحدة الدول المغاربية تمر حتما وقبل كل شيء بوحدة العمل المسلح" ⁶³.

كان هذا أيضا رأي المناضلين الناشطين في البلدان الثلاثة، الذين أسسوا قواعد لجيش التحرير المغربي ولكن الحكومة الفرنسية تمكنت من عزل جيش التحرير الوطني الجزائري، ومن تحييد باقي الجيشين المغاربيين الآخرين، بعد الإفراج عن بورقيبة والملك محمد الخامس.

بذلك نجحت فرنسا في توجيه ضربة قاسية لمشروع الوحدة المغاربية الذي كان عزيزا على القادة الأوائل لحركات التحرر في المغرب والجزائر وتونس.

63. شهادته في كتاب جيش التحرير المغربي 1948-1955، نشر مؤسسة بوضياف، 2004، ص 156.

بعد سرد التفاصيل عن ظروف اختطاف طائرة الوفد الخارجي التي كانت متجهة إلى تونس للمشاركة في اجتماع الدول المغربية في 22 أكتوبر 1956، كتب ج. ر. تورنو ما يلي : « إن الحقيقة الهامة ليست القبض على بن بلة، ولكنها إجهاض لقاء تونس، الذي كان على وشك إعلان الوحدة المغربية. من وجهة النظر هذه يمكن القول بأن إلقاء القبض على الجزائريين غير مجرى الأحداث. لا تترك الوثائق أي شك في هذا الموضوع، لنعد بإيجاز إلى الوراثة. ذهب كل من أحمد بن بلة مع محمد خيضر وحسين آيت أحمد ومحمد بوضياف ومصطفى لشرف إلى تونس، للمشاركة على قدم المساواة مع القادة التونسيين والمغاربة في لقاء لإنشاء إتحاد شمال إفريقيا، ولخلق حالة لا رجعة فيها تجاه إعلان استقلال الدولة الجزائرية، بجانب تونس والمغرب.

كان يمكن أن يكون يوما احتفاليا أمام العالم كله بوجود سلطان المغرب ورئيس الجمهورية التونسية، بغية جعل فرنسا تخضع تدريجيا للأمر الواقع... كان المؤتمر سيختتم باستعراض عسكري مع إمكانية مشاركة فصيل مسلح من الفلقة»⁶⁴.

يمكن بسهولة الملاحظة من خلال نص الكاتب « ج. ر. تورنو » الوارد في عام 1960، أن الهدف الرئيسي للفرنسيين كان متمثلا في تفكيك كل الجهود الرامية إلى وحدة المغاربة، وقد نجحت فرنسا في ذلك.

• تدخل بورقيبة، سكوت أو تواطؤ لجنة التنسيق والتنفيذ

أصبحت الحكومة التونسية بعد هذه النكسة تَحْشُرْ أنفها في الشؤون الداخلية للثورة الجزائرية، بموافقة ودعم تام من لجنة التنسيق والتنفيذ، رغم

64. Jean Tournoux, *Secrêts d'état*, Paris, Plon, 1960, p. 141.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أن قادة جبهة التحرير الوطني كانوا يرددون مرارا وعلنا أنهم ضد أي تدخل في الثورة. مع مرور الوقت نسمح لأنفسنا بالتساؤل لماذا كثر الحديث والتهجم على جمال عبد الناصر المناهض للاستعمار وأحد الزعماء البارزين والناشطين في منظمة دول عدم الانحياز بسبب « تدخله » في شؤون الثورة وليس ضد بورقوية المعروف بمواقفه المساندة للغرب ؟ ننبه إلى أنه لا يجب الخلط بين موقف الرئيس بورقوية وموقف الشعب التونسي الشقيق الذي احتضن الثورة والثوار الجزائريين ومئات الآلاف من اللاجئين. كانت تونس وشعبها من أهم القواعد الخلفية لثورتنا المجيدة. نشير إلى أن بداية ثورة الشعب التونسي ضد الاستعمار الفرنسي كانت في شهر جانفي 1952 بعد قيام السلطات الفرنسية بسجن واعتقال المناضلين الوطنيين بعد فشل مفاوضات 1951، وتطورت المقاومة التونسية وازدادت عنفوانا باندلاع الثورة الجزائرية.

لقد تراجعت فرنسا تحت ضغط المقاتلين التونسيين وأطلقت سراح الحبيب بورقوية وتفاوضت معه، لكن فريقا من المقاتلين التونسيين وعلى رأسهم صالح بن يوسف والطاهر لسود عارضوا بورقوية. وانظم الفريق الآخر من المقاتلين التونسيين إلى بورقوية، وكان من بينهم المحجوب بن علي، الذي كان وراء إلقاء القبض على قادة المنطقة الأولى « الأوراس النمامشة » وتسليمهم للجنة التنسيق والتنفيذ، كما يشتبه فيه في أنه وراء تخريب مؤتمر المصالحة الشهير الذي كان من المزمع أن يتم بين قيادة الأوراس وقادة النمامشة، والذي كان سينتهي بإعلان موقف هام وموحد إزاء ما صدر من قرارات عن ملتقى 20 أوت 1956 بواد الصومام سنتعرض لهذه « المؤامرة » لاحقا.

كان قادة المنطقة الأولى « الأوراس النمامشة » ينتظرون وصول الوفد الخارجي للثورة، ليتخذوا القرار الجماعي المناسب في موضوع لقاء الصومام، لكن اختطاف الطائرة وتوقيف أعضاء الوفد في 22 أكتوبر 1956 أجهض عملية

الالتزام المغربي للمنطقة الأولى

المصالحة والموقف المشترك، مما سهل على خصومهم مشروع تصفية المعارضين أو المزعوم أنهم معارضون للقاء الصومام، كان مصيرهم الاغتيال مثل أنصار صالح بن يوسف .

وصل العشرات من الإطارات والطلاب إلى تونس للانضمام إلى المقاومة، فوجدوا أنفسهم في مواجهة قدرهم المشؤوم ومصيرهم المأساوي، دون أن يقترفوا ما يبرر ذلك، « وصلت مجموعة من الطلاب المتطوعين من الشرق إلى تونس، هذه المجموعة تتألف في معظمها من طلاب القاهرة، تم اعتقالهم أثناء وصولهم إلى تونس، واتهموا بالتآمر ضد الثورة، كما اتهموا بدعم بن بلة وبوضياف ومعارضة قرارات مؤتمر الصومام .

وهكذا حكم بالإعدام على شباب ذوي 20 عاما، تركوا مقاعد الدراسة للانضمام إلى الثورة وتمت تصفيتهم . من بين هؤلاء الشباب الطلاب القادمين من القاهرة محمد الطاهر زعروري، عبد الكريم هالي، كما حكم على قادة الولاية الأولى وغيرهم من الطلاب الذين كانوا يزاولون دراستهم في تونس، والذين تركوا المدارس للانضمام إلى الثورة... والأغلبية من الطلاب المتطوعين كانوا من ذوي النزعة الوجدانية المغربية، لقد كانوا متحمسين لوجود مقاومة مسلحة في المغرب وفي تونس . هذه المقاومة أعلنت ارتباطها العضوي مع الثورة الجزائرية . وفي 15 يوليو 1955 بالناظور تم تشكيل اللجنة « جيش تحرير المغرب العربي » وكان عباس المسيعدي من المغرب أمينا عاما لها، ومن الجزائر محمد بوضياف كأمين، وكأعضاء العربي بن مهيدي من الجزائر وعبد الله الصنهاجي من المغرب »⁶⁵ .

في رده عن سؤال، ماذا تود أن تقول في هذه المناسبة؟ (ذكرى 1 نوفمبر 1954) أجاب المجاهد محمد جغروري : « بالطبع لا أود التحدث إلا عن الأحداث

65. شهادة منور مروش، في كتاب جيش التحرير المغربي 1948-1955، نشر مؤسسة بوضياف، 2004.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

التي عشتها، تلك التي لم يتحدث عنها أحد بما يكفي، ففي هذا المنطق أتناول علاقة الجزائر مع تونس في بداية الثورة.

بعد الخلافات بين بورقيبة وصالح بن يوسف على الحكم الذاتي الممنوح لتونس، والذي قبله الأول، ورفضه الثاني، الذي كان صديقا كبيرا للثورة الجزائرية. بعد الخلاف بين الزعيمين قام بعض الإخوة التونسيين بمضايقة الجزائريين وقدموا معلومات للعدو الفرنسي. اتصلت بعباس لغرور الذي قدم لي منشورات وزعناها على الشعب التونسي على الحدود، كما بعث بثلاث رسائل، واحدة لبورقيبة، وأخرى إلى صالح بن يوسف، والثالثة إلى والي قفصة، وأعلمهم بلغة التهديد ما ملخصه: « إذا لم تكفوا عن تهديداتكم، فإن الجزائر قادرة على تحويل تونس إلى ولاية سابعة ». وكان الجواب سريعا وإيجابيا لصالح الثورة الجزائرية، كان الجزائريون بمثابة وسطاء بين بورقيبة وصالح بن يوسف، ويعود المقاتلون من أنصار صالح بن يوسف إلى المدن (بيوتهم) ولا يلتقى عليهم القبض. وقد وافق الجزائريون على لعب دور الوساطة، لكن بورقيبة خان البعض، وبهذه الطريقة تمت تصفية الطيب زلاق وغيره. أما بالنسبة لنا نحن الجزائريين فقد كان بإمكاننا أن ننقل أسلحتنا عبر تونس من دون أي مضايقة⁶⁶. كتب محمد ليجاوي وهو أحد إطارات الثورة التحريرية: « كان هناك اتجاهان يمكن تصورهما آنذاك: إما بذل كل الجهد مهما بلغ، للتغلب على هذه الخلافات بهدف توحيد الكفاح، أو قبول هذه الخلافات والبحث عن أشكال للتضامن تكون أكثر مرونة. العديد من قادة جبهة التحرير الوطني لا سيما في الوفد الخارجي أخذوا بالاتجاه الأول. القادة الجزائريون أيدوا طرح الزعيم الدستوري صالح بن يوسف المعارض لبورقيبة الذي وقع اتفاقا حول الحكم الذاتي الداخلي مع فرنسا. العديد من قادة الثورة

66. أسبوعية الأوراس، العدد من 29 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 1990.

لاموا "بورقيبة" على مرونة تكتيكاته، التي قدروها بالانتهازية إلى حد ما، إن لم تكن تسوياتية» .

في هذه الآونة وقعت « اتفاقية سرية بين الإخوة في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وصالح بن يوسف عن الدستور الجديد التونسي، وعلال الفاسي عن حزب الاستقلال، تعهدوا بموجبها بمواصلة القتال حتى الاستقلال الفعلي لبلداننا الثلاثة. سريعا وبمبادرة من عبان رمضان، شرع في توزيع منشورات لجبهة التحرير الوطني تندد ببورقيبة في الجزائر»⁶⁷.

لا أقول من المستحيل، وللتحفظ أقول ضئيل جدا أن تكون هذه المنشورات من مبادرة عبان رمضان نظرا للمصلحة المشتركة بينهم وهي القضاء على اليوسفيين بالنسبة لبورقيبة، وعلى قادة الولاية الأولى بالنسبة للجنة التنسيق والتنفيذ. وكما نلاحظ أيضا تناقضا مع شهادة المجاهد جرعاي المذكورة أعلاه.

• نهاية جيش التحرير المغربي وحلم المغرب الكبير

أورد هنا مقطعا من شهادة بشير القاضي الواردة في كتاب « جيش التحرير المغربي » الصادر عن مؤسسة محمد بوضياف سنة 2004. بعد أن ذكر استسلام العديد من اليوسفيين يستمر : « ومع ذلك بقيت بقايا من جيش التحرير التونسي استمروا معنا إلى أن حدثت مفاوضات بيننا وبين بورقيبة، لأن مفاوضات أجريت معنا لإعادة ترتيب الأوضاع، والذي أجرى هذه المفاوضات هو الأخ بن بلة والكثير من الناس لا يعرف هذا، في مرحلة معينة بعدما رجع الطاهر لسود... إلخ. بن بلة جاء خفية ذات يوم من روما إلى

67. محمد لبحاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2005.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

تونس، وتفاوض مع بورقيبة لمدة أربعة وعشرين ساعة تقريبا لتنظيم الوضع لنا مستقبلا في تونس، واشترط الذين كانوا معنا من أتباع صالح بن يوسف أن يعطي لهم الأمان، ومن يريد أن يبقى معنا فله ذلك...». حسب الشهادات كانت هناك اتفاقيات بعدم المس بحياة المجاهدين الجزائريين وكذلك التونسيين الموالين لصالح بن يوسف. عن ماذا فاوز بن بلة؟ هل كان بن بلة متواطئا مع بورقيبة؟ (احتمال ضعيف، بل ربما مستحيل). هل خان بورقيبة؟ (محتمل جدا). أسئلة تبقى مطروحة إلى أن تنكشف الحقيقة. يستمر المجاهد بشير القاضي: « بعد تحويل طائرة القادة الجزائريين سنة 1956، استغلت الحكومة التونسية هذا الحادث للقضاء على عناصر الثورة الجزائرية الراضين للاتجاه البورقيبي، يعتبرونهم عملاء القاهرة...». في نفس السنة تم إعدام عشرات من قادة جيش التحرير التونسي والحكم على العشرات بالأشغال الشاقة وسجن المئات منهم، أما صالح بن يوسف فقد تم اغتياله في فندق بألمانيا سنة 1961.

تشكل الأحداث التالية: المفاوضات المنفصلة لبورقيبة، تحرير الملك المغربي محمد الخامس، إجهاض اجتماع المصالحة في تونس، اختطاف طائرة قادة الوفد الخارجي للثورة، العدوان الثلاثي على مصر؛ نقطة تحول نهائية في استراتيجية المقاومة المشتركة بل فشلها نهائيا. لحد الآن لا تزال هذه الأحداث إلى يومنا هذا تؤثر على مصير شعوب المنطقة، هذه الأحداث أدت أيضا وخصوصا إلى تحويل مسار الثورة الجزائرية، وسمحت بتسلسل بعض الانتهازيين والوصوليين داخل صفوف الثورة، وتسرب عملاء فرنسا في صفوف بعض قادة الثورة.

نجحت فرنسا في إفشال الحماس الثوري الوحدوي وتحييد الدولتين الشقيقتين المغرب وتونس. من الآن فصاعدا كرس فرنسا كل قواها العسكرية والدبلوماسية ضد الثورة الجزائرية.

الفصل التاسع الأوراس-الناماشة يهتز

• نهاية مؤسسة لشيخاني بشير

بعض المواقف المساوية التي وقعت منذ أكثر من نصف قرن، في سياقات تاريخية واجتماعية مختلفة عما نحن عليه اليوم، وفي ظل ظروف مادية شديدة القسوة، لا تتيح للمرء خيارات كثيرة، يجب ألا ينظر إليها أو يحكم عليها بمقاييس اليوم، خصوصا إذا كان المرء غير ملم بالموضوع. فقد وقعت بعض التصفيات والاعتقالات أثناء الثورة التحريرية لأسباب متعددة ومختلفة بقدر ما كانت ظروف الثورة معقدة، من بينها الصراع على السلطة أو الاختلافات الإيديولوجية بين القادة، وكذلك الأخطاء المرتكبة بين الحين والآخر من طرف هؤلاء وأولئك، وبعض السلوكيات البشرية غير المنضبطة مثل المشاكل ذات الصبغة الأخلاقية، كما لا يمكن إنكار حدوث بعض التصفيات بناءً على اتهامات غير مؤسسة.

في كل الأحوال هذه الإعدامات والتصفيات لا تمنحنا الحق في إدانة الضحايا، ولا يمكن أن تكون سببا للتشكيك في وطنيتهم. إن اختفاء هؤلاء الضحايا في وقت كانت الثورة في أشد الحاجة إليهم يعد خسارة كبيرة للثورة، وحتى ما بعد الثورة، لكن ظروف الحرب القاسية والانضباط الشديد

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أدت إلى مآسي درامية بمعنى الكلمة. هذه الضحايا كانت ومازالت وستبقى من أكبر رموز ثورتنا المجيدة.

فيما يتعلق بظروف « اختفاء » أو « إعدام » مناضل الحركة الوطنية شيحاني بشير، الشاب الذي كان يتمتع بثقافة عالية، رجل من رجال أول نوفمبر وأحد المساعدين الرئيسيين للقائد مصطفى بن بولعيد، تولى القيادة بالنيابة بعد سفر قائده إلى المشرق، هذا السفر الذي لم يقدر له أن يكتمل.

في غياب القائد مصطفى بن بولعيد أثبت شيحاني أنه القائد المنظم الذي لا ينازع، فقد حاول مع عباس لغرور وعاجل عجول تحويل منطقة (الأوراس-الناماشة) إلى أتمودج ناجح في التنظيم، فقد نصبوا إدارة عليا للثورة (هكذا كانت تسمى وكانت فعلا إدارة عليا للثورة في زمنها) وجهزوها بمعدات كبيرة وأحاطوها بشباب مثقف من أمثال نور الدين خلادي، مصطفى الدبابي، محمد معارفية، يوسف الربيعي، وغيرهم. كان بين هذا الثلاثي تنسيق تام في تسيير شؤون الثورة في بدايتها. عباس لغرور مكلف بالشؤون العسكرية وعاجل عجول بالشؤون السياسية وشيحاني بشير بالتنسيق العام. يشاء القدر أن يكون شيحاني بشير من بين أوائل قادة الثورة الذين غيبوا بعد أقل من عام على توليه مقاليد القيادة، وبغيابه طويت صفحة من صفحات الثورة بالمنطقة الأولى.

خلال هذه الصفحات سأسجل وأعرض للمواجهة الظروف والأسباب الحقيقية أو المفترضة التي تم فيها استشهاد شيحاني بشير.

• مقارنة مختلف الكتابات

من المهم التذكير بالظروف المفترضة لاستشهاده للمقارنة بينها، كما وردت في مختلف الكتابات والشهادات المتوفرة.

كتب محمد العربي مداسي على لسان عاجل عجول : « علي (يقصد الشايب علي غزال) رأى شيحاني وكتابه يمارسان فعلا مخللا بالحياء »⁶⁸ .
أيضا وفقا لشهادة عاجل عجول دائما : « تمت محاكمته وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم . لقد رتب عباس كل شيء... »⁶⁹ .

المؤلف محمد العربي مداسي يشير إلى أن عجول لم يغير قوله هذا حتى وفاته : « ميله المتكرر (يقصد عجول) لتحميل عباس كل عبء محاكمة شيحاني وإعدامه كان ثابتا حتى أواخر أيامه »⁷⁰ ، كما يروي في سرده للأحداث أن عجول قال مخاطبا بيشة وغيره من الجنود، مبررا لتنفيذ حكم الإعدام : « سأقول لكم، وسأترك لكم الحكم، شيحاني حوكم وأدين من طرف المحكمة الثورية لأنه سرق أموال النظام، ما يقرب خمسة ملايين، إضافة إلى أنه استأثر بثلاث نساء دون أن يتزوج أيا منهن شرعيا »⁷¹ . كان رد فعل بيشة الجودي عنيفا جدا، فقد وقف معارضا لتنفيذ حكم الإعدام في شيحاني بشير، تنفيذًا لوصية بن بولعيد الذي أوصاه بحمايته قبل أن يغادر إلى المشرق . بيشة كان يتهم عجول ويصفه بالكذاب .

أما الكاتب محمد عباس، وحسب تصريح الوردى قتال، فإنه لا يقدم في كتابه المعنون بـ « نصر بلا ثمن » أسبابا واضحة لمقتل شيحاني بشير، على أهمية الموضوع، فكل ما جاء فيه يتجه إلى ما لا يزيد عن اتهام عباس لغرور واعتباره المدير الرئيسي لهذه الحادثة (يسميها الكاتب « النكبة ») .

في الأخير خلص الكاتب ببساطة إلى أن السبب هو الصراع على السلطة، ويرى أن الصراع نشب بعد إلقاء القبض على القائد مصطفى بن بولعيد بين

68. Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sables*, Alger, SNED, 2004.

69. même ref.

70. même ref.

71. même ref.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الإخوة الفرقاء في المنطقة الأولى الذين انقسموا إلى جماعتين على حد ما ذكر :
« جماعة باتنة وعلى رأسها عمر بن بولعيد، وجماعة خنشلة وعلى رأسها
عباس لغرور المتحالف مع عجول »⁷².

الملاحظ أن جماعة خنشلة التي تحدث عنها لم تكن موجودة أصلا، هذا
الطرح مفرط في تبسيط التاريخ واختزاله من طرف الكاتب، المشهود له بأنه
على قدر جيد من المعلومات .

كان من الصعب على كل من استمعت إليهم ممن عاشوا الأحداث وعلي
شخصيا، تحديد المصطلح الذي استخدمه الكاتب (جماعة خنشلة) .
مما يدفعني إلى التساؤل : ممن تتشكل جماعة خنشلة التي ذكرها، ومن
يمكن أن يصنف ضمنها ؟

لا يختلف عارfan بالموضوع في أن عمر بن بولعيد كان طموحا ويرغب
في السلطة، وأن الصراع على السلطة نشب بينه وبين عجول .

الكثير من الشهادات تؤكد بأن عباس لغرور لم يكن يهتم بالسلطة أبدا،
وأنه لم يكن رجل عصبية، فقد كانت عصبته الوحيدة هي فريق المقاتلين
الذين يقارعون قوى الاستعمار في كل آن، ولم ينتم يوما إلى جماعة خنشلة،
ولا النمامشة، ولا السوافة ولا القبائل ولا غيرهم . يكتب محمد الصغير
هلايلي في مقال بعنوان « تسليط الضوء على نقاط الظل في شهادة اللواء
حسين بن معلم » : « إنه من أسباب فشل مهمة عميروش في الأوراس عدم
اتصاله بكل أعضاء قيادة الولاية، وخاصة عباس لغرور الذي تعمدت أطراف
معينة منع عميروش من الاتصال به، فهو الزاهد في المسؤولية المتعالي والمنزه

72. محمد عباس، نصر بلا ثمن، الجزائر، دار هومة .

على الخلافات وهو عمليا المسؤول الأول عن الولاية، فشهادته تكتسي أهمية خاصة لمن يريد الاطلاع على كل الحقائق والخلفيات»⁷³.

وفقا لشهادة المجاهدين: « تم تعيين عباس لقيادة المنطقة الأولى (الأوراس-الناماشة) بالإجماع بعد مقتل شيحاني، بحكم أن اهتمامه انصب على العمل المسلح أكبر بكثير من العمل السياسي، وعين عجول لتسيير الإدارة»⁷⁴. أما عجول فيؤكد في استجوابه من طرف السلطات الفرنسية أن عباس أصبح هو قائد الولاية بلا منازع، وقد أعطى استقلالية كبيرة للمناطق، ويقول عجول أنه رفض عضويته في القيادة بعد أن طلب منه عباس ذلك، ويعلل عجول رفضه بأنه لو فعل ذلك لاتهمه المجاهدون بأنه اغتال شيحاني من أجل السلطة، وقال أنه ينتظر حتى تتم مبايعته من طرف المجاهدين.

بناءً على كل ما سبق نعتبر أن اتهام هؤلاء الرجال بالكيد واغتيال رجال آخرين دون استحضار مختلف الشهادات وخصوصا الدوافع، يعد هجوما خطيرا على هؤلاء وأولئك، ومساسا مباشرا بذكرهم جميعا.

أما الكاتب محمد زروال الذي خاض كثيرا في أسباب الخلاف والفرقة بين القادة في المنطقة الأولى، فردد ما ذكره كل من تطرقوا للتهمة الموجهة لشيخاني دون تحديدها بدقة، بل اكتفى بوصفها بالسلوك المتنافي مع مبادئ الثورة، فهو يلفت الانتباه إلى أنه تعمد « عدم الخوض في تفاصيل هذه القضية التي يترفع هذا الكتاب من أن يخوض في أمرها»⁷⁵.

73. محمد الصغير هلايلي، مقال بجريدة الشروق اليومي 27 ماي 2006، بعنوان: « تسليط الضوء على نقاط الظل في شهادة اللواء حسين بن معلم ».

74. محمد زروال، اللمامشة في الثورة، مصدر جمعية أول نوفمبر، الجزائر.

75. نفس المرجع السابق.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

فعلا، فالكاتب محمد زروال لا يعطي تفاصيل عن هذه القضية الأخلاقية وهذا من حقه، خلاف ذلك يشير إلى أن عباس استشار أحد علماء الدين المحليين بشأن هذه المسألة، وأن هذا الأخير قد أضفى الشرعية على الحكم بالعقوبة القصوى (الإعدام). كما يذكر أن شيخاني حوكم بحضور 150 مجاهدا وأنه اعترف بالتهم المنسوبة إليه، وأن جميع المجاهدين استحسنا الحكم⁷⁶.

ثم يشير أيضا إلى أن محضرا مكتوبا حرر أمام جمع من المجاهدين الشهود وأن نسخة منه وجهت إلى المنطقة الثانية « شمال قسنطينة »، وكان يفترض اللقاء بين قادتها وبين قادة المنطقة الأولى لإطلاعهم بتنفيذ حكم الإعدام على شيخاني.

تمادى المؤلف في تكراره لإتهامات غير مؤسسة ضد عباس لغرور عبر إصداره لأحكام شخصية، مبنية على القيل والقال وعلى افتراضات مستنتجة من محض الخيال، مستخدما التركيب اللفظي وعبارات من قبيل، « يبدو أن... »، « يظهر أن... »، « وبعض الروايات تقول أن... »، « يقال أن... »، « قيل أن... »، « مما لا شك فيه أن... »، هذا ما يؤسف له، خصوصا وأن ذلك صادر من كاتب مجاهد.

هذه تهم خطيرة ضد رجل دفع حياته ثمنا للالتزامه الثوري المقدس المتمثل في تحرير الجزائر.

عند تناوله لموضوع نهاية شيخاني بشير، ذكر أن تصفيته كانت لسببين رئيسيين :

– أسباب دينية، جاء فيها : « أنكر عليه عباس وعجول وغيرهما من القادة الآخرين والمجاهدين سلوكا أخلاقيا يتنافى وقداسة الثورة التي يطبعها الجهاد الشرعي ويتهافت الناس على الشهادة فيها باسم الجهاد »⁷⁷.

76. نفس المرجع السابق

77. محمد زروال، اللمامشة في الثورة، الجزائر، دارهومة، 2001، ص 223.

- أسباب دنيوية، راح يفسرها بالتفصيل في عدة صفحات نلخصها في هذه السطور :

(أ) كتب أن شيحاني كان لا يتمتع بالقدر الكافي من الشجاعة ! وإن اعتبرت الشجاعة والبطولة من الصفات التي يجب أن يتميز بها كل مجاهد مخلص، فمن غير المعقول أن يحاكم ثم يعدم مجاهد في قامة شيحاني بسبب عادي أو بسيط مثل السبب المذكور (قلة الشجاعة). شيحاني إن لم يكن شجاعا فهو منسق ومفكر في شؤون التنظيم، وكانت الثورة أيضا في أمس الحاجة إلى هذا النوع من الرجال .

أجدني مضطرا للاعتراف بتفرد الكاتب بهذا التحليل الذي لم يأت به حتى الدّ خصوم عباس !

(ب) ذكر أن بشير شيحاني حاول الفرار إلى مدينة بسكرة، ولكن المجاهدين حسين بالرحايل ومصطفى بوستة كانا قد منعه من ذلك، وأن مصطفى بن بولعيد طلب من عباس وعجول أن يشددا عليه الرقابة .

أنبه الكاتب محمد زروال إلى أن شيحاني لم يحاكم بسبب محاولة الاستسلام للعدو، فهل حاول فعلا الفرار إلى العدو ؟

الظاهر أن هذا الاحتمال مستبعد كثيرا ؛ لأنه من غير المعقول أن يعين بن بولعيد شيحاني بشير خلفا له في غيابه، لو أن مثل هذه الشكوك حامت حوله حتى وإن كانت ضعيفة .

(ج) ذكر أن بشير شيحاني كان قد قتل مسعود معاش وامعمر لمعافي لأسباب تافهة نسبيا، ولم يستحسن عباس لغرور هذا العمل غير المبرر .

(د) تصفية شيحاني بشير لمجاهدين تونسيين كانا يجاهدان في الأوراس في إطار جيش التحرير المغربي، فقد كانا يتمتعان بمستوى جيد من الثقافة، مما دفع بشيحاني إلى تصفيتهما خوفا على مركزه القيادي .

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

نذكر أن شيحاني أيضا كان على مستوى عال من الثقافة باللغتين العربية والفرنسية، وكان ذكيا بما يكفي، مما يستبعد فرضية خوفه ممن هو أعلى وأكثر ثقافة منه .

(هـ) ذكر أن عباس حمّل شيحاني بشير المسؤولية عن إبادة جيش الاستعمار لأربعين مجاهدا، كانوا في طريق العودة من المنطقة الثانية، استشهدوا وهم بأيدي فارغة، مجردين من كل وسائل الدفاع، بعد أن نقلوا كمية من الأسلحة لهذه المنطقة .

كان يفترض أن تستبقى لهم على الأقل بعض الأسلحة للدفاع عن أنفسهم أثناء عودتهم إلى المنطقة الأولى وهذا ما لم يحدث، فاستشهدوا جميعا دون مقاومة تذكر. لكن هذا لا يبرر الحكم على شيحاني .

كل ما بأيدينا من مراجع تؤكد أن عباس لم يعترض على بعث أسلحة إلى المنطقة الثانية، بل كل ما في الأمر هو أنه لم يتقبل تجريد المجاهدين من السلاح وهم في طريق العودة، واغتم وحزن كثيرا لما حدث لهم، فقد أبيدوا عن آخرهم في كمين نصب لهم .

أشير إلى أن لغرور شعبان شقيق عباس استشهد مع رفقائه في شبكة سلاوة بنواحي عين أعبيد، بعيدا عن مسقط رأسه، في معركة شرسة ضد العدو، خاضها رفقة أفواجه الموفدة من جبل ششار إلى المنطقة الثانية حاملا رسالة موجهة الى زيغوت يوسف .

وذكر أيضا أن عباس وعجول كانا يغيران من شيحاني بسبب علو مستواه الثقافي مما دفع بن بولعيد إلى تعيينه ليحل محله في غيابه .

أعيب على الكاتب هذه الزلة وأنبهه إلى أنه من العبث اعتبار عباس وعجول جاهلين للدرجة التي يصلان فيها إلى قتل شيحاني لأن مستواه

التعليمي أعلى من مستواه أو أن يغتال شبحاني مجاهدا تونسيا لأنه أعلى منه ثقافة !

ز) قال أيضا أن الخطاب الثوري الذي أثار به شبحاني مشاعر المجاهدين والسكان في رأس الطرفة، أثار أيضا سخط نائبيه عليه .

أنبه إلى أن عباس وعجول كانا يعرفان شبحاني جيدا قبل الثورة فقد كان مسؤولا عليهم، فلو كانا يشكان فيه أو يغتاظان من مستواه الثقافي كما يروج الكاتب، لرفضنا تنصيبه كمسؤول على المنطقة الأولى بالنيابة، حال تفكير القائد بن بولعيد في تعيينه، علما أن القائد بن بولعيد لم يكن ليفرض على مساعديه شيئا .

من الواضح أن العنصرين الأخيرين أضافهما المؤلف ضمن الدوافع التي أدت إلى قتل شبحاني، دون استعمال التحليل المنطقي المبني على مقدمات ثم نتائج، ودون الرجوع إلى مصدر ذي مصداقية .

ما يثير الاهتمام في كتاب محمد زروال هو تجرؤ المؤلف على كيل التهم بلا حجج، وإطلاق أحكام جزافية ضد عباس لغرور، بل إن الكاتب أهان ذكرى عباس، وذكرى شهداء آخرين لما استعمل ألفاظا مخالفة للأخلاق، لا يمكن أن يتجرأ كاتب آخر على استعمالها (مثل دموي، تكالب، إلخ) .

في رد المجاهد قتال الوردي على سؤال الكاتب محمد عباس عن أسباب تصفية شبحاني، قال : « هناك أسباب قديمة تعود إلى قضية مسعود معاش ومعمر لمعافي من مجموعة خنشلة التي كان ينتمي إليها عباس لغرور، وهناك أسباب مباشرة منها استجابة شبحاني لطلب زيغود قائد المنطقة الثانية إرسال بعض الأسلحة الحربية لقلتها بالمنطقة . وتبعا لهذا الطلب جهز شبحاني فصيلة من المجاهدين بالأسلحة الحربية بما في ذلك رشاش 24، وأرسل معهم رسالة إلى

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

زيغود يقول فيها : « إن الأسلحة التي كنا ننتظرها من الشرق لم تأت بعد، وما أرسلنا إليكم قد اغتتمنا بدم الشهداء . أما أفراد الفصيلة فمن رغب منهم بالبقاء معكم فاحتفظ به ولا تجرده من سلاحه، أما من فضل العودة فزوده ببندقية مدنية يعود بها » . غير أن رفاق « زيغود » لم يعملوا بالوصية الأخيرة، فأخذوا من الفصيلة أسلحتها الحربية ولم يعطوها أكثر من ثلاث بنادق صيد . وصادف أن وقعت الفصيلة في كمين وادي غرغر، فاستشهد أفرادها على آخرهم... لكن عباس لغرور النائب العسكري لشحاتي لم يكن ينظر بعين الارتياح لدعم المناطق الأخرى خاصة، وكان رأيه : « ما على المناطق الأخرى إلا أن تحذو حذونا فتجاهد وتغنم كما تفعل المنطقة الأولى »، لذا استغل حادث الفصيلة التي ذهبت إلى شمال قسنطينة ولم تعد، وأخذ يكد (للشيخ) متهما إياه بالجهوية : « شيحاني يريد إضعاف المنطقة الأولى... »⁷⁸.

هذا السرد يتناقض مع النص الآتي والذي جاء في كتاب للرائد عمار ملاح حيث يقدم لنا رواية أخرى :

« إثر اتصالات بين قادة المنطقة الأولى (الأوراس-النمامشة) شيهاني بشير وعباس لغرور من جهة والقائد زيغود يوسف، أرسلت المنطقة الأولى وحدتين مسلحتين من جيش التحرير وعلى رأسهما : المجاهدان أحمد جرعوي وعزوز (يقصد شعبان) لغرور وهذا تضامنا مع المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) قبل هجوم 20 أوت 1955 »⁷⁹. ملخص ما ذكر الوردى قتال فيما سبق، هو أن تصفية شيحاني بشير تمت لسببين رئيسين :

78. محمد عباس، فرسان الحرية، الجزائر، دار هومة، 2001، ص 192.

79. الرائد عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة نوفمبر 1954، الجزائر، دار الهدى، 2004، ص 109.

أولهما تصفية شيخاني للمجاهدين أمعاش المسعود وامعمر لمعافي،
وثانيهما إرسال الأسلحة إلى المنطقة الثانية، وما نجم عنه من مصيبة استشهاد
كل الفوج المكلف بنقلها.

وفي موضع آخر نقراً حسب الوردى قتال دائماً، أن لغرور وعجول بدءاً
يكيدان لشيخاني مباشرة بعد معركة الجرف، وأنه أبلغ شيخاني بذلك، إذ
يقول: « بعد معركة الجرف مباشرة أخذ عباس يعمل على تصفية بشير
بالتنسيق مع عجول، فقد رأيت الرجلين يتناحيان كثيراً، وإذا رأياني فإنهما
يتظاهران بغير ذلك »⁸⁰. يذكر أيضاً: « بعد مقتل شيخاني أنكرت ذلك
على لغرور، فقال لي أنه يتحمل كامل المسؤولية »⁸¹.

يذكر المجاهد الوردى قتال أنه احتج على ما حدث لشيخاني، وهذا ما
أستبعده، فهل كان بالإمكان الاحتجاج فعلاً على حدث خطير في مثل تلك
الظروف، علماً أنه احتجاج مرؤوس أمام عباس لغرور؟

أما المؤرخ الجزائري محمد حربى فقد ذكر بالتحديد التهمة التي أدت إلى
إعدام بشير شيخاني، وهو متفق في ذلك مع ما ورد في مراجع أخرى متعددة،
فحسب المؤرخ يكون شيخاني قد أعدم بسبب « تهمة الشذوذ الجنسي »⁸².
حسب ما صرح لي محمد العربى مداسي، فإن رفاق الدراسة لشيخاني شهدوا
أنهم لم يلاحظوا في تصرفاته أي علامة للشذوذ الجنسي.

قد يكون هناك تصرف أو علاقة غير طبيعية لشيخاني أو غيره، وهو
تصرف موجود في كل المجتمعات البشرية، ناهيك بين شباب متوسط سنهم

80. محمد زروال، اللمامشة في الثورة، نفس المرجع السابق، ص 175.

81. محمد عباس، فرسان الحرية، الجزائر، دار هومة، 2001، ص 192.

82. Mohamed Harbi, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لا يتجاوز الخمسة والعشرين سنة، لكن قساوة الثورة وطابعها الديني لم تغفل ولم تغفر لهذا النوع من العلاقة.

يسرد الكاتب البريطاني « أليستار هورن » ظروف قيادة شيحاني للمنطقة الأولى، وكيفية إزاحته فيكتب :

« بشير شيحاني قائد المفرزة التي سقطت في كمينها عائلة "مونيرو"، لاقى معارضة متزايدة من قبل النمامشة، على بعد ما يقارب ثمانين كيلومترا من الأوراس، كان ينظر إليه على أنه أجنبي، وأتُّهم بممارسة اللواط وبتجاوزات أخرى قاسية. علاوة على ذلك يبدو أنه ارتكب سلسلة أخطاء تكتيكية، أسوؤها وقعت في نهاية سبتمبر، عندما سمح بتطويق مقر قيادته من طرف القوات الفرنسية في الجرف، في الجزء القاحل والأصعب للوصول من جبال النمامشة، رفض نصيحة مساعديه عجول ولغرور اللذين نصحاه بالخروج لكسر الحصار؛ وبالتالي خسر أغلب رجال فرقة الحرس المرافق له، وكل أسلحته، والأخطر من كل هذا، ترك كمية كبيرة من الوثائق التي كان ينبغي تدميرها، بما فيها توجيهات بن بلة. هذه الوثائق قدمت للمكتب الثاني كأغنى غنيمة تحصل عليها حتى ذلك الحين. حتى شيحاني نفسه تمكن من النجاة بأعجوبة، بعد أن كان تحت الردم مدة ستة أيام، في مغارة كان الفرنسيون قد فجرها مدخلها بالديناميت كان قد فقد كل هيئته وبريقه، وقرر عجول وعباس إبعاده، فبعد نجاته من عدة فخاخ، تمت محاكمته شكليا وتم إعدامه⁸³.

إن بعض الأسباب السابقة التي قد يكون بعضها حقيقيا والبعض منها مفترَض، لا تستوجب الحكم بالإعدام بمنظورنا الحالي، لكن صرامة الثورة وطابعها المقدس آنذاك لم تعف على تلك التصرفات أو الأخطاء. ما يجب

83. Alistair Horne, *Histoire de la guerre d'Algérie*, France, Albin Michel, 1977, p. 147.

أن نحتفظ به في ذاكرتنا هو أن شبحاني لم يخن الثورة وسيبقى بالنسبة لنا وللجزائر، أمس واليوم وغدا، رمزا وثائرا وطنيا من الدرجة الأولى .

أرجو أن تزول هذه الصورة وهذه « التهمة » من مفرداتنا اللغوية، ليس فقط احتراما لذاكرته، لكن أيضا حتى لا نلوث شخصية هذا الرجل الكبير بصفاته الوطنية ونزاهته، والذي وهب نفسه وكرس سنوات ريعان شبابه وحياته من أجل الجزائر، وهي صفات وعلامات رجال ثورة نوفمبر .

• استشهاد القائد مصطفى بن بولعيد

يمكن القول بأن مصطفى بن بولعيد، هو المناضل الأكثر تمثيلا للحركة الوطنية الجزائرية في كل أبعادها ابتداءً من أربعينات القرن الماضي، ساهم بأمواله وبروحه وبجهوده لجمع الشمل لتكريس ثورة نوفمبر 1954، هذه الثورة التي يمكن اعتبارها أكبر حدث وأعظم انتصار عاشه العالم العربي والإسلامي منذ سقوط غرناطة .

كان بن بولعيد رجل المرحلة، سخر كل ما بين يديه في خدمة الحركة الوطنية، وآوى في الأوراس لعدة سنوات من أصبحوا فيما بعد رواد الثورة .

دفع بالأوراس والناماشة إلى المغامرة الأكثر إثارة للحماس، هذه المغامرة أعطت للجزائر أمجد وأنبل وأروع الصفحات في تاريخها، كان بن بولعيد المصالح الحقيقي بين الفرقاء، جامع وموحد الرجال الذين قرروا صنع الحدث الذي زعزع الإمبراطورية العسكرية الفرنسية . الكل متفق على أن هذا الحدث أنجب الدولة الجزائرية الحديثة، وكان أكبر حدث وانتصار حققه الشعب الجزائري في تاريخه . لا يفوتني أن أشير إلى محاولة البعض الاستنقاص من قيمته ودوره في تغيير مسار التاريخ، في إطار نزعة الردة الرجعية والحنين إلى فرنسا الاستعمارية ببث شكوك حول ظروف اغتياله .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لا أبالغ إذ أقول أن استشهاد بن بولعيد كان خسارة كبرى للجزائر، فمن المؤكد أن الجزائر كانت ستظهر بوجه آخر، وجه مطمئن، أكثر إشعاعا لو كتب لرجال أول نوفمبر النجاة بعد حرب التحرير، أو لو لم يتم تصفيتهم أو إبعادهم عن المسار الذي قاد الجزائر إلى استقلالها ثم مسار بنائها لاحقا.

بالتعاون مع مساعديه شكل مصطفى بن بولعيد في منطقة الأوراس-الناماشة مدرسة حقيقية للوطنية، مر عبرها من أصبحوا روادا لحرب التحرير فيما بعد. في هذا السياق نسوق هذه الشهادة لبن طوبال، كما وردت في كتاب بن خدة: « في سنة 1950، كانت الشرطة تبحث عني كما كانت تبحث عن رابح بيطاط، حباشي عبد السلام، محمد بن جدو، والمكي تليلاني. قام رئيس قسمة أريس بنقلنا في سيارة إلى الأوراس أين استقبلنا من طرف عبيدي الحاج لخضر وعبد الحميد بوضياف في باتنة. بقينا هناك من أول أوت 1950 إلى نوفمبر 1952... بعد اكتشاف المنظمة الخاصة في 1950، شارك 800 عسكري فرنسي في عمليات الاعتقال والتفتيش والتعذيب على أمل أن يكشفوا المنظمة الخاصة، ولكن دون جدوى »⁸⁴.

ظل الأوراس لسنوات الملاذ الآمن أيضا لباقي الرواد كالقائد زيغود يوسف وبيطاط وبن مهدي وغيرهم.

كان مصطفى بن بولعيد على علاقة وثيقة بعباس لغرور، ويعود تاريخ العلاقة بينهما إلى منتصف سنوات 40، وأصبح الرجلان قريبين جدا إلى بعضهما، وسادت الثقة المتبادلة هذه العلاقة، كان عباس شريكا لمصطفى بن بولعيد في كل صغيرة وكبيرة في التحضير لعمليات إشعال فتيل ثورة أول نوفمبر. لما قرر القائد بن بولعيد الذهاب إلى المشرق بحثا عن الأسلحة، عين شيحاني بشير خلفا له في غيابه للاستفادة من كفاءته في التنظيم، وربما

84. Benyoucef Benkheda, *Aux origines du 1^{er} Novembre 1954*, Alger, Dahleb, 1989.

كما يزعم البعض أيضا لعدم إثارة النزاعات العشائرية، فكون شيحاني وافدا إلى المنطقة يجعله حيا ديا في احتمال نشوب الخلافات، فهو لا ينتمي إلى أي قبيلة في الأوراس-الناماشة. شيحاني كان مسؤول دائرة باتنة قبل اندلاع الثورة، لم يكن شخصا جديدا على المنطقة وخصوصا على مناظليها، لقد كان في علاقة وثيقة سنوات قبل الثورة مع كل من بلعثون، عجول، لغرور، عزوي، بن بولعيد وكل قادة ومناضلي الأوراس-الناماشة، وبالتالي فهو ليس دخيلا أو جديدا عليهم.

على أن المصادر تذكر أن بن بولعيد كان معتمدا أكثر على عباس لغرور وعاجل عجول⁸⁵، لمعرفة الجيدة بهما، فالرجلان يحظيان بالاحترام ويتكاملان بشكل رائع، هذا ما نفهمه من وصف الكاتبين محمد العربي مداسي ودومينيك فارال لهما في كتابيهما.

على ما ذكرنا من محاسن القائد بن بولعيد، فإن هناك نقطة يمكن أن يؤخذ عليها إن صحت العبارة، تتمثل في احتكاره تمثيل مناضلي الحركة الوطنية بالأوراس على المستوى الوطني، مما أدى إلى تغييب دور بعض رجال المنطقة على الصعيد الوطني لاحقا.

• تفاصيل استشهاد القائد بن بولعيد وفقا لكتابات المصالح

الفرنسية

كتب الفرنسيون الكثير عن ظرف اغتيال القائد بن بولعيد، وجاء كل ما كتب متطابقا، وإن كانت بعض الكتابات تغوص في تفاصيل تدبير المكيدة أكثر من غيرها، لكنها كلها تصب في نفس المعنى.

85. Mohamed Laarbi Madaci, *ibid*.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

بيّن العسكريون الفرنسيون في كتاباتهم المفعمة بالغرور وبنشوة الانتصار، كيف دبرت المصالح العسكرية الفرنسية في باريس مكيدة القضاء على أخطر قائد أذواق الجيش الفرنسي مرارة الهزائم، وكلفه أشد الخسائر إلى ذلك الوقت، لا يمكننا نقل كل المراجع التي تواتر فيها شرح الموضوع، ونقتصر على سرد واحد منها. حسب أحد عناصر الجيش الفرنسي العاملين في مصالح الحرب النفسية فإن : « قضية المذيع بالأوراس في 15 مارس 1956 : قرر SDECE (مصلحة المخابرات الفرنسية) في بداية عام 1956، القضاء على مصطفى بن بولعيد، القائد الأول للولاية الأولى (الأوراس). ووجب توجيه ضربة قوية، لأن التمرد القادم من الأوراس يمتد ليشمل كل الجبال المحيطة به.

SDECE اختار تلغيم جهاز راديو من نوع SCR 694، الذي "سيضيع خلال إنزال بالمضلات قرب مقر القيادة العامة لبن بولعيد".

كنا نعرف موقع مقر القيادة، فبدل فقدان رجالنا في عملية الهجوم عليه، يبدو أنه من الأسهل استعمال المكيدة. سيقوم رجال الولاية بكل ما بوسعهم لاستعادة الطرد "الضائع" بسبب حماقة الطيار الفرنسي قليل التجربة، وعندما يحاول مستعملو جهاز الراديو تشغيله سينفجر.

إذن فقد عرف السيناريو، وعلى الممثلين أخذ مواقعهم، وتنفيذا لذلك، تم تحويل ثلاثين من رجال GLI (الفرقة الخفيفة للتدخل) لبعض الوقت كمجندين احتياطيين بغية عدم إثارة قلق المجاهدين من هؤلاء الوافدين الجدد.

– تم تلغيم المذيع في باريس من طرف الرائد Lesuques.

– وردت رسالة في أوائل شهر مارس، تنبه إلى أن "الطرد" سيسلم لهم في

15 مارس على الساعة 17 (أي الخامسة زوالاً).

– وحدة المجندين المشار إليها توضع معالم المسار DZ.

- في الساعة المحددة، تظهر طائرة من نوع داكوتا DC3 Dakota : ترمي طردتين بمظلتين يحويان حصص المؤونة، يهبط الطردان على الأرض بسلام، لكن الطرد الثالث الحامل للمذيع تعترضه مشكلة جديدة، فقد بقي معلقا إلى عجلة ذيل الطائرة (في الواقع كان الطرد مربوطا إلى أحزمة).

وأخيرا استطاع الطيار التخلص منه على بعد كيلومتر من المكان...⁸⁶. هذه المقتطفات المفصلة من إحدى كتابات الفاعلين في المصالح الفرنسية التي دبرت ونفذت المكيدة التي أودت بحياة القائد الذي لا يضاهاى والرجل الذي حقق الإجماع بين الثوار النوفمبريين دون منازع.

ألا تكفي هذه الاعترافات الفرنسية لتبديد الشكوك حول كيفية استشهاد، مع الأسف الشديد ما يزال البعض إلى اليوم يثير الشكوك دون بذل أدنى جهد لتأكيد المعلومات المتعلقة بالموضوع، حماية لذاكرة الشهداء جميعا. تم الاحتفاظ بالسر بعد استشهاد بن بولعيد لشهور، أصبحت العداوات السابقة بين عجلول وعمر بن بولعيد دافعا لهذا الأخير إلى نشر إشاعات في أوساط المجاهدين، مضمونها اتهام عجلول بقتل شقيقه مصطفى. أنكر عجلول هذه الاتهامات جملة وتفصيلا، وظل على إنكاره رغم الإلحاح الشديد لمحمد العربي مداسي لانتزاع اعتراف، وكان هذا الأخير ملازما له لسنوات، فقد كان طبيبا في باتنة، نسج معه صداقة ثم أصبح حافظ أسرارته التي لم يبح بها لغيره، واستمرت صداقتهما إلى أن مات بين يديه بمستشفى باتنة في سنة 1993. كما تأكد أيضا بعد قراءة استجواب عاجل عجلول من طرف السلطات الفرنسية سنة 1956 أن عجلول لا علاقة له بتاتا

86. André-Roger Voisin, *Intox et coups fourrés pendant la guerre d'Algérie*, Bron (France), Cheminements, 2008.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

من قريب أو من بعيد باغتيال مصطفى بن بولعيد، يقول عجول في ملف استجوابه انه التقى ب قاسمي محمد بن مسعود الذي قال له انه (قايمي) كان قد ذهب الى جمورة لزيارة المجاريخ الذين تم نقلهم من جبل الازرق الى مصحة تحت اشراف الممرض عبد الوهاب وان هؤلاء المجاريخ هم من نجوا من انفجار راديو وقع منذ شهر ونصف . بن شايبة الذي يحمل اثار جراح في جبهته كان حاضرا شرح ظروف الانفجار واكد ان بن بوالعيد استشهد في هذا الانفجار . . ويذكر عجول أنه هو وعباس أعابوا على المجموعة التي أخفت استشهاد، ويقول حول فراره أن عباس طبع عددا كبيرا من المناشير تمجيدا لفرار بن بولعيد من السجن، والاستنقاص والسخرية من مصالح الأمن الفرنسية، وأنه تحدث مع عباس الذي قال له بوجود الحفاظ على بن بولعيد كقائد للمنطقة ومراقبة تصرفاته . ويذكر بالمناقشة التي دارت بينه وبين عباس حول احتمال رغبة بن بولعيد التفاوض مع السلطات الفرنسية فوصلوا إلى نتيجة : أنه مهما يكن فإن التفاوض مع فرنسا سيكون حتميا في يوم أو آخر، لكن يقول أنهما لا يريدان تفاوضا من نوع « بورقيبة » الذي أدى إلى أن أصبح صالح بن يوسف عدوا في نفس الوقت لكل من فرنسا وبورقيبة . كما أكد أن وحدة التفكير ضرورية بينهما وبين بن بولعيد . وصرح عجول أن بن بولعيد أكد له أن الادارة الفرنسية عرضت عليه التفاوض، لكنه رد عليها بأنه لم يعد هو القائد ولا يمكنه اتخاذ أي قرار فيما يخص التفاوض .

رغم قناعتهم بأن التفاوض مع فرنسا سيكون عاجلا أو آجلا، نلاحظ درجة وعي الرجلين بخطورة القرار الفردي للتفاوض . وما قد يتسبب من عواقب .

إن الاستمرار في تغذية شائعات من هذا القبيل، بعد أكثر من نصف قرن من وقوع الأحداث، يعد بحق ضربا خطيرا في المقام الأول لذكرى الشهيد بن بولعيد الذي يبقى عملاقا من عظماء ثورتنا المجيدة، ومعلما من معالم التضحية في سبيل الجزائر.

الفصل العاشر

الولاية الأولى

انتزاع مشعل الثورة - بداية الصراع على السلطة

« يلعب الوفد الخارجي لعبة الضفدعة التي تنتفخ طمعا في أن تصبح ضخمة كالثور. حرب الجزائر سيتم تسويتها بواسطة مقاتل الداخل، إذا تمسك بسلاحه في يده، أولن تسوّى »⁸⁷

فرحات عباس

« إن الفترة الممتدة بين 1954 و 1957 هي بحق، كما اعتبرها زعماء حزب جبهة التحرير الوطني، مرحلة البطولات، وهي مقسمة تقريبا إلى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس والكفاح من أجل البقاء خلال شتاء 1954 القاسي، وبعدها تأتي مرحلة التوطيد والتوحيد والتي تم خلالها انضمام مجندين وقادة جدد ومعهم جاءت سياسات وانشقاقات جديدة »⁸⁸.

حقيقة، فسنتا 1954 و 1955 اعتبرت سنتي التجنيد والكفاح من أجل البقاء، وسنتا 1955 و 1956 هما سنتا الانتصارات وتوطيد أسس الثورة،

87. Ferhat Abbas, *Autopsie d'une geurre*, Paris, Garnnier, 1980, p. 225.

88. Alistair Horne, *ibid.*, p. 175.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

وانتشارها عبر جميع أنحاء الوطن، أما سنتا 1956 و 1957 فهما سنتا التحاق مجندين جدد، وظهور سياسات وانشقاقات جديدة في صفوف الثورة، وهي تشكل واحدة من المراحل الأكثر مأساوية التي عرفتها الثورة، خاصة في الولاية الأولى، فقد شهدت أحداثا مؤلمة وتحييدا تاما من قبل خصوم متعطشين للسلطة، في حين أن القوى الاستعمارية، بالرغم من تسخير كل إمكانياتها الحربية، إلا أنها لم تتمكن من زعزعة الثورة.

بينما كان الثوار الأوائل منهمكين في نشر جبهات القتال وتأسيس بؤر الثورة عبر الوطن ويواجهون في نفس الوقت مشاكل التنظيم الناتجة عن تضاعف عدد المجاهدين الواجب تطهيرهم وتكوينهم ثم تسليحهم، كما كانوا في نفس الوقت يواجهون القوات الاستعمارية في ظروف قاسية، فإنه وابتداء من سبتمبر 1955 حسب محمد حربي⁸⁹ بدأ الصراع على الزعامة. بدأ هذا الصراع أولا بين مسؤولين خارج الجزائر، وهذا الصراع لم يمض عنه وقت طويل حتى امتد إلى الداخل وكانت له نتائج وآثار سلبية وضارة على مسار الثورة، وخصوصا على الولاية الأولى كما سنرى لاحقا.

• مرحلة التأسيس

بينما كانت الثورة تخطو خطوات عملاقة عبر كل أنحاء الجزائر، شهدت المنطقة الأولى (الأوراس-النمامشة) عمليات استثنائية: كمائن ومعارك كبيرة نذكر منها كمين تفسور الشهير والمعارك الكبرى، على سبيل المثال معركة الجرف والزاوية وإفري البلح، هذه المعارك التي رفعت عاليا مشعل الثورة، فقد سمع صدى هذه العمليات في الجزائر وعبر العالم، فقد سمحت بتدويل

89. Mohamed Harbi, *ibid.*, p. 175.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

القضية الجزائرية، وكانت أولى هذه الانتصارات هي حصول الوفد الجزائري على مقعد في مؤتمر « باندونف » بأندونيسيا في أبريل سنة 1955. لم تقاوم المنطقة الأولى فقط حصار آلة الجيش الفرنسي المدعم بقوات الحلف الأطلسي، بل حققت انتصارات ملموسة ولم تعط له راحة خلال الحصار المفروض عليها، فقد أعلنت السلطات الفرنسية أن الأوراس-الناماشة منطقة حرب. كانت عناوين الصحف تعكس تصريحات العسكريين الفرنسيين : « الأوراس مهد المتمردين، سوف يصبح مقبرتهم »، وأقاموا خناقا عسكريا على الأوراس-الناماشة لم يسبق له مثيل، « يجب الضرب بسرعة وبقوة لخنق التمرد » هكذا كانت تصريحات المسؤولين الفرنسيين. كانت المنطقة الأولى ولمدة عشرة أشهر تعاني حصارا قويا إلى غاية الهجوم التاريخي في 20 أوت 1955 الذي شنته المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) بقيادة زيغود يوسف، حيث تم فك الحصار وتشتت القوات الفرنسية. لقد عمت الحرب كل مناطق الجزائر ولم يكن « تمردا جهويا محليا » كما كانت تدعي فرنسا.

• توتر وخلافات

بعد مرور أكثر من سنة على الحرب الدائرة رحاها، قرر العديد من المناضلين والجمعيات والأحزاب الالتحاق بصفوف الثوار بعد أن كان البعض منهم يتردد أو كان ضد العمل المسلح. كما ترك مئات الطلبة مقاعد الدراسة والتحقوا بالمجاهدين وأعطوا بذلك نفسا جديدا للثورة. طريق الاستقلال بدا واضحا لا ريب فيه، أيضا وفي هذا الوقت بالذات بدأ الصراع على التحكم في مسار الثورة، في الشقق الفاخرة وفي الفنادق الفخمة بعيدا وخارج ساحة المعركة، بينما المجاهدون داخل الجزائر يواجهون الهجمات الشرسة والمتواصلة للجيش الفرنسي في انتظار الأسلحة التي لم تصل بعد. في هذا

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الظرف أصبح الصراع على مراقبة الولايات والتحكم فيها من طرف السياسيين خارج الوطن من أولوياتهم . لم يتأخر صدى هذه الصراعات في الوصول إلى داخل الوطن خصوصا الولاية الأولى ، فقد استغلت المخابرات الفرنسية هذه الظروف - إن لم تتسبب فيها - وذلك بإثارة الفتنة لخلخلة بنية الثورة . وأول ضحية المصالح الفرنسية هو المناضل علي مهساس وهو من أوائل ممثلي جبهة التحرير في الخارج ؛ فقد تم تقييده بواسطة وسائل الإعلام الفرنسية عندما تم « العثور » على رسالة نشرتها كل الصحف الفرنسية نسبت إليه . فقد كتب المؤرخ الفرنسي⁹⁰ مايلي : « تعطينا حالة مهساس مثالا آخر عن قدرة الصحافة وإمكانيتها، لكن في هذه الحالة بالعكس، يتعلق الأمر بتفجير خلافات داخلية ضمن السرية (الثوار) . نشرت الصحف في خريف 1955 رسالة مجهولة موجهة إلى شبحاني بشير وقدمت على أساس أنها أرسلت من طرف بن بلة ، هذه الرسالة جرّت في الوحل كل أعضاء الوفد الخارجي ، خصوصا خيضر ويزيد أعضاء جبهة التحرير الذين تم وصفهم بـ " الفضلات " . هذا المنشور أثار أو أحدث فضيحة داخل جبهة التحرير... مهساس اتّهم بكتابة هذه الرسالة ، لم يتعافَ أبداً منها » . كان كذلك الحال بالنسبة لعميروش وسي الحواس ، إذ حاولت القوات الفرنسية، بتجنيد كل وسائلها الحربية، القبض أو القضاء عليهما فلم تتمكن، عميروش كثير الحركة ليس لديه موضع استقرار، أما سي الحواس (حمودة عبد الرزاق) فكان يتربع على الولاية السادسة الشاسعة ويصعب تحديد موقعه . بعد فشلها لجأت فرنسا إلى تجنيد مصالح مخبرتها . فمن خلال وسائل الإعلام⁹¹ اختلقت توترا بين قادة الداخل وقادة الحكومة المؤقتة في تونس للزج بعميروش إلى السفر إلى تونس وبالتالي تحديد موقعه .

90. Jaques du Chemin, *Histoire du FLN*, Alger, Mimouni, 2006.

91. Henri Jaquin, *ibid.*, p. 217.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

وبالفعل، فحسب المصدر قرر عميروش السفر برفقة قائد الولاية السادسة سي الحواس واستشهد الاثنان في معركة بمنطقة بوسعادة. قد يكون (وكان فعلا عملاء في محيط وزارة التسليح) هناك وفي هذا الإطار عميل في محيط وزارة الحرب هو من أعطى معلومات للمخابرات الفرنسية حول مسار القائدين، إذا كان المسار قد أعطي فعلا. وقد أحدثت بعض الاتهامات ضلوع بعض قادة الثورة في تصفية عميروش.

• فكرة المؤتمر

كما كان مقررا من طرف مجموعة الـ22، ومجموعة الـ9، ثم مجموعة الـ6، وبعد اندلاع الثورة بشهور، بدأ قادة الداخل يفكرون في اتخاذ قرار بشأن موقع آمن ولائق لتنظيم مؤتمر لتقييم الحصيلة، ومد الثورة بهياكل ومبادئ توجيهية جديدة. كان الحديث يدور عن موقع في المنطقة الأولى، على الحدود مع تونس، وبالفعل حسب شهادة المجاهد صالح قوجيل فقد تم تحضير كل الخدمات اللوجيستية الضرورية لعقد المؤتمر لكن استشهاد بن بوالعيد أدى الى تاجيل المؤتمر الذي عقد فيما بعد بالمنطقة الثالثة.

أو عن مكان آخر في المنطقة الثانية. استشهاد ديدوش مراد والقبض على كل من مصطفى بن بولعيد، ورايح بيطاط، ثم فيما بعد ظهور اختلافات بين السياسيين بالداخل والخارج، كل ذلك ساهم في إلغاء هذا الخيار.

لم يبق من الستة التاريخيين في الداخل سوى العربي بن مهيدي وكريم بلقاسم، أما محمد بوضياف فقد كان موفدا إلى الخارج. في آخر المطاف ودون تشاور مسبق، اختيرت المنطقة الثالثة من طرف قلة من قادة الثورة لاستضافة اللقاء.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

في الواقع لم تشارك سوى ثلاث مناطق في لقاء 20 أوت 1956، وهي المناطق الثانية والثالثة والرابعة. رسمياً، الولاية الخامسة مثلت ابن مهيدى، علما أن الرجل كان قد غادرها منذ مدة واستقر في العاصمة. أما فيدرالية فرنسا والمنطقة الأولى والوفد الخارجى فلم يشاركوا لأسباب نوردها في ما يلي :

فيما يتعلق بالمنطقة الأولى، وجهت دعوات إلى قادتها، كما صرح عجول في كتاب مغربلي الرمال لمحمد العربي مداسي، « لقد تلقيت دعوة فعلا، وقد أرسلت على الأقل اتصاليين (عوني اتصال)، طالبا تحديد المكان والتاريخ، ومازلت أنتظر الجواب ». كما ذكر أيضا أن عباس لغرور تلقى هو الآخر دعوة، لكن عباس كان في تلك الآونة في طريقه إلى تونس، ولم يحدد عجول الأسباب التي دفعت بعباس إلى الذهاب إلى تونس، وسنرى فيما بعد أسباب سفره.

يبدو أن وفدا من المنطقة الأولى سافر براسة عمر بن بوالعيد لحضور اللقاء، فتاة في الطريق، أو وجه إلى مكان آخر بعيدا عن مقر اللقاء - كما ذكر بعض الكتاب - لذلك لم يكن للمنطقة الأولى أي ملاحظ في هذا اللقاء. « غاب ممثلو الأوراس-الناماشة ؛ وهكذا، بعد أن استخدم عبان عمر بن بولعيد لصالحه، رتب تغيبه مع مساعديه الأوراسيين »⁹². في رسالة شديدة اللهجة وجهها عمر بن بوالعيد الى عميروش يحمله مسؤولية ما يحدث من فوضى منذ وصوله (عميروش) الى الأوراس ويتهمه بالتحريض ضده وعزله وعدم ابلاغه قرارات "مجلس الثورة" اي الصومام ويذكره في هذه الرسالة بان بحوزته

92. Claude Paillat, *ibid.*, p. 259.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

وثائق تبين انه استعمل لغة تحريض و انه اعطى له موعدا للاجتماع به ولم يات وانه عين مسؤولين بدون استشارته... الخ

ألم تكن هناك إرادة لإبعاد المنطقة الأولى؟ لاسيما وأن المنطقة الأولى كانت على صلة وثيقة بالوفد الخارجي، الذي كان يترأسه على مستوى الدول العربية بن بلة. هذا وارد بالنظر للعلاقة المتوترة جدا بين هذا الأخير وعبان رمضان، مما تسبب في أضرار كبيرة للثورة.

هل أن افتقاد الثورة لقائد أو زعيم ذي كاريزما قلل من إمكانية تحقيق توافق حول الآراء بشأن مسار الثورة؟ بدون شك، فإن لهذا العامل تأثيره. وهذا هو المشكل الذي تعاني منه الجزائر منذ اندلاع الثورة إلى يومنا هذا. ألم يحافظ مصالي الحاج بكارزماته على استقرار حزبه لمدة تقارب ربع قرن؟

لعل ذلك كان سيجنب الثورة تلك الشقاكات المأساوية التي سببها أساسا الصراع على السلطة، الذي بدأ منذ لقاء الصومام حتى انقلاب جوان 1965، تلك الخلافات التي غالبا ما سويت في برك من دماء.

انعقد الاجتماع في منطقة القبائل، تم تبني أرضية أعطت تفاصيل كثيرة حول الخطوط العريضة للثورة، تمثلت في الهياكل التنظيمية والعسكرية والسياسية، هذه هي المرة الأولى التي تؤسس هياكل وطنية موحدة ومركزية للثورة، كانت منتظرة منذ بدايتها، ولكن ميدانيا كان من الصعب تنصيب الهياكل تنفيذيا بالنسبة للمجاهدين الذين يواجهون العدو، ليلا ونهارا، مغيّرين أماكن المعارك في كل مرة.

ألم تتسبب مركزة السلطات في بيروقراطية الثورة وتشويش المجاهدين؟ نعرف جيدا أن مركزية السلطة، وحتى في وقتنا هذا الذي شهد ظفرة غير

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

مسبوقة في تاريخ البشرية في بروز وتطور وسائل الاتصال، مازال ينظر إليها كعائق لأي نشاط .

إن استراتيجية حرب العصابات في مثل هذا البلد الواسع، وبوسائل الاتصال البدائية، تفرض حرية كبيرة في الحركة، وفي اختيار التكتيك واتخاذ القرارات، وهذا ما قررته مجموعة الـ 22 التي أعلنت الثورة. (كتاب محمد بوضياف : التحضير لثورة نوفمبر).

لقد عينت لجنة التنسيق والتنفيذ ضباطا وضباط صف بقرارات إدارية، في حين كان ينبغي أن تكون الترقيات وتعيينات المسؤولين ومنح الرتب كلها بقرارات أو باقتراحات المسؤولين المحليين، الذين يعرفون أفضل قيمة المجاهدين والسكان محليا، مع الأسف ذلك ما لم يكن في حالة المنطقة الأولى .

مسؤولو اللقاء تصرفوا كأنهم في قصر حكومي، وكأن للمجاهدين مكاتب قيادية متمتعين بوسائل اتصال مباشر بالقيادة .

• وفد هام

لتبليغ هذه القرارات والاستفسار عن الوضع، قررت السلطات المنبثقة عن هذا اللقاء إرسال وفد هام مكلف بمهمة هامة إلى المنطقة الأولى، يتألف من ثلاثة قادة ولايات : زيغود يوسف ومزهودي عن الولاية الثانية، سي الشريف عن الولاية السادسة، أو عمران عن الولاية الرابعة وعميروش عن الولاية الثالثة . لأسباب غير معروفة أو غير مبررة إلى اليوم، لم يصل إلى الأوراس غير عميروش الذي لم يكن آنذاك قائد ولاية، ولم يكن معروفا ولا يعرف قادة الولاية، مرفوقا بكتابه وحارسه الشخصي، أما زيغود يوسف فقد استشهد في معركة،

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

في 23 سبتمبر 1956، أي نحو شهر بعد انعقاد اللقاء. وقد يكون في طريقه إلى الأوراس.

صرح الجنرال حسين بن معلم الذي رافق عميروش، لجريدة الشروق في عددها ليوم 28 فيفري 2010 : « تفاجأ الجميع لعدم مجيء قيادة الولاية الأولى، رغم أن عمر بن بولعيد شقيق سي مصطفى جاء في الربيع إلى القبائل وأخذ الدعوة، إلى قيادة الولاية الأولى، وهو ما دفعهم إلى إرسال ثلاث لجان لمعرفة أسباب عدم مشاركة الولاية الأولى، بعد أن شكوا بأن أمرا خطيرا وقع في الولاية الأولى... اللجنة الأولى من الغرب بقيادة الرائد عميروش، والثانية من الشرق بقيادة العقيد زيغود يوسف وإبراهيم مزهودي، والثالثة من الجنوب بقيادة أو عمران وسي الشريف ملاح... وفي النهاية سي عميروش هو الوحيد الذي وصل إلى الأوراس (يرافقه كاتبه الذي هو أنا وحارسه الشخصي عبد الحميد مهدي) واللجنتان الأخريان لم تصلا... عمر أو عمران كان قد عين حينها على رأس الولاية الرابعة (وسط الجزائر) ولديه أشغال كثيرة فلم يذهب إلى الأوراس، أما سي الشريف (علي ملاح) فكان هو الآخر قد عين لتوه على رأس الولاية السادسة، ولديه أشغال كثيرة فلم يذهب هو الآخر، أما زيغود يوسف فاستشهد في الطريق... لما التقينا في سبتمبر 1956، بوفد من الأوراس بقيادة عمر بن بولعيد متوجها إلى الصومام لحضور المؤتمر الذي كان قد انعقد، وسألناهم عن سي مصطفى فأخبرونا باستشهاده. فاندھشنا وسألنا عمر معاتبين : لماذا عندما جئت إلى الولاية الثالثة في الربيع وقابلت كريم بلقاسم وعميروش لم تخبرنا باستشهاده ؟ فلم يجد عمر ما يجيبنا به .

اللواء بن معلم يعلل غياب سي الشريف وأو عمران كونهما مشغولين، أما زيغود يوسف ومزهودي و عميروش فهم ليس لديهم شغل حسب تحليله .

• أسئلة تفرض نفسها هنا

- لماذا أعطى قادة هذا اللقاء (لجنة التنسيق والتنفيذ) كل هذا الاهتمام لما يحدث في الولاية الأولى وعينوا مثل هذا الوفد المؤلف من : زيغود، أو عمران، مزهودي، علي ملاح، عميروش، وبينهم ثلاثة قادة ولايات ؟
- لماذا أرسل فقط عميروش، مرفوقا بشخصين فقط، بعد كل هذا الاهتمام الذي أعطي للموضوع خلال اللقاء ؟
- هل كان عميروش يتمتع بالكفاءات اللازمة لمهمة اعتبرت هامة ؟
- مع العلم أنه حتى ذلك الحين لم يكن بعد قائد ولاية، لم يكن يعرف لا الأوراس-النمامشة ولا قادتها الأساسيين، كما أنه لم يكن معروفا في المنطقة التي وصل إليها، مقارنة بين طوبال، زيغود، بيطاط، بن عودة وعدد آخر من الذين أقاموا في الأوراس قبل بداية الثورة.
- مستندا على الخلاف الناشب بين عجول وعمر بن بوالعيد، مال عميروش إلى صفٍ ضمن له الحماية، مستغلا له في تنقلاته .
- هكذا تجاوز عميروش نطاق مهمته، ولعله يكون قد افتقر إلى الدبلوماسية والمهارة، فقد اتخذ موقفا لصالح مجموعة ضد أخرى، في حين كانت مهمته هي تبليغ قرارات اللقاء التي لم يتطرق لها المجاهد بن معلم لا في الأحاديث التي أتاحت له من طرف الصحافة ولا حتى في مذكراته .
- هل نجح عميروش في تبليغ قرارات اللقاء إلى مجموع الأوراس-النمامشة ؟
- هل نجح في مهمته كحامل لرسالة سلام ورجل الصلح حسب ما هو معلن في مهمته ؟

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

بالتأكيد تكون الإجابة بلا في كلا الحالتين، بالنظر فقط إلى ما آلت إليه الولاية أثناء وجوده وتفاقت بعد قطع مهمته التي لم تكتمل نظرا لعدم الاتصال بقيادة منطقة أساسية في الأوراس وهي منطقة النمامشة.

كما أن الاستنطاق غير اللائق به كرجل مكلف بالصلح لواحد من قادة الحركة الوطنية وأحد أكبر المجاهدين في الثورة في الأوراس-النامامشة، قلل من مصداقية مسعاه. فقد تصرف عميروش « كمحقق » أمام عجول، هذا المناضل الكبير في الحركة الوطنية، الذي تم التخلي عنه وخيانتته من قبل بعض رفاقه، الذين استعملوا عميروش للقضاء عليه. أو قد يكون استعملهم هو للقضاء على عجول؟

إن استجواب عجول أمام مرأى ومسمع رفاقه المقربين، الحاج لخضر، عايسي والاتصال بفريق واحد من قادة الولاية، كل ذلك فاقم وعقد الوضع. فعجول واحد من القادة الأساسيين للولاية الأولى، نجا من محاولة اغتيال، في حضور عميروش « رجل السلم » إن لم تكن مدبرة منه، وبعد أن حوصر، اضطر مكرها إلى اللجوء إلى العدو لإنقاذ نفسه.

هل كانت أسبابه كافية لتسليم نفسه للعدو؟

- ثم هل كانت أمامه مخارج أخرى؟

إن منح عميروش للرتب والترقيات ومباشرة التعيينات في أوساط المجاهدين بطريقة اعتباطية، تسبب وعمق أكثر الخلافات بين بعض القادة المحليين، مثلما عزز وأثار القطيعة بين بعض المناطق.

لقد وصف معارضو اللقاء ظلما بالمشوشين، لأنهم هم عارضوا فعلا سلطة لا يعرفونها، ولا يعترفون بها بتاتا.

بعد رحيله المتسرع من الأوراس دون إتمام مهمته، تأزمت الأمور بعد أن كانت على وشك الحل قبل مجيئه كما سنرى لاحقا. استدعي عميروش رجل المهام الصعبة من قبل ل. ت. ت لاستكمال مهمته في تونس، أين تم اغتيال

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

عباس لغرور والقادة الأساسيين وإطارات الثورة، خاصة قادة وإطارات الولاية الأولى، كما سنرى لاحقا.

• بعض القراءات النقدية للقاء الصومام

وجهة نظر بن بلة

في موضوع هذا اللقاء، أجاب أحمد بن بلة الصحفي أحمد منصور⁹³ :
« طُلب منا خيضر وأنا، الذهاب إلى طرابلس وانتظار المبعوث الذي سيقودنا من طرابلس إلى داخل الجزائر لحضور مؤتمر الصومام . انتظرنا عشرين يوما دون أن يحضر أحد » .

بعد أن انتقد الطريقة التي انعقد بها اللقاء وكذلك لوائحه، صرح : « لا ممثل ولاية الأوراس ولا الولاية الخامسة حضرا المؤتمر، وبن مهدي مثل ولاية أخرى... » . ثم واصل : « أعتقد أن هدف المؤتمر هو سحب البساط من تحت أقدامنا، المؤتمر كانت له آثار سلبية على مسار الثورة... كانت هناك تصفيات لقادة الأوراس، لقد صفوا مسؤولي وقادة الثورة... الأوراس كان المنطقة الأهم بالنسبة لنا، وموقف مسؤوليه كان مماثلا لموقفنا، لهذا السبب بدؤوا تصفيات هؤلاء القادة... »

خلال لقائي بالرئيس بن بلة في 22 أوت 1982 بباريس، كان ناقما جدا على لقاء الصومام. انتقاداته كانت سياسية، لم تكن خلافات شخصية. بالنسبة له، كان وصول القادة الجدد المنحدرين من جمعيات وأحزاب عارضوا بشراسة العمل المسلح، ثم بأعجوبة، تولوا هذه الثورة، واحدة من القضايا الهامة التي أثارها.

93. Ahmed Mansour, *Le président Ben Bella dévoile les secrets de la révolution algérienne*, Beirut, Liab, Arab Scientific Publishers, Inc, 2007.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

أثار قضية أخرى فاجأني بها، هي شكوكه بخصوص اختطاف الطائرة، حيث أكد أن تحويل الطائرة التي كانت تقل القادة الخمسة، الذين كان هو أحدهم، كانت عملية مرتبة بين مصالح المخابرات الفرنسية والمغربية وبتواطؤ من بعض الجزائريين.

طلبت منه توضيحات أكثر، فأجاب بأن الوقت غير ملائم.

• إجهاض الحل الداخلي

مقتطف من تقرير ولاية خنشلة، المقدم في 22 سبتمبر 1984، الملتقى الثالث لكتابة تاريخ الثورة، للفترة من 1956 إلى 1958، الصفحة 4.

« ... إن حصار منطقة الأوراس بقوات فرنسية كبيرة (المظليون، اللفيف الأجنبي، قوات الأمن)، بالإضافة إلى المعمرين من ناحية، وغياب الاتصال مع باقي المناطق الأخرى وقيادتها، وإلقاء القبض على بعض القادة التاريخيين واستشهاد بعضهم، وانعدام الاتصال مع الموجودين في الخارج، والتزام أسلوب السرية المطلقة في التعامل، فضلا عن وصول ما وصل من استدعاءات لقادة منطقة الأوراس متأخرة بسبب بعد المسافة، زيادة عن استشهاد مصطفى بن بولعيد ذاته قبل انعقاد المؤتمر، هذه العوامل زيادة على غياب قيادة مجمع عليها أدت إلى تأخر وصول وتطبيق قرارات مؤتمر الصومام بصفة جذرية، وبصفة شاملة.

لقد كان قادة الأوراس، لما تحملته المنطقة من تدمير وضغط عسكري إلى جانب مناعة البلاد من الناحية الاستراتيجية، كانوا يرون وجوب عقد إجتماع عام في الأوراس من أجل تنسيق الجهود، وهذا هو السبب الذي دعا إلى معالجة الوضعية محليا بعد انعقاد مؤتمر الصومام لعقد ملتقى واد جديدة في

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أواخر 1956 من أجل دراسة الوضعية بعد مؤتمر الصومام في المجال التنظيمي، حيث اجتمع قادة الولاية مع حوالي ألف (1000) جندي، وتم في خلال هذا الملتقى المحلي توحيد وتنظيم جيش المنطقة من جديد، وبحضور عمر بن بولعيد رئيسه الشرفي، المسعود بن عيسى، محمد عزوني، حوحة بلعيد، عمار عشي، محمد الوهراني، عبد الرحمن عمراني، محمد الهادي رزامية، وغياب البعض القليل من القادة. هذا مع العلم أن هذا الملتقى كان أيضا لإصلاح ذات البين بين مسؤولي نواحي المنطقة، وتمخض عنه توحيد القيادة نوعا ما. والعمل على إصلاح الوضع بين مسؤولي نواحي المنطقة والعمل على إصلاح الوضع بين المتناحرين. غير أن انتقال عميروش إلى الأوراس حاملا قرارات مؤتمر الصومام أثر على قرارات ملتقى وادي الجديدة؛ وهو ما أدى في النهاية إلى عدم الانسجام التام بين المسؤولين في مناطق الولاية، بسبب توزيع الرتب العسكرية التي كانت غير مستخدمة بالمنطقة على بعض ضباط دون الآخرين. وهذا ما غدى مرة أخرى التفرقة بين المناطق التي وصلتها قرارات مؤتمر الصومام والتي لم تصلها.

ولا شك أن نشاط المخابرات الاستعمارية ذاته كان له دور لتغذية هذا الخلاف ليس على المستوى الداخلي فقط، بل على المستوى الخارجي أيضا. كما هو الحال في تونس حيث مازالت القوات الفرنسية مرابطة، وتستفيد من حرية الحركة استغلالا للخلاف، كما هو الحال بين أنصار صالح بن يوسف والشرعية البوريقية اللذين أثرا على أحداث الثورة وزعمائها في تونس (موقف الساسي لسود المتعاطف مع الثروة الجزائرية والمنتمي إلى جماعة صالح بن يوسف) وهذا ما أدى في النهاية إلى تصفية بعض قادة الأوراس في تونس أمثال: عباس لغرور - لزهو شريط - بلعيد حوحو - الزين عباد - التيجاني

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

عثماني - حميمي آيت زاويش - عبد المجيد زعروري - عبد الحي - المسعود
جلول بلحاج - الباهي شوشان - طالب العربي - عبد الكريم - الربيعي
قرفي - الحاج علي حامدي - محمد بن علي حفة - محمود منتوري - لزه
شريط - عبد الحفيظ السوفي...

بل إن هذا الخلاف ظهر على المستوى الداخلي أيضا، حيث صفى الكثير
داخليا بسبب عدم تطابق المواقف، وهذا في الوقت الذي كان الاتفاق يجمع
مبدئيا عميروش مع بعض القادة...

لعل انعكاسات المشاكل الداخلية للأوراس تتضح أكثر من خلال متابعتها
بالرجوع إلى نتائج (ايش اوراغ) أي القرن الأصفر، بتاريخ : 15 أبريل 55.
بعد إلقاء القبض وسجن قائد المنطقة مصطفى بن بولعيد، حيث كان من بين
الحاضرين : بشير شيحاني، عمر بن بولعيد، لزه شريط، عباس لغرور، عاجل
عجول، عبد الوهاب عثمان، المسعود بن عيسى، وغيرهم من الذين أسندوا
قيادة المنطقة إلى بشير شيحاني بصفته نائبه الأول، كما سمح ببروز قيادات
محلية آنية. وحل هروب مصطفى بن بولعيد من سجن الكدية بقسنطينة هذه
المشكلة، إلا أن نجاح المخابرات الفرنسية في اغتيال مصطفى بن بولعيد وعدم
إفشاء هذا الخبر للعام والخاص، وانعقاد مؤتمر الصومام في غيابه، وتأخر وصول
قراراته إلى المنطقة بسبب عدم التمثيل، عاد مرة أخرى لطرح مسألة القيادة،
غير أن ظروف المنطقة العسكرية من جهة، ومن جهة أخرى وقوع أحداث
جانبية على رأسها مقتل بشير شيحاني الذي فسر في تونس بعدم حمايته
من قادة الناحية؛ فسافر عباس لغرور لتبرير الموقف من هذه الحادثة. ومن
هناك تأزمت المشكلة أكثر فأكثر بسبب حادثة (الفيلا) بتونس العاصمة،
حيث اجتمعت قيادات المنطقة الثالثة، وكاد المشكل أن يفض لولا تدخل

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

عبد الحّي الذّي طلب من عبّاس الخروج من الاجتماع، وهناك أُطلق على المجتمعين رشاش أو قنبلة يدوية - حسب الروايات - تسببت في مقتل الزين عباد ومدني، وإصابة شريط لزهري في عينه وكسر ذراع ساعي بابانا، وهو ما أدى في النهاية إلى تعقد الخلاف فنتج عنه انقسام في قيادات هذه المنطقة من جديد. وهكذا انفض أنصار لزهري عن عبّاس. كما هو الحال بالنسبة لعبد الحّي وحوحة بلعيد وبعض القيادات الداخلية الذين حملوه مسؤولية هذا الحادث، وهو ما دفعه إلى مراجعة عملية توحيد القيادات مرة أخرى دون جدوى وسقطت عنه التهمة بعد اعتقاله، وهكذا اقتنع كل من لزهري وحوحة بلعيد اللذين لحقا به سعياً وراء الإفراج عنه فألقي عليهما وصحبهما القبض بواسطة السلطة التونسية، فلاقوا الإعدام مصيرهم الأخير، ومن هنا اشتد الخلاف بين الداخل والخارج. وهذا ما جعل ردة الفعل قوية احتجاجاً على مصير هؤلاء القادة، فرجع أهل المنطقة إليها. وهناك فقط لعبت فرنسا على هذا الوتر، فغررت ببعض ما سمي (المشوشين) الذين استنكروا الفعلة. فكان عدم اعترافهم بالقيادة الصادرة من الخارج. وقد سمح فراغ المنطقة من قياداتها الأصلية بزعامات جديدة تمثلت في مساعي بعض القادة. كما ضيق على جيش الأوراس الموجود في تونس من أجمل جلب السلاح، وإنما استغل هذا الجيش بمهام أخرى إلى مراكز مختلفة في باقي ولايات الوطن، والقاعدة الشرقية، والمنطقة الجنوبية، محاولة لخنق التمرد وفرض الشرعية، إلا أن هذا الأسلوب أضر بالجبهة فعرفت مع بداية سنة 1957 أشد ويلات الحرب أمام القوات المتكاملة عليها بمعطياتها التنشيطية الشاملة.

أما في مجال التسليح فقد وجهت دوريات الأوراسيين إلى الولاية الثالثة والثانية، وحتى الرابعة، فشح التموين والتسليح عن الأوراس - النمامشة.

ومن أهم الأحداث التي عاناها جيش الأوراس في تونس تلك التي عرفها في سجونها التي دخلوها عقب محاولتهم تبليغ مقررات ملتقى وادي جديدة، حيث عوملوا معاملة قاسية وتعذيبا وفاقا وسوء تغذية، وتجريدا من السلاح ؛ أو التي عرفها حين استخدم لحمل الأسلحة تلهية له عن مهمته الأساسية في الأوراس، كما هو حال الفرق التي انتقلت إلى تونس في بداية 57. بعد نقص المؤن والضغط الفرنسي الشديد، حيث دخلتها عبر الحدود التونسية وفي فريانة سجن، واكتشف الكثير من جيش الأوراس في السجون التونسية (ماي 57). وبعد انتقال الفرق إلى السجن المركزي بتونس ثم السجون التابعة للقاعدة الشرقية، إذ جوعوا وعذبوا وأهينوا، وهناك كلفوا حوالي 250 جنديا من طرف عميروش في مهمة حمل السلاح إلى الولاية الثالثة مروراً بالولاية الثانية، وخضع الجميع لتدريبات خاصة تحت إشراف "كومندو" خاص بالحراسة يرأسه سليمان لاصوا، فسيقوا حاملين أثقالا تزن في المتوسط بين 45 و 50 كلف من قطع السلاح، (قطعتان للجندي والذخيرة)، وبعد مشاكل عويصة ونقص المؤن، التعب، عدم الاتصال لطول المدة، ثلاثة أشهر، سلمت الأسلحة في الولاية الثالثة، ومن هناك عاد الجميع إلى الأوراس بدون سلاح فرقا فرقا، منهم فرقة سجن بالأوراس بعد مطالبتها بأسلحتها، ثم عادت مرة أخرى إلى الولاية الثالثة، حيث استشهد أغلبهم، وفرقة أخرى انقسمت مجموعتين، إحداهما بقيت في الأوراس والثانية عادت إلى تونس فرفض إدماجها في جيش الحدود، ما اضطرها للعودة إلى قاعدة "غارديماو"، (قاعدة الزيتون من حيث انطلقت القافلة). إلا أن هذه الأحداث لم تقض على الروح القتالية العالية التي يتمتع بها جيش الأوراس الذي نظم في نفس الوقت معارك وكمائن ذات نتائج بالغة الخطورة على العدو وأثرت على معنوياته وخططه...».

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

هذا التقرير يلخص رغبة القادة الجدد في التخلص، ليس فقط من قادة الولاية الأولى، بل حتى من جنودها. كما يوضح معاناة مجاهديها.

• تحليل المناضل والمؤرخ محمد حربي

أثار محمد حربي⁹⁴ سؤالين مهمين عن هذا اللقاء :

1. هل تمتعت القيادة المنبثقة عنه (لقاء الصومام) بإجماع قوي ؟
2. هل نجح المؤتمر كما خطط له عبان، في ضمان استقلالية الهياكل السياسية القائمة على التكامل بين قوى الثورة ؟ .

محمد حربي يعطي إجابتين للسؤالين المطروحين : « بالنسبة للنقطة الأولى، الإجابة سلبية : غياب الأوراس وفيدرالية فرنسا والوفد الخارجي سيغذي احتجاجات سوف تغرق في الدماء. في محاكمة للجنة التنسيق والتنفيذ عقدت بين 15 إلى 25 جويلية 1957، التي أصدرت سبعة عشر حكما بالإعدام في ظل ظروف سوف تؤثر بثقلها لاحقا على مسار الثورة... » .

محساس وعمر بن بولعيد حكم عليهما بالإعدام غيابيا. عبد الحّي السعيد المدعو « السوفي »، آيت زاوش احميمي، بلعيد حوحة، محمد بن علي، العيد البوحديجي، الباهي شوشان، شريط لزهري، التومي، قرفي الربيعي، هالي عبد الكريم، عباس لغرور، منتوري محمد، عثمان التيجاني، عبد الحفيظ سوفي، زعروري عبد المجيد : حكم عليهم بالإعدام ونفذ الحكم .

أدمجوا جميعا في قضية واحدة، رغم أن بينهم من لم يعارض مؤتمر الصومام . « كما يواصل محمد حربي في موضوع عدم توافق الآراء حول الصومام : « إن غياب جزء معتبر من قادة فرق وقوات جبهة وجيش التحرير الوطني، ليس العقبة الوحيدة أمام توافق قوي في الآراء. فوثائق مؤتمر يتلخص في

94. Mohamed Harbi, *L'Algérie et son destin : croyens ou citoyens*, Paris, Arcantère, 1992 (Stasbourg, Médias Associés, 1994).

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

اجتماع بين ستة أشخاص (عبان، بن مهدي، كريم، أو عمران، زيغود، بن طوبال) ترافقهم وفود يستشيرونها لكنها لا تشارك في المناقشات، لم تطرح سلفا على إدارات الولايات للنظر فيها. فقد حدث كل شيء وكأنه تحت عباءة المركزية، عقد المؤتمر لعزل ممثلي فريق آخر...» .

يذكر أرزقي باسطا في كتابه أنه في يوم إدانة هؤلاء الرجال، سقطت الولاية الجزائرية ثلاث مرات !

• الإنزال

حتى قبل لقاء الصومام، وصل أشخاص جدد بقوة إلى تونس، للاستيلاء على السلطة وانتزاعها من أيدي أوائل المجاهدين الذين سيبعدون منذ ذلك الحين عن مسار الثورة.

مقتطف من شهادة المناضل حامد روابحية كما رواها الصحفي والمؤرخ محمد عباس في كتابه : « الحلم والتاريخ » دار هومو، 2013، ص 280.

« اتصل عبان في ذلك بالشيخ حامد لسابق علاقته بتونس ومسؤوليها، فسافر في أواخر مارس 1955، واتصل بالباهي الأدغم والطيب لمهيري الوزيرين في حكومة بن عمار اللذين شرحا له ما ينتظره المسؤولون بتونس من قيادة الثورة، كانت جماعة بورقيبة تنتظر أمرين : 1. أن يتخذ الثوار الجزائريون الشريط الحدودي التونسي قاعدة خلفية للاستراحة لا لقتال الفرنسيين. 2. أن يلتزموا الحياد بين أنصار بورقيبة وأنصار صالح بن يوسف) .

بعد الاتصال بالأشقاء في تونس علم الشيخ حامد أن هناك مسؤولا عن الثورة هو المرحوم عبد الحفي، فاتصل به واتفق معه أن يتعامل بصفة رسمية

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

مع الحكومة التونسية كمثل للثورة⁹⁵، وعلى هذا الأساس قدمه للمسؤولين التونسيين. كان عبد الحي قد أرسل مع جماعته من طرف شيخاني، لتولي مهام التسليح بالاتصال مع الوفد الخارجي بالقاهرة.

ويبدو أن عبد الحي استحسن هذا الموقف من الشيخ، فعرض عليه البقاء في تونس لتنظيم جبهة التحرير الوطني، باعتبار أن عبد الحي يمثل جيش التحرير الوطني فاعتذر لأنه جاء في مهمة محددة.

عاد الشيخ إلى العاصمة فقدم تقريرا عن مهمته لعبان الذي ما لبث أن طلب منه الالتحاق بتونس كمثل لجبهة وجيش التحرير مع المرحوم مزيان آيت احسن، عوض عبد الحي وغيره من المتكلمين باسم الثورة⁹⁶.

رأى الشيخ في التكليف بعض الحرج فمانع بادئ الأمر، لكن عبان ألح في الطلب بقوله : « إذا قبلوك في العمل فأهلا وسهلا، وإذا لم يقبلوك فالزم مكانك ريثما ينعقد المؤتمر »، أي مؤتمر الصومام الذي كان في طور التحضير⁹⁷. وسوف يحل الإشكال⁹⁸.

نزل حامد مرفوقا بآيت احسن يوم 12 ماي 1956. وكما كان منتظرا، فقد استقبل هو وزميله بكامل البرودة من طرف جماعة عبد الحي الذين تساءلوا : « لماذا رجعت ؟ لقد كنا في حاجة إليك لتكوين الجبهة، أما الآن فقد كونها وانتهى الأمر » . لم يحمل الشيخ وزميله معهما وثيقة الاعتماد، فضلا أن

95. انقلاب على من عين عبد الحي .

96. أليس هذا انقلابا أو نزع الشرعية من أوائل ممثلي الثورة ؟ ما هي مكانة عبان في الثورة في ذلك الوقت حتى يصدر اوامر باسمها ؟

97. نلاحظ هنا استراتيجية عبان ونواياه قبل مؤتمر الصومام .

98. فعلا تم حل الإشكال بالقضاء على عبد الحي .

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

ترسل عن طريق البريد، على عنوان أحد أنصار عبد الحي الذي كان الشيخ على سابق معرفة به .

لما وصلت وثيقة الاعتماد إلى العنوان المذكور، بلغت لعبد الحي بدل أن تبلغ لصاحبها، فقام باستنساخها وأرسل نسخة منها إلى قيادة الأوراس مرفقة بتقرير، مفاده أن هناك نظاما جديدا حل بتونس ليزاحم النظام القائم بها⁹⁹ .

انتظر الشيخ وثيقة الاعتماد بدون جدوى إلى أن أدرك حقيقة الأمر فاتصل بالعاصمة يطلب اعتمادا جديدا. فلما بلغه قدم نسخة منه إلى الحكومة التونسية، ونسخة إلى جماعة عبد الحي موضحا أن وجوده وزملاءه (التحق بالشيخ وآيت احسن الدكتور محمد الصغير النقاش ومحمد الحاج يعلى ومحمد الميلي) للتعاون معهم وليس لمنافستهم¹⁰⁰ .

قام الشيخ أيضا بإشعار جماعة القاهرة بوجوده ورفاقه في تونس، فأجابهم المرحوم محمد خيضر مهنئا .

هذه النوايا الحسنة من لدن الشيخ ورفاقه، لم تسهل مهمتهم مع ذلك لدى جماعة عبد الحي التي ظلت ترفض التعامل معهم¹⁰¹ .

وفي هذه الأثناء خرج الوردی قَتال صحبة عمر البقصي إلى تونس من ضواحي سوق أهراس، ولما رأيا ما رأيا من جماعة عبد الحي حاولا القيام بدور الوسيط . وفعلا تمكنا من عقد مصالحة، أسفرت عن تكوين هيئة يترأسها عبد الحي، وينوبه فيها الشيخ حامد وآيت احسن وغيرهما . ويقول الشيخ حامد :

99. وهذا هو الواقع .

100. لماذا لم يقبل الشيخ حامد روابحية المهمة التي عرضها عليهم عبد الحي ؟ لماذا سلمت نسخة إلى الحكومة التونسية ؟ ومن قرر أن عبان هو المتحدث باسم الثورة ؟

101. وهل نزع سلطة من عبد الحي هي نوايا حسنة ؟

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

« هذه الهيئة بدأت تشتغل، وأرسلنا آيت احسن إلى القاهرة للاتصال بالوفد الخارجي، لكن ما لبث أن عرفنا - بكل أسف - أن أحد أعضاء الوفد (المعني في الحالتين هو أحمد بن بلة) كان يحرض عبد الحي علينا ويحرضنا على عبد الحي في نفس الوقت، بواسطة التعليمات المتناقضة التي كانت تصلنا منه » .

ذات يوم كان الشيخ وآيت احسن في طريقهما إلى اجتماع التنسيق آنف الذكر، فخطر لهما أن عرجا على المرحوم أحمد التليلي مدير الحزب الدستوري الذي فاجأهما بطلب غريب : السماح للسلطات التونسية بإلقاء القبض على عبد الحي وجماعته وحجز الأموال التي يقومون بجمعها، بدعوى أنهم يكيّدون لهم، فكان جوابهما : « هذه القضية بين جزائريين، سنعمل على تسويتها فيما بيننا » .

ورغم تأكيدات مدير الحزب الدستوري بناء على المعلومات المتوفرة لديه، أصر الشيخ ورفيقه حضور الاجتماع المقرر مع عبد الحي، وقد أدى بهما ذلك، كما كان منتظرا، إلى الوقوع في قبضة هذا الأخير، مع عناصر أخرى من « الموالين للداخل » . وكان رد الفعل الأول من « الداخل » أن طلب من السلطات التونسية التدخل لإنقاذ المسؤولين المبعوثين من العاصمة الجزائرية، في حين تلقت نفس السلطات طلبا بعدم التدخل من أعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة، وفعلا حاصرت القوات التونسية عبد الحي وتمكنت من إلقاء القبض عليه مع عناصر « موالية للخارج » (يقصد ممثلي الثورة في الخارج) وتحرير الشيخ حامد وصاحبه آيت احسن... » . لماذا استجابت الحكومة التونسية لطلب « الداخل » ولم تستجب لطلب لمثلي « الخارج » ؟ اليس هذا تدخلا في شؤون الثورة ؟.

هذا التهميش مس الوفد الخارجي، كما لاحظ محمد حربي في نفس المصدر : « معززا بإنزالات متعددة (آيت احسن، قايد مولود، حامد روابحية

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

في تونس، الشيخ خير الدين في المغرب، فرحات عباس، أحمد فرانسيس، توفيق المدني، أحمد بودة، عبد الحميد مهري... في القاهرة، الوانشي محمد الصالح في باريس)، سحب (تمثيل الوفد الخارجي) من بن بلة لصالح الدكتور ملين دباغين.

لجنة التنسيق والتنفيذ تتصرف كما لو أنه لم يوجد سابقا أي هيكل للثورة، في الوقت الذي كان للثورة ممثلون فعليا في القاهرة، في تونس، وفرنسا¹⁰². نلاحظ هنا تهميش او عزل كل قادة ثورة نوفمبر وتعيين ملين دباغين الذي رفض ما اقترحه عليه بن بو العيد وكريم وهو تبني اندلاع الثورة. عباس لغرور الذي كان في تونس لتسوية خلافات داخلية في منطقتة، واجه مشاكل تسبب فيها على وجه التحديد هذا « الإنزال » كما وصفه محمد حربي.

في هذا الوضع، لما كان عباس لغرور يحاول تلطيف أجواء منطقتة، دون تدخل عناصر خارجية لتجنب المآسي، وصل الممثلون الجدد لجهة وجيش التحرير الوطني إلى تونس، وأصبحوا في مواجهة مع محساس وعبد الحي والطالب العربي ومناضلين آخرين ممن كانوا فعليا ممثلين في الميدان ؛ مما عقد الوضع ووتر العلاقات بينهم. واندلع الصراع بين الوافدين الجدد والممثلين الأوائل لجهة وجيش التحرير، المستقرين في تونس منذ اندلاع الثورة.

أورد طالب الإبراهيمي في كتابه¹⁰³ أنه تلقى اتصالا من عبان في جويلية 1956 يبلغه، كما كتب : « بضرورة التنقل إلى تونس، حيث يتدهور الوضع »، واستقبل في تونس : « خصتني السلطات باستقبال أخوي ».

يضيف : « في هذا السياق، التقيت العديد من الفاعلين، سواء من جانب عبد الحي، الذي تمرد ضد سلطة الجزائر (يقصد لجنة التنسيق والتنفيذ التي

102. Mohamed Harbi, *ibid*.

103. Taleb Ibrahimy, *Mémoire d'un Algérien : Rêves et épreuves 1932-1965*, Alger, Casbah, 2006. p. 106.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لا تزال داخل الجزائر)، أو من جانب الشرعيين الذين يتزعمهم آيت احسن، الذي كان بالضبط سجين عبد الحي. اعتقدت أنني حصلت على مفتاح الحل عندما تناولت الغذاء مع عباس لغرور، قائد الولاية الأولى، يرافقه محافظه السياسي محمد منتوري (الذي سررت برؤيته)، الذي - بعد جدل - وعدني عند نهاية الأمر باستعداده لسحب قواته من تونس، وإعادة عبد الحي إلى صوابه وإطلاق سراح آيت احسن، إذا أمره بن بلة بذلك ».

في طرابلس، التقى طالب الإبراهيمي بن بلة يقول: « لما أبلغوه عن زيارتي، اعتقدت أنني جئت لأبلغه عن اجتماع مهم لقادة الثورة قيد التحضير، كان يجهل مكانه وزمانه ».

بالتأكيد كان بن بلة يفكر في لقاء الصومام. لماذا لم يكلف الإبراهيمي بتبليغ بن بلة وعباس لغرور عن موعد ملتقى الصومام الذي كان على وشك الانعقاد؟

- من هي السلطة « الشرعية » بالجزائر التي يتحدث عنها طالب الإبراهيمي؟
ألم يكن محساس وعبد الحي شرعيان؟ فهما من أوائل مؤسسي شبكتي جبهة وجيش التحرير الوطني بتونس.

- ألا يحق لهما اعتبار آيت احسن ومولود قايد وحامد روابحية معينين من قبل سلطة يجهلانها؟

« هؤلاء المعينون » الذين أنزلوا بتونس، عامين بعد اندلاع الثورة، لتمثيل جبهة وجيش التحرير الوطني دون التشاور أولاً مع ممثليهما منذ 1954!

هل كان طالب الإبراهيمي الذي ذهب إلى تونس في جويلية 1956 (لا يحدد تاريخاً دقيقاً) على علم بعقد وشيك للقاء الصومام في 20 أوت 1956؟
إذا كان يعلم، فلماذا لم يبلغ قادة المنطقة الأولى وبن بلة؟

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

يذكر طالب الإبراهيمي في مذكراته : « تم الاتفاق في لقاء مع خيضر والدوم في سان ريمو، بأن نبلغهم (بن بلة) بتاريخ ومكان الاجتماع المقترح، حال إخبارنا بذلك... » .

- لماذا لم يكلفه عبان بإبلاغ بن بلة وعباس لغرور ؟

وقع هذا في جويلية، واللقاء كان سينعقد في 20 أوت 1956 .

أليس في ذلك إرادة لإبعاد بن بلة والمنطقة الأولى ؟

طالب الإبراهيمي يسجل : « اكتشفت باستغراب الخلافات في القمة، أين أصبحت الطموحات الشخصية ذات أولوية على مصير شعب... » . الإبراهيمي يقصد هنا بن بلة. نذكر أن العلاقات بين بن بلة والبشير الإبراهيمي لم تكن جيدة أثناء الثورة، وأن طالب الإبراهيمي سجن وعذب أثناء حكم بن بلة .

بمناسبة الاحتفال بإحياء الذكرى الـ 57 لثورة أول نوفمبر 1954، المنظم من قبل وزارة المجاهدين، دعت لأول مرة للحضور من طرف صديق عن طريق الصدفة .

يعتبر الحضور بالنسبة لي فرصة للقاء المجاهدين، كان هناك العديد منهم، لحسن الحظ ! هاهو طالب الإبراهيمي، الذي تمنيت لقاؤه منذ قراءة مذكراته لأطرح عليه بعض الأسئلة حول لقائه مع عباس لغرور . كان جالسا مع مجموعة من قدماء المجاهدين وكبار المسؤولين، حتى لا أقتحم مجلسهم المشرف هذا، راقبت من بعيد لحظة مغادرته . في الواقع لما كان على وشك المغادرة، سارعت إلى تجاوزه بعدة أمتار ثم الاستدارة لأجد نفسي وجها لوجه معه، حييته وقدمت له نفسي كأخ لعباس لغرور، فحياني بحرارة بالقبلات .

كان سؤالي جاهزا : « سيدي الوزير، قرأت في الجزء الأول من مذكراتك أنك التقيت عباس لغرور، أنت واحد من القلائل الأحياء الذين التقوه في

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

تونس . شهادتك ثمينة جدا بالنسبة لي . أيمكنك أن تقول لي بعض الكلمات أو تعطيني موعدا لإجراء مقابلة ؟ » .

كانت دهشتي وخيبة أمني من إجابته البارة في مستوى ما هو معروف به الرجل ، بأناقته البدنية ولباقته المعنوية : « اتصل بوزارة المجاهدين ، سيعطونك عنواني ... » .

لم أفهم إلى اليوم معنى إجابته ، فاكتفيت بالقليل الذي كتبه عن عباس . بالنسبة لمالك بن نبي¹⁰⁴ : « المؤتمر غير جذريا هيكله الثورة ، بوضع لجنة التنسيق والتنفيذ مكان النظام (التنظيم) » . كما يعتبر أن اللقاء مس بعنف هياكل ومبادئ الثورة ، معتبرا أن الذين بادروا بالثورة ، هم مجاهدون ومناضلون أبعدهوا من قيادة الثورة .

اتَّهم مالك بن نبي وانتقد إنشاء المنطقة الحرة للعاصمة ، التي اعتبرها « الخطوة الأولى الخاطئة » للثورة ، والتي أدت فيما بعد إلى النزعة الولائية والجهوية .

كما اتهم عبان بأنه : « استعمل لعبة المخادعة أو الحيلة لقطع رأس إدارة ثورة 1 نوفمبر 1954 لاغتصاب سلطتها ومحاولة استعمالها ضد الثورة نفسها » .

كما اتَّهم اللقاء بأنه ثبت قيادة جديدة للثورة لتحضير أرضية للتفاوض مع فرنسا : « القادة السابقون لحزب الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان الجزائري (عباس ، فرانسيس ، آيت احسن...) الذين اتخذوا لهم مكانا ضمن قادة جبهة التحرير الوطني مواصلين ضغطهم على المثقفين المسلمين (قدماء حزب البيان) لاستمالتهم لجبهة التحرير . هذه المناورة التي أثنى عليها عبان خدمتهم للاستيلاء على القيادة الفعلية لجبهة التحرير في الخارج ، للقضاء على العناصر المتشددة لتسهيل بدء المفاوضات مع الحكومة الفرنسية » .

104. Sadek Selem, ouma.com.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

ولاحظ، أن بعد الصومام : « الثورة لم تُعد لها قيادة، بل إدارة ممونة لاحتياجات العظمة (الأبهة) أكثر من احتياجات المقاتلين » .

كما احتج أيضا على أولوية السياسي على العسكري وكتب أن ذلك يعني « وضع بن بولعيد وإخوانه المجاهدين تحت سلطة عباس فرحات وأحمد فرانسيس، إلخ...، لإبعاد القيادة الشرعية المتمثلة في الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير الوطني ». دخول قادة أحباب البيان والمركزيين في جبهة التحرير، انتقد من طرف جيش التحرير الوطني في مجلس الولايات الثالثة والرابعة في ديسمبر 1956¹⁰⁵ .

وفي الأخير طلب أيضا « لجنة تحقيق في ملابسات مقتل بن بولعيد، عباس لغرور، زيغود يوسف، عميروش، "العقيد" محمد باهي، عبد الحمي، مصطفى لكحل، عميرة علاوة » .

أما آيت احمد فقد استحسن إنعقاد مؤتمر آخر : « الأخ بن بلة أوصى حقا بالاستدعاء المبكر للمؤتمر، للفصل خصوصا في النزاع حول السيادة، الذي يتعارض فيه مع الأخ عبان، في ديسمبر 1956 - جانفي 1957 . وقد شرع في الإجراءات في تونس أين يجتمع العسكريون بالبنزة العسكرية وبدونها للتصويت على لائحة سحب الثقة من لجنة التنسيق والتنفيذ، ولمعارضة أرضية الصومام... لقد ندد عبان بين بلة في مراسلته، وأعلن عن إرسال أربعة آلاف جندي إلى تونس للتضييق على المعارضين لمؤتمر الصومام »¹⁰⁶ .

هذا يلخص جيدا الوضعية السائدة في سنتي 1956 و1957، حيث كانت كل الوسائل الممكنة مستخدمة للوصول إلى السلطة وليس محاربة القوات الفرنسية .

105. Sadek Selem, Ouma.com, SHAT 1H1247 (synthèse mensuelle secteur : Alger-Sahel-zone nord, août 1957).

106. Hocine Ait Ahmed, *Guerre et l'après guerre*, Paris, de Minuit, 1964, p. 198.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

عبان أراد أن يرسل أربعة آلاف مجاهد للتضييق على المعارضين لهذا اللقاء، بدلا من تعزيز قوة جيش التحرير ضد القوات الفرنسية.

• أولوية « الأنا » على « الأنت » .

من بين مبادئ أرضية لقاء الصومام، أولوية الداخل على الخارج. هذا المبدأ المحمود طبق فقط على الورق، إذ وبعد اللقاء ببضعة أشهر، وبعد إنشاء المنطقة الحرة في الجزائر العاصمة، التي كانت خطأ استراتيجيا حسب العديد من الكتابات، مكن القوات العسكرية الفرنسية من القضاء عليها: ألقى القبض على بن مهدي ثم اغتيل، وأصبح المسؤولون الأساسيون والفدائيون بين موقوف وقتيل في مواجهات دفعت قيادة الداخل إلى الخروج، واستقرت بالخارج تاركة الولايات تواجه مصيرها، خصوصا الولاية الأولى التي تم تعيين قائدها بالإنزال برتبة عقيد، دون علم مجاهديها، وحصل على إقامة في تونس ككل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ.

عقب مرادة مصطفى المدعو « بن النوي »، قائد الولاية الأولى بالنيابة، في مذكراته على تعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى، من طرف القيادة المنبثقة من لقاء الصومام: « هذه القيادة لم يكن ينبغي تكوينها في تونس، أي خارج البلاد، لأن المشاكل كانت داخلية وكان لا بد من حلها في الداخل وليس خارج الجزائر. وقد تسبب تكوين هذه القيادة وتمركزها في الخارج وعدم دخولها إلى أرض الوطن، في ظهور مشكلات وعوائق كبيرة »¹⁰⁷.

في الواقع لم يكن في إمكان مسؤولي الداخل اتخاذ قرارات ؛ لأنه لم تكن لديهم صلاحيات التعيين أو المعاقبة، فكل الصلاحيات متركزة على مستوى القيادة في تونس (نتيجة لأرضية لقاء الصومام).

107. مذكرات الرائد مصطفى بن النوي، نفس المرجع.

الولاية الأولى، انتزاع مشعل الثورة...

كانت الاتصالات بالداخل صعبة وبطيئة، والتشاورات مع اعتبار السلم الهرمي تقريبا مستحيلة، وحتى بعض المسؤولين الذين تنقلوا إلى تونس للتشاور لم يعودوا، كما يذكر مراردا أيضا أن العدو استغل الخلافات التي برزت بين القادة الوطنيين وقادة الولاية الأولى لبناء خطي « مورييس » و « شال » .

بالداخل، الولايات كادت تختنق تحت ضغط القوات الفرنسية وغياب التوجيهات. بعض قادة الولايات استلذوا طعم الراحة وفضلوا الاستثمار في صراع العصب في الخارج.

يكتب محمد حربي : « فيما يخص الاستيلاء على السلطة من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ، يجب التأكيد على دور قادة المناطق وعملائهم، هؤلاء العملاء يريدون الأسلحة، والأموال، والسلطة المطلقة على اللاجئين الجزائريين في تونس. يشكل المسؤولون الجهويون فعلا سلطات مضادة محلية انتهازية. أصبحت الرشوة مظهرا أساسيا لتثبّت وانتاج هذه السلطات المضادة. اختيار وترقية الضباط لا علاقة له بالمشاركة في القتال أو الصعود إلى الجبل. كالقياد، والآغاوات والباشاغوات في النظام العثماني، القادة هم في نفس الوقت ممثلون لعملائهم لدى لجنة التنسيق والتنفيذ ومفوضيهم، وممثلون للجنة لدى عملائهم.

الولاء للجهاز ليس مباشرا، ولكن يمر عبر وسطاء، طغات حقيقيين. كان لزاما الانتظار حتى وصول هوارى بومدين في 1960 لهدم كل هذا¹⁰⁸.

الاستنتاج الذي يلخص نظرة متوازنة إلى حد ما، بين المواقف المختلفة من لقاء الصومام، قد تكون تلك التي عبر عنها الرئيس هوارى بومدين.

108. Mohamed Harbi, *ibid.*, p. 84.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كتبت « أنيا فرانكوس »، في كتابها المخصص لسيرة الرئيس بومدين : « قال بومدين لاحقا أن الجانب السلبي في مؤتمر الصومام هو دخول القادة السابقين لجمعية العلماء والمركزين أو شخصيات اتحاد البيان الجزائري في قيادة جبهة التحرير الوطني، أولئك الذين كرس أول نوفمبر فشلهم. كان علينا ترك الثورة تنضج، مما كان سيسمح ببروز إطارات جديدة منبثقة من القاعدة الثورية. هذا من شأنه تجنيبنا كثيرا من الأزمات »¹⁰⁹.

109. Ania Francos et Jean Pirre Sérèni, *Un Algérien nommé Boumediène*, Paris, Stock, 1976, p. 66.

الفصل الحادي عشر ساعة المؤامرات

« المرأة المستعملة لوجهين تتحطم »
« ما أسهل أن تفرق وما أصعب أن تجمع »

مثل شاوي

• مؤامرة تخريب لقاء تونس

في محاولة لفهم مجريات وظروف وتطورات لقاء « ماتيلد فيل » بتونس، نستعرض ما وقع بين أيدينا من كتابات تناولت الحدث رغم إقرارنا بنقصانها، كما نضع بين أيديكم ما وقفنا عليه من شهادات أدلى بها بعض من كانوا فاعلين للحدث، مع التنبيه إلى أن هؤلاء لهم نصيبهم من المسؤولية والحقيقة أيضا. ما تم من عمل ضد لقاء المصالحة الذي دعا إليه عباس لغرور بين شهري سبتمبر وأكتوبر 1956، بين قادة المنطقة الأولى، وكذا القرصنة الجوية التي راح ضحيتها أعضاء الوفد الخارجي للثورة. عاملان هامان في تغيير مسار الثورة، فقد شكل هذان العاملان نقطة تحول نحو ترسيخ نهائي لظهور قيادة جديدة للثورة، ونقطة تحول أساسية في مآل الثورة الجزائرية وفي مسار بناء الوحدة المغاربية.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

في ما سيأتي سنسرد بعض الكتابات والشهادات التي تناولت ما اشتهر بـ « مؤامرة ماتيلد فيل » أو « تبادل إطلاق النيران بماتيلد فيل » (ماتيلد فيل حي واقع بإحدى ضواحي تونس).

ورد في تقرير منظمة المجاهدين لولاية خنشلة للفترة 1956-1958، المؤرخ بـ 22 سبتمبر 1983 الذي جاء تحت عنوان « تقرير الولاية الأولى » الذي قدم إلى اللقاء الثالث لكتابة تاريخ الثورة : « غادر عباس لغرور إلى تونس لتوضيح ظروف استشهاد شبحاني بشير والإطلاع على قرارات الصومام التي لم ترسل بعد إلى قادة الولاية الأولى، هؤلاء لم يحضروا المؤتمر بسبب شرعية التمثيل، أو كما تذكر بعض الكتابات، بسبب تأخر وصول الوفد الممثل إلى مكان المؤتمر. سافر عباس أيضا لمعالجة قضية القيادة في الولاية الأولى بعد استشهاد القائدين بن بولعيد وشبحاني .

عقد لقاء مصالحة بين مسؤولي الولاية في " فيلا " بضواحي تونس العاصمة، وكان المندوبون سيبدوون النقاش حول الوصول إلى اتفاق، لما تدخل عبد الحي طالبا من عباس الخروج من القاعة. في هذه الأثناء أطلقت أعيرة نارية أو فجرت قبلة يدوية على المندوبين - وفقا للشهادات - متسببة في مقتل الزين عباد وشهيد مدني، وجرح شريط لزهرو وكسر ذراع بابانا ساعي ¹¹⁰ .

مثلما هو وارد في عدة كتابات وشهادات ¹¹¹ نلاحظ في التقرير أنه بعد اتهام عباس في قضية اجتماع « ماتيلد فيل » والاشتباه بتدبيره لها، انتهى شريط لزهرو وحوحة بلعيد إلى رفع الشبهات التي حامت حول عباس، والذي كان حينذاك سجيناً عند التوانسة، حتى أنهما قررا الذهاب والعمل للإفراج

110. تقرير منظمة المجاهدين لولاية خنشلة للفترة 1956-1958، المؤرخ بـ 22 سبتمبر 1983 الذي جاء تحت عنوان « تقرير الولاية الأولى » الذي قدم إلى اللقاء الثالث لكتابة تاريخ الثورة .

111. انظر في الملاحق شهادة اصميدة الطاهر .

عنه، ولكن حدث الأسوأ، فقد ألقى عليهما القبض من طرف التوانسة وسجنا معه، ثم تمت تصنيفتهما فيما بعد .

فما الذي حدث حتى يقتنع شريط لزهرو حوحة بلعيد ببراءة عباس إن كان متهما؟ ولماذا يقرر حوحة بلعيد الذهاب إلى تونس للعمل على تحريره؟ من يكون إذا وراء تدبير هذه المؤامرة؟ لا يعطي التقرير أية تفاصيل عن حقيقة هذا الحادث الخطير، ما عدا هذا التوضيح البسيط :

« عبد الحي نادى عباس لمغادرة القاعة » ؛ ما يدفعنا نحن أيضا لنطرح هذه الأسئلة التي تفرض نفسها علينا : لماذا دعا عبد الحي عباس وحده لمغادرة القاعة؟ وهل دعا عباس للمغادرة، فقط ببساطة لسبب تنظيمي؟ هل تقتصر العملية على تصفية الحسابات؟ هل كانت العملية مؤامرة مدبرة من أطراف خارجية؟

يتابع التقرير مبينا : « بعد إلقاء القبض على عباس لغرور ورفقائه تدهورت الأوضاع داخل الولاية وخارجها. أدخل المجاهدون من الولاية الأولى إلى السجون، عُذبوا وعانوا أشد أنواع الإذلال، واستُخدموا لنقل الأسلحة إلى ولايات أخرى، وعادوا بدون أسلحة إلى ولايتهم، فاستشهد كثير منهم في الطريق وهم عُزل بلا أسلحة »¹¹².

• فكرة مؤتمر جديد - معارضون أو مشوشون

بعد زعزعة استقرار المنطقة الأولى بتصفية أحسن الإطارات، وبعد تعيين، أو بالأحرى إنزال قادة جدد جيء بهم من خلفيات سياسية وعسكرية أخرى، برز المعارضون بجلاء وتضاعفوا، لاسيما وأن حجتهم أن القادة الجدد لم يكن

112. التقرير السابق.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

لديهم الشرعية الثورية التي كانت لدى الرجال الذين فجروا الثورة ليلة أول نوفمبر 1954 .

كل هذا لم يحل دون استمرار المجاهدين في توجيه ضربات قاسية للعدو ومواجهة ظاهرة « المشوشين » الذين كانوا في الواقع معارضين لآلة التطهير .
بعد أن وصف الخلافات التي ظهرت بعد لقاء الصومام، ذكر المجاهد عبد الرزاق بوحارة¹¹³ :

« كان المسؤولون الأوائل، أي أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ CCE وقادة الولايات، يبذلون كل جهودهم لإيجاد حلول للمشاكل الخطيرة التي كانت تلغم صفوف جبهة التحرير الوطني وجيشه . ولا يستطيع أحد أن يشكك في إيمان آخر أو في قدراته، لكن عنف الزوبعة كان بشكل لم تكن معه الحلول بديهية . وفي ظل هذه الروح بالذات وهذه الظروف الصعبة، كان لغرور عباس قد بادرت بتنظيم عمليات المصالحة والتشاور، قصد تقليص الخلافات التي جعلت عددا من قادة الولاية الأولى يواجهون بعضهم البعض . تفاقمت هذه الخلافات بصفة خاصة، منذ فقدان سي مصطفى بن بولعيد، لكن هذه الجهود تلاشت مع الأسف الشديد بقوة، بفعل حادث خطير : في الوقت الذي كان فيه قادة الأوراس والناماشة مجتمعين برئاسة لغرور عباس، قام أحد الرجال بفتح النار على المجتمعين . هذا الحادث الذي يبدو أنه لم يكشف بعد عن أسراره، جعل الوضع يزداد تعقيدا في ناحية كان من شأن الطاقة العسكرية فيها أن تساهم بكيفية معتبرة في تعزيز معركة التحرير . وفي أغلب الظن فقد كان هناك في مكان ما شبه إرادة تسعى لإفشال كل محاولة للمصالحة وإدامة الخلافات التي تلغم صفوف جيش التحرير الوطني... » .

113. نفس المرجع، عبد الرزاق بوحارة .

الارادة التي تسعى لافشال محاولة الصلح؟ لم يعط المجاهد بوحارة اي مؤشر لهذه الارادة .

ويضيف في موضع آخر : « انتشر بعد ذلك خبر مفاده أن الولاية الخامسة تعترض على قرارات الصومام . يقال أن بوصوف أوفد مبعوثا إلى تونس للتعبير عن موقفه . كانت فكرة عقد مؤتمر جديد تنتشر وتتوسع . كان الأمر في ذلك الوقت يتعلق بلقاء بين عباس لغرور وقادة آخرين من الأوراس-النامامشة من جهة، وأعضاء جبهة التحرير الوطني في الخارج عند مرورهم بتونس » .

في موضع أبعد يشير الكاتب : « إن فكرة مؤتمر جديد وجدت طريقها للقبول . كانت في تلك الآونة مسألة لقاء بين عباس لغرور وقادة الأوراس والنامامشة من جانب، ومن جانب آخر أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني أثناء مرورهم على تونس . قيل آنذاك أن مؤتمرا جديدا، فضلا على أنه أكثر ضرورة خصوصا ان الندوة الفرنسية المغاربية بتونس، يمكن أن تُفضي إلى ندوة فرنسية مغاربية للبحث عن حل للمعضلة الجزائرية » .

هذا الاجتماع لم ينعقد لأن الطائرة المقلة للوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني تم اعتراض سبيلها من قبل القوات الاستعمارية .
وهذه شهادة المجاهد أرزقي باسطا¹¹⁴ في الموضوع :

« وإذا بالقائد الجديد لولاية الأوراس، الأخ المجاهد عباس لغرور، يلاحظ غياب العديد من قادة المناطق والقطاعات في الميدان، فأبلغوه حينها بكونهم توجهوا إلى تونس، كما أخبروه بما آل إليه الوضع هناك ؛ فقرر عباس لغرور حينها

114. ولد سنة 1930 بالجزائر العاصمة، مناضل في حزب الشعب ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية . انضم إلى صفوف الثورة في 1954، كلف من قبل كريم بلقاسم بعدة مهام في الخارج، في القاهرة، طرابلس، وكلف خصيصا باغتيال « خائن » في روما، واكتشف على الفور أن الأمر يتعلق بعلي محساس، فرفض المهمة، مما أدى به إلى السجن .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الذهاب إلى تونس لإعادة الجميع إلى داخل الولاية الأولى بالأوراس، ليصل إلى تونس برفقة بعض إطارات الولاية، وكان ذلك في فصل الخريف، فالتقى خلالها المسؤولين الاثنين عبد الحي وهادي (يقصد هالي)، ليشرح له هذان الأخيران الوضعية وما آلت إليها منذ البداية، فاستدعى عباس لغرور كل القادة المتواجدين بتونس لحضور اجتماع. ولدى إخبارهم بفحوى الاجتماع فرح قائدا (مسؤولا) جبهة التحرير الوطني بتونس المذكوران أنفا وأحسا بالارتياح لتلك المبادرة، والتي تتمثل في عودة جميع القادة إلى الجزائر، فأبدى أولئك القادة موافقتهم على حضور ذلك الاجتماع مع وجود الارتياح من بعضهم البعض. وفي يوم الاجتماع، كان الجميع مسلحا وكانوا ينتظرون وصول عباس لغرور، أما الفيلا التي انعقد فيها الاجتماع فكانت تقع في منطقة سكنية بالعاصمة تونس (بماتيلد فيل) وهي ملك لأحد الجزائريين المقيمين في تونس. ولدى ملاحظتهما سلوكيات بعض القادة، قام عبد الحي وهالي بتحضير خطة جهنمية حيث نصبوا رجالا لهم مسلحين في مواقع محددة، فقد كانا متأكدين أن أولئك القادة، أو على الأقل أغلبيتهم، لن يقبلوا بالعودة إلى الجزائر دون أن ينازعوا أمر سلطة عباس لغرور عليهم، ليصل هذا الأخير برفقة بعض الإطارات، وبمجرد أن وطئت قدماه مدخل الفيلا، دعاه مسؤولا جبهة التحرير عبد الحي وهالي لاتباعهما إلى غرفة أخرى، فإذا بالضيوف الآخرين ينتابهم الشك حول مؤامرة تحاك ضدهم، وعليه ما إن دخل عباس الغرفة الأخرى حتى سمع دوي طلقات نارية، انجر عنها سقوط ضحايا وجرحى...»¹¹⁵.

المجاهد الوردي قتال أحد الحاضرين للحدث ذكر في شهادته ما يلي :
« جاء لغرور إلى تونس مرفقا بطلبة 19 ماي 1956 الذين قرروا الإضراب عن الدراسة والالتحاق بالجمال، ومن هؤلاء الشهيد منتوري ومصطفى الدوبابي .

115. باسطة آرزقي، الجزائر، دار الهدى، 2010، ص 369.

وهناك اتصل بجماعة عبد الحي وطالب العربي وطلب مساعدتهم لتحديد الوردي قتال ورفاقه بطريقة أو بأخرى، بدعوى التمرد على قيادة المنطقة الأولى¹¹⁶.

يوصل المجاهد قتال : « بعد هذا القرار الخطير اتصل عباس لغرور بمختلف الفرق لحماية وحدة الإدارة في الولاية الأولى، ولكن بدون جدوى ». يشير أيضا إلى أن المنطقة الأولى كانت على علاقة بالوفد الخارجي وبين بلة، وقد بعث بن بلة إلى منطقة النمامشة سي أحمد بوزبيد، ليشرح لمجاهديها أسباب رفض قرارات الصومام.

وأنه عند وصولهم إلى تونس، أخذ لغرور وجماعته يفكرون في الخروج على قيادة الداخل والخارج على السواء !

وأنه في هذا السياق، تندرج محاولة تصفية قيادة النمامشة !
وكان معارضة توجيهات الداخل والخارج تقتصر فقط على تصفية قادة النمامشة !

يضيف الوردي قتال في هذا الصدد : « دعانا لغرور إلى اجتماع بمركز لجماعة عبد الحي، كان في السابق عبارة عن زاوية، فرفضت الذهاب وكنت أتوقع مكروها.

لكن لغرور تمكن من اقناع لزهري شريط، وكان رجلا شجاعا طيبا أخلص للجهاد لوجه الجهاد، فقررنا الذهاب والمشاركة في الاجتماع.

دخل لزهري والزين عباد وبابانا ساعي مكان الاجتماع، وبقيت خارجه ألاحظ وأراقب... في انتظار وصول الباهي شوشان... وأنا أنتظر جاءني عبد الكريم وقال لي أن لغرور يطلبك للشروع في الاجتماع، فلا داعي لانتظار

116. محمد عباس، فرسان الحرية، الجزائر، دار هومة، 2000، ص 198.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الباهي... وبمجرد أن دخلت انقطع التيار وأشعلت الشموع، وقام عبد الكريم يدعو لغرور لأمر خارج القاعة... وما هي إلا لحظة حتى انفتحت ثلاثة أبواب، وإذا بالرصاص يتهاطل علينا من كل جهة... فقتل الزين عباد وجرح الباقون جروحا متفاوتة الخطورة»¹¹⁷.

ثم يضيف الشاهد: «إن هذا الحادث وقع متزامنا مع اختطاف الطائرة (22/10/1956)، وأن السلطات التونسية تدخلت لتصفّي جماعة عبد الحي شر تصفية، وأن لغرور سارع بالعودة إلى الجزائر لكن إلى حين».

فيما يتعلق بلقاء الصومام، يضيف المجاهد قتال الوردي قائلا: «لمزيد من الوضوح، خرجت قيادة النمامشة إلى تونس لمقابلة محساس، الذي جاء بتعليمات من بن بلة وخيضر، تدعو إلى رفض قرارات الصومام والتحضير لمؤتمر حقيقي رسمي بحضور قادة الداخل والخارج معا».

و من الانتقادات التي وجهت للمؤتمر آنذاك :

1. أن المؤتمر لم يشرف في قراراته لا للعروبة ولا للإسلام.

2. أن المؤتمر كان منقوصا من الولاية الأولى والخامسة والوفد الخارجي واتحادية فرنسا¹¹⁸.

بعض التساؤلات حول هذه الشهادة :

لا يعطي الشاهد أي تفصيل :

– عن هوية من فتح الباب .

– كم كان عدد الأشخاص المتواجدين بالقاعة ؟

117. نفس المرجع السابق، ص 199.

118. محمد عباس، مرجع سابق، ص 198.

– هل كان هدف هذه المؤامرة هو اغتيال كل الأشخاص المتواجدين بالقاعة، أو فقط بعضهم، أو بكل بساطة تخريب اللقاء؟ وهي الفرضية الأقرب للتصديق.

ليس بين أيدينا أي شهادة تُحدد مصدر الطلقات النارية، وتبقى الأسئلة بلا أجوبة.

في تكملة الشهادة يروي الوردى قتال أنه بعد إطلاق النار « منحهم الشيخ إبراهيم مزهودي، باسم لجنة التنسيق والتنفيذ، عطلة طويلة للعلاج والاستجمام والراحة! ريثما يستعيدون قوتهم واستعدادهم لمواصلة الكفاح! » وبالصدفة عرف الوردى أن هذه العطلة يمكن أن تستمر حتى الاستقلال!

يضيف أنه اطلع على فحوى رسالة من قيادة الولاية الثانية إلى مبعوثي لجنة التنسيق والتنفيذ تقول: إن الجو مناسب الآن للاستيلاء على قواعد الثورة بتونس وذلك للعوامل التالية:

- اختطاف طائرة الوفد الخارجي.
- العدوان الثلاثي على مصر.
- استسلام عاجل عجول.
- حجز باخرة « لاطوس ».
- تحييد لزهري شريط وجماعته!

ويقول الوردى: « إنني اطلعت على الرسالة بعد نقلنا إلى طرابلس حيث تقرر تهيئتنا وإبعادنا إلى القاهرة »¹¹⁹.

لقد أدرك الوردى قتال أن المؤامرة « المدبرة من قبل لغرور ورفاقه » وكما اتضح فيما بعد للجميع أنها جزء من مخطط استهداف إفراغ المنطقة الأولى

119. نفس المؤلف، مرجع سابق، ص 199، 200.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

من رجالها، حيث أن « قادة النمامشة »، عباس لغرور، والمجاهدين في الميدان المرافقين له، وعمر بن بولعيد، ومسعود بن عيسى، والوفد الخارجي، وكل الإطارات المثقفة، راحوا ضحية هذا المخطط.

فالمصير المدبر لهم، وتسلسل الأحداث يكشفان أن مصدر « المؤامرة » لم يكن عباس لغرور ولا غيره من القادة الآخرين للمنطقة الأولى.

الوردي قتال نفسه أبعد عن ميدان المعركة وعن إدارة المنطقة كما أكد هو نفسه ذلك. أي أن ضحيتنا هذه المؤامرة هما « المتآمر والمتآمر عليه ».

هذه شهادة أخرى أدلى بها الوردي قتال لمحمد زروال الذي كتب : في منفاهم بالقاهرة، طلب محمود الشريف لقاء الوردي قتال وعمر عون الذي رفض أن يذهب لمقابلته، عكس الوردي الذي ذهب للقاءه، يقول الوردي : « بعد أن خضنا في حديث عام قال لي : " هل تعلم أنني قد دخلت في معركة كلامية عنيفة مع بلقاسم كريم خلال آخر اجتماع لي مع الطاقم الوزاري . وأنتني قلت له (لبلقاسم) يا هذا، إن رصاص العدو أصابني في صدري ولم يصبني في ظهري " (يعرض بقوله في ظهري بعمر أو عمران الذي أصابه رصاص العدو في ظهره، أي عندما كان هاربا، أما (محمود) فقد واجه العدو) » .

قال الوردي : واستمر محمود معلقا على ذلك فقال : « إن من أراد أن يحافظ على نفسه من هوان الرجال فليحافظ على رجاله، فإن من لم يحافظ على رجاله يهون أمره على الرجال . نعم إنني لم أحافظ على رجالي فها أنا ذا قد أهانني الرجال » .

قال الوردي : « فقلت له : من هم هؤلاء الرجال الذين لم تحافظ عليهم فتأسفت لشأنهم اليوم ؟ » .

قال : « هم هؤلاء الأبطال من إطارات الولاية الأولى الذين وافقت بالأمس على قتلهم، لقد كان ذلك ناتجا من ضعف رأيي، فلو أنني حبستهم في بعض البلدان العربية لشددت بهم اليوم أزرني، ولهددت بهم كل من يحاول أن يضعف من وزني، ولكنني لم أفعل فيها أنا أجنبي اليوم التحسر والتندم حيث لا ينفع تحسر ولا تندم ». (محمد زروال، اللمامشة في الثورة، دار هومة، الجزائر، ص 416).

في موضع آخر يذكر محمد زروال : "إن بعض المجاهدين لا يزالون إلى اليوم يرددون هذه الكلمة، وهي أن محمود قد استعمله الباءات الثلاثة" (ص 414).

كما كتب محمد زروال : "حدثني الحاج طلبة (من إطارات الولاية الأولى) قال : كنت قد ضمنني مجلس خاص في مدينة الجزائر مع بعض المسؤولين السامين القدامى في الثورة... فألقيت سؤالا على الأخضر بنطوبال وهو : لماذا كانت الولاية الأولى أكثر الولايات تعرضا لعملية التصفيات الجسدية في إطاراتها الذين يتحدث البعض أن عددهم يتراوح بين اثنين وخمسين أو أربعة وخمسين إطارا تم إعدامهم من قبل الباءات الثلاثة؟... أو تدري بماذا أجابني الأخضر بنطوبال ؟ لقد قال لي : إننا كنا نحافظ على مواقعنا القيادية في الثورة " ¹²⁰.

شهادة المجاهد عبد العزيز جاب الخير الذي كلف حسب شهادته بتبليغ رسالة¹²¹ من عباس لغرور إلى أحمد بن بلة، وأوقف من قبل التوانسة في الحدود اللببية بعد مراقبة بسيطة، فلم يبلغ الرسالة، وهذا ملخص شهادته في هذه القضية :

120. محمد زروال، اللمامشة في الثورة، ص 417.

121. الرسالة في الملاحق.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

« نظم لقاء مصالحة بين قادة الولاية الأولى في فيلا بلقاسم حنافي، أطلقت فيه أعيرة نارية، وسقط قتيلان، أحدهما مشري المدعو "الأمير". وفر الجميع ».

في إجابته عن سؤال : من أطلق النار ؟

أجاب : « كان هناك تونسي من نقرين نسيت اسمه... آه... محجوب بن علي، الذي كان ضابطا في الحرس التونسي .

في رأيي التوانسة هم من أطلقوا النيران . لقد كانوا على علم ويتتبعون كل أعمالنا، حتى أنهم وضعوا لنا قنبلة في باب الجديد، أين سقط شهيدان منا، كنا نظن أنها من وضع الفرنسيين، ولذلك هاجمنا مطعم الضباط الفرنسيين كرد فعل على هذا الاعتداء. في رأيي التوانسة أرادوا تخريب الاجتماع... »¹²².

شهادة المجاهد شرفي إبراهيم : « عباس لغرور أتى من الأوراس، حيث وقع خلاف في الولاية الأولى بعد اغتيال مصطفى بن بولعيد الذي اغتيل بقنبلة نصبت له في راديو أهدي إليه، لأن قتلته كانوا يعرفون أنه يحب الاستماع إلى إذاعة صوت العرب، حدث سوء تفاهم بين جماعة خنشلة وجماعة تبسة وجماعة عين البيضاء وجماعة باتنة الذين أرادوا أن يتفوقوا في الأوراس من أجل تعيين قائد جديد مكان مصطفى بن بولعيد، فدعاهم السعيد عبد الحي للاجتماع في تونس لتكون قيادة موحدة، وكان عباس لغرور نائبا على مصطفى بن بولعيد قبل استشهاده، فكنت في الخارج، كنا نحرس مقر الاجتماع حتى سمعنا صوت الرصاص، وفي ظرف خمس دقائق طوقت القوات التونسية المكان وشاع الأمر بأن الجزائريين يتقاتلون مع بعضهم، وأما عن صوت الرصاص فيقال أن الزين من تبسة أراد أن يطلق الرصاص على

122. مقابلة للمؤلف معه بتاريخ 10-07-2011 في بيته بمسكانة .

عباس لغرور فقام أحد الحاضرين بقتله قبل أن يقتل عباس لغرور. بعدها قامت القوات التونسية بإلقاء القبض على عبد الحي وعباس وجماعتهما وأطلقت سراح الآخرين. والشيء الذي يفسر هذه القضية هو أن كل ما في الأمر مكيدة دبرت ليلا قام بحياكة خيوطها النظام التونسي من أجل إلقاء القبض على عباس لغرور، وهذا ما فسرتُه وفسره غيري من المجاهدين... أما عن مهزلة كيفية إلقاء القبض على عباس لغرور فقد بدأت في حادثة مقتل الزين أو "ضربة لكانيا" كما أطلقنا عليها هذا الاسم، حيث فهم عباس المؤامرة وفر إلى الحدود فألقي عليه القبض من طرف شخص في جيش التحرير يقال له "صالح. ب" وسلمهم للحرس الوطني التونسي... النظام التونسي لا يقبل سوى العملاء»¹²³.

الملاحظ في شهادة شرفي إبراهيم عدم تأكيد بعض التفاصيل كقوله: «يقال أن الزين...»، وكذا اتهامه الصريح للنظام التونسي بتدبير المؤامرة. في مذكراته المعنونة بـ«مذكرات المجاهد الهاشمي حمادي» كتب: «وعندما نشأت هذه الخلافات ما بين القادة، طلب عباس لغرور منهم جميعا أن يلتحقوا بتونس لمناقشة هذه الخلافات ما بين القادة ومعرفة أسبابها، فدخل القادة جميعا إلى تونس، واجتمعوا بإحدى القاعات المقررة للاجتماعات وجلسوا ينتظرون القائد عباس لغرور، إلى أن تفاجأ الجميع بشخص مجهول يدخل القاعة حاملا رشاشا ويطلق النار على الجالسين، وتوفي على إثرها القائد الزين قرفوف وأصيب الوردي قتال من يديه، كما أصيب القائد شريط لزه من عينه. وعندما وصلنا الخبر، نحن حمادي الهاشمي وعمر البوقصي، توجهنا مباشرة إلى تونس سالكين طريق الجبل، وهناك وجدنا القادة

123. جريدة الجديد اليومي، 19 - 03 - 2013.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

المصابين بالمستشفى بتونس، وكان شريط لزهري يشير إلى عينه قائلا : انظر يا سي الهاشمي ما قدمته لي الجزائر، والحزن يملأ قلبه «¹²⁴.

بعد الاطلاع على مختلف الكتابات والشهادات يتبين أن عباس لغرور لم تكن له النية في تصفية القادة النمامشة ولا غيرهم لأسباب جد بسيطة :
- مهمته وكما تشير كل الشهادات كانت عقد لقاء مصالحة، وليست التآمر على من وثقوا فيه وجاؤوه راغبين في لمّ الشمل، ولم يكونوا محتجين على قيادته للمنطقة.

- مصدر إطلاق النار ظل مجهولا، والمجاهد الوردي قتال لم يقدم أسبابا واضحة تستدعي تصفية هؤلاء القادة، كما لم يجب بالتحديد عن السؤال اللغز : من أطلق النار ؟

- كل الشهادات تجهل مصدر إطلاق النيران .

- كانت جبال النمامشة معقل عباس لغرور، وفي جبال النمامشة تحققت أغلب الانتصارات المجيدة للثورة الجزائرية بين 1954 و 1957، فهي الجزء الأصعب من السلسلة الجبلية الممتدة شرق جبال الأوراس، عرف سكانها رجالا ونساءً بوطنييتهم وشجاعتهم واستبسالهم . لقد انخرطوا كلهم تقريبا في النضال من أجل الاستقلال . ويحضرني هنا مقطع من خطاب هواري بومدين قال فيه : « تحت كل صخرة في هذه الجهة هناك شهيد » .

- عاش عباس الانتصارات الأسطورية أيام الثورة في وسط لموشي دون أدنى حرج، فقد كان رفاقه من المجاهدين من كل جهات الوطن من جنود ومسؤولين خصوصا من منطقة النمامشة .

124. الهاشمي حمادي، مذكراته، ص 36 .

ساعة المؤامرات

– كان عباس يؤمن بوحدة الوطن، فالإطارات والمستشارون الذين استعان بهم وجاهدوا معه جاؤوا من مختلف نواحي الجزائر، وتكوّنوا في مدارس وجامعات جزائرية وفرنسية وفي بعض الدول العربية، نذكر منهم الشهداء زعروري، محمد منتوري ومصطفى الذبابي...

– لم يكن لدى عباس لغرور نزعة قبلية أو جهوية، تدفعه لمناهضة قبيلة أو جهة ما؛ لأنه شب في الحركة الوطنية وتكوّن وانصهر في مدرستها، كما نشأ حضريا كباقي أفراد المجموعة التي فجرت الثورة ليلة أول نوفمبر بخنشلة، فقد كانوا كلهم أبناء المدينة، ومنحدرين من مختلف الأوساط الاجتماعية والقبائل، ومن مختلف جهات الجزائر، بل وحتى من دول مغربية، فالشهيد غرياني علي ينحدر من أصول ليبية.

– مختلف الشهادات المتناولة لشخصية عباس لغرور تكشف أنه لم يكن رجل مكائد ودسائس، وأنه يقدم على فعل ما اقتنع به علناً دون اللجوء إلى الدسيسة والمؤامرة، فقد كان يملك الجرأة للمواجهة المباشرة حين يرى بأن حكمه على حالة ما صحيح. فمن يعرف عباس يعرف أنه واجه حالات جد معقدة دون أن يلجأ إلى هذه الأشكال من التآمر.

الفصل الثاني عشر شخصية عباس لغرور

• عباس بأعين رفاقه

لإعطاء فكرة عن شخصية عباس لغرور وعلاقاته الإنسانية، دعونا نرافق زملاءه الذين عرفوه وعاشوه لمدة قصيرة أو طويلة ليحدثونا عنه من خلال لقائنا بهم أو من خلال ما كتبوه عنه .

يروى المناضل خاوه السائح الذي كان وسيطاً، أي رجل اتصال بين مناضلين في مدينة خنشلة وعباس لغرور أنه سلم مرة قشابية (لباس فصل الشتاء) إلى عباس أهديت له فطلب عباس من أحد المجاهدين أن يقيسها وكان البرد قاسياً، أقاسها المجاهد وعندما أراد نزعها رفض عباس وقال له إنها إليك . كما رفض عباس مشاهدة صور أبنائه التي أحضرها له هذا المناضل حتى لا يكون هناك محاباة وتحيز، كان يرفض أي تفضيل .

يروى محمد العربي مداسي معبراً عن علاقة عباس بجنوده أنه في اجتماع القادة : شيخاني، لغرور، عجول، وشريط لزهري، لضبط حصيلة معركة « الجرف »، حلل جميع القادة أسباب هذه النتائج التي اعتبرت سلبية : « كان عباس بدوره يعد ويذكر بالمفقودين والقُتل وأولئك الذين اعتقلوا،

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

إنهم حقاً مجاهدون في سبيل الله، وبإثارة الحديث عنهم، كان قلبه مثقلاً حزيناً، هو الذي كان دائماً يخيط ملابسهم ويصلح راديوهاتهم بمادة الراتنج، ويحمل عتادهم على كتفيه الواسعتين، ويضمّد جراحهم ويداويهم عندما يمرضون كأُمّ محبة وعطوفة»¹²⁵.

يتذكر المجاهد عثمان السعدي وقائع حية ودقيقة أثرت فيه وبقيت مسجلة في ذاكرته فيكتب: « بعد نهاية معركة شرسة كنا كلنا جوعى نكاد نموت عطشاً مستهلكين بدنياً، لم يعد واحد منا قادراً على حمل الآخر، لدرجة أننا تركنا جريحا، لا أحد يستطيع حمله. وصلنا إلى بني دخان، وجلسنا نستريح في واد صغير، وإذا بقطيع صغير من الأغنام والماعز يمر علينا، ناديت الراعي فحضر، قلت له :

- نحن مجاهدون يا بني، خرجنا الآن من معركة، ألا تستطيع ذبح خروف لنا فنحن جوعى، سنسدد لك ثمنه عندما نحصل على مال.
- حاضر وبسرعة سأذبحه وأسلخه مجاناً بدون مقابل.

سرعان ما ذبح الخروف وسلخه، وأعدت النار وشوي اللحم، وكان كلما استوت قطعه مدها لنا، وكان عباس نائماً، فأيقظناه ليشاهد منظر اللحم وهو يشوى، ونحن نأكل، فسأل :

- ما هذا ؟

- طلبت من راع ذبح خروف لنا ففعل.

- لماذا طلبت منه ذلك يا عثمان ؟ وإذا لم يسمح لنا صاحب الأغنام، هل نأكل الحرام ؟

كان رحمة الله عليه عطوفاً رحيماً بالفلاحين يميزه هذا السلوك عن الكثير من قادة الثورة، ورد الراعي قائلاً :

125. Mohamed Larbi Madaci, *ibid.*, p. 127.

لا يا عمي... لا تخف، صاحب الغنم من أنصار الثورة.

– بارك الله فيك يا بني، عندما تعود أرسل لنا صاحب الغنم.

وغادرنا الراعي بعد أن ودعنا، ورفض عباس أن يأكل من اللحم، وكبر عليه أن يأمرنا بالتوقف عن الأكل، كان رحمه الله يمثل قمة الأخلاق الحميدة، وقمة الاستقامة، وقمة الشهامة.

استرحنا قليلا، وفي المساء حضر صاحب الأغنام على بغلة، ومعه كمية جيدة من الكسرة وشكوة من اللبن المخيض، وكل الخيرات التي يتمناها جائعون محرومون مثلنا، وما أن ترجل عن ظهر البغلة حتى صاح : عباس، ألا تعرفني ؟ أنا فلان .

وقام عباس وسلم عليه، لقد كان يعرفه قبل اندلاع الثورة. وأكرمنا هذا الرجل أيما إكرام.

وبمجرد أن سلم عليه قال له عباس : اركب بغلتك، وتوجه إلى مكان كذا، ستجد هناك في غار مجاهدا جريحا، أركبه البغلة وعالجه في منزلك ¹²⁶.

لم يكن هذا السلوك الإنساني السامي سلوكا خاصا يطبع علاقة عباس بالمجاهدين فقط، بل كان هذا دأبه حتى مع الأعداء عندما يسقطون أسرى بين يديه، وفي المثال التالي تبرز حقيقة الرجل.

« وقع أزيد من ثلاثين مجندا في الجيش الفرنسي من أصل مغربي وجزائري، بالإضافة إلى رقيب فرنسي في الأسر عقب الكمين الشهير في "جلال" بتاريخ : 11 أبريل 1955، فأخذ عباس يستجوبهم :

– الآن القرار لكم أيها الإخوة، من يرغب منكم في الانضمام إلى جيش التحرير الوطني يرفع يده.

126. د. عثمان سعدي، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، الجزائر، دار الأمة، 2010، ص 97، 98.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

لم ترتفع أي يد، وأخذ الجميع يتحدثون مرة واحدة : نحن لسنا سوى مجندين، وسيتم تسريحنا قريبا، لكننا سنعود، هذا وعد منا .

وأخذوا يتحدثون أيضا عن الأطفال وأوليائهم المسنين، الذين هم مسؤولون عنهم، والعمل الذي يجب أن ينظموه .

تغيّر عباس وأصبح وجهه مظلمًا كأنه أحس بالخجل .

استجوب الرقيب الفرنسي : كم لديك من الأطفال ؟

فرفع الرقيب إصبعين .

— خذ، هذا بعض المال، هو ليس بالشيء الكثير لكن ما يكفي لشراء بعض الحلوى لهما .

وضع المال في يده، ثم أمر : أيها المجندون خذوا أماكنكم قرب الرقيب ! فأطاعه حوالي عشرين مجندا وانضموا إلى الفرنسي، وبقي ثمانية منهم، لقد أحسوا فجأة بالقلق، فطمأنهم عباس قائلا : ليس هناك أي داعٍ للخوف، ستساعدوننا على حمل السلاح هناك (وأشار بإصبعه إلى تلة قريبة) وفي الغد أنتم أحرار .

ووعده الرقيب بأن يكتب إلى الصحف الفرنسية كي يخبرهم بأنهم ليسوا قتلة .

أوقف عباس سيارة مارة، وطلب من السائق أن يوصل الرقيب واثنين من المدنيين اللذين كانا قد أصيبا إلى خنشة ¹²⁷ .

يعلق محمد العربي مداسي على تصرف عباس لغرور نحو الضابط الفرنسي فيكتب : « عندما سلم عباس قليلا من الدراهم إلى الجندي الفرنسي وطلب منه شراء بعض الحلوى لأبنائه، لا يجب أن نرى في هذا التصرف أي طابع

127. Mohamed Larbi Madaci, *ibid*.

شخصية عباس لغرور

سياسي، بل هو تصرف عادي يعبر عن التقاليد العميقة لسكان الأوراس .
ونفس عباس كان في زيارة للرقيب لوي السجين في كيمل فلاحظ تعجج
رأسه بالقمل . فغضب وأمر بنقله إلى حمام الشبورة لتطهيره .

كتب المجاهد والوزير السابق عبد الرزاق بوحارة : « عباس لغرور،
مناضل مثالي من الحركة الوطنية، يمكن أن نعتبره النموذج الأصلي لهذه
المجموعة من القادة، عباس لغرور هو مثال الإطار السياسي والعسكري الذي
كان في نفس الوقت قائدا مقاتلا، إنه واحد من قادة الثورة النادرين، الذي
اجتمعت فيه بمفرده الصفات السياسية والحربية والعسكرية مرة واحدة، وقد
اعتبره الفرنسيون واحدا من أكثر قادة جيش التحرير الوطني حنكة، تكوّن
في مدرسة حزب الشعب PPA ، وكان دائما في الصدارة في العمل العسكري
الجريء. هذه ليست مصادفة فقد كان صاحب حيلة ملحوظة، ففي ليلة
الفاتح من نوفمبر 1954 أظهر قدرة ملحوظة على التنظيم، وتميز بمآثر عسكرية
لا مثيل لها في تاريخ جيش التحرير الوطني في الولاية الأولى، كل هذا جعل
منه قائدا يحظى باحترام وبحب كبيرين من قبل رجاله »¹²⁸.

• كان يحس أنه لن يعيش

من الضروري استحضار شهادة أوائل المجاهدين الذين عرفوا أكثر من
غيرهم عباس لغرور، فقد كان « محمد معارفية » أحدهم، وكان قد غادر
الجيش عام 1964 برتبة نقيب لاحتضان السلك الدبلوماسي، وقد كتب :
« بربروس - كما كان يلقب عباس لغرور - كان في أوج شهرته وقمة انتصاره
في معركة الجرف على نخبة قوات الجنرال بارالنج، فقد جلبت له شهرة بلغت

128 . عبد الرزاق بوحارة، نفس المرجع .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

ذروتها. ثروات وغنائم السلاح تتدفق عليه باستمرار. وجهه المحدد بلحية كثيفة، تغيرت ملامحه بسبب ما يقتضيه دوره، لا أحد يمكن أن يراه من دون أن يؤخذ بسحر عينيه المشعّتين وحركته المقنعة. كبرياؤه الذي نحسه بداخله يجعل أي شخص يلتزم باحترامه وتقديره، ومع ذلك فهو لا يظهر هذا الكبرياء إلا خلال القتال، كبرياء أولئك الذين قاموا على الغريزة المتناقضة، الذي يدفع بالرجال الأكثر شجاعة إلى عدم تجاهل صغرهم، ورهافتهم، عندما يكون الموت حاضرا في كل لحظة من اليوم. على الرغم من عزلته التي أرادها والتي دفعته إليها رتبته وجرأته، إلا أنه كان في كثير من الأحيان يدخل إلى القلب ببسمته الطفولية البريئة أو تصرفه العفوي، لم يكن طموحا لنفسه لأنه كان يشعر مسبقا بأنه لن ينجو من الحرب، الرجال الذين كان يرسلهم في كل الاتجاهات ليس لحمل سيطرة طموحاته وإنما الروح السائدة التي أنشأها في ذلك الوقت وذلك المكان، كان يريد بفضلهم مستقبلا طاهرا محملا بضجيج انهيارات تجرف من حوله القلاع الحجرية أو الفكرية التي شيدها الفرنسيون .

كان عباس قائد حرب حقيقي، عرف كيف يحيط نفسه برجال نادرين جريئين، مقاتلين أشداء، ذوي خبرة يتسمون بالشجاعة وبالانضباط، وخصوصا بحب الوطن .

في نفس السياق أورد ما دار بيني وبين أحد المجاهدين الأوائل الذين رافقوا عباس لمدة معتبرة، المجاهد صالح زبير¹²⁹ من مواليد 01/12/1933 بعالي الناس، التحق بالجهاد عام 1955، حضر الكثير من أحداث الثورة في المنطقة، منها محاكمة شيحاني بشير وإعدامه، تم اعتقاله في أوت سنة 1957، وحكم عليه بالإعدام سنة 1958، وكتبت له الحياة بعد الاستقلال . سألته :

129. مقابلة معه بتاريخ 25/01/2011.

كم يكون عدد الرجال المحيطين بعباس حين يحضّر كميناً أو معركة معينة؟

حذق في وجهي بإصرار ثم قال : « لا يهم العدد بالنسبة لعباس، المهم عنده هو نوعية الرجال . خمسة رجال يختارهم عباس يمكن اعتبارهم خمسين رجلاً، زيادة على هذا كان عباس رجلاً طاهراً وعادلاً، مصلحة المجاهدين بالنسبة له تأتي قبل كل شيء، كان يكره الاغوجاج، غير متسامح أبداً أمام الظلم، إذا كان على حق كان الله دائماً إلى جانبه خلال المعارك الكبيرة... كانت لديه صفات صحابي . كان يقول لنا : "بالإرادة وبعون الله نستطيع أن نتغلب على أي قوة... انظروا إلى هذه النباتات التي تنمو فوق هذه الصخور دون تربة أو ماء ! أليست هذه رغبة في البقاء؟" مشيراً إلى جبال اللمامشة التي هي عبارة عن صخور ضخمة، حيث المناخ الجاف والتضاريس شديدة القسوة . كان لا يقبل أبداً أي تصرف قد يؤثر على مهمتنا، كان يوصينا بأن نكون نموذجاً ومثاليين أمام شعبنا، فبقوة إيماننا بالله وبأنفسنا وبسلوكنا المثالي سوف ننتصر على العدو مهما كانت قوته ونزيحه من أين جاء »¹³⁰ .

نفس الانطباعات تم تسجيلها مع كل من المجاهدين محمد يوسف الربيعي الذي كان كاتب المنطقة الأولى وعبد الكريم مراد أحد رجال جيش التحرير اللذين عرفوا عباس لغرور عن قرب وشاركوا في معارك بجانبه .

• لا يتوانى عن أداء صلاته

كان عباس رجلاً تقياً، ذا نزاهة وتواضع مثاليين، كان أيضاً رجلاً صارماً قاسياً مع نفسه أولاً، لم يكن يتسامح مع أي تجاوزات يمكن أن تضر بمسيرة الثورة التي كان يعتبرها مقدسة .

130. مقابلة معه بتاريخ 2011/01/25.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أما المجاهد والسفير السابق خلادي نور الدين، الذي لازم عباس لغرور في الفترة الممتدة من معركة الجرف حتى ذهابه إلى تونس أواخر 1956، فقد كتب واصفا عباس بجمل معبرة وعميقة جدا :

« كان عباس لغرور كالصخرة ماديا ومعنويا، وكان كل لقاء معه بمثابة صدمة، سواء تعلق الأمر بصديق أو عدو. بعد كل معركة يخوضها يتصور الإخوة الذين شاركوا فيها بقيادته أنهم عاشوا مغامرة، أو بعبارة أصح فيلما سينمائيا. لا شيء يمكن أن يصمد أمام عباس، مع أنه في مرات عديدة ينحني ويسجد طويلا أمام إرادة الله العظيم والرحيم، لا يتهاون عن أداء صلاته بانتظام، حتى أثناء المشادات، وحتى في ميدان المعركة.

بعد معركة الجرف التاريخية أين خرج جيشنا الذي كان في بداية نشأته منتصرا، وعند عودة عباس، الذي كنا نلقبه لفترة طويلة بـ « بربروس »، إلى مركز القيادة، لم أكن أعرفه بعد، كنت قد سمعت عنه فقط، ليس تماما كما هو الحال بالنسبة للجيش الفرنسي وجنرالاته، لأن هؤلاء يعرفونه على نحو أفضل، بصوت السلاح... المرة الأولى التي أتيت لي فيها الفرصة للتعرف عليه، لا تزال منقوشة في ذاكرتي أكثر من أي شيء آخر، كان هذا حلما صغيرا وجميلا، كان ذلك في تلك الليلة، حيث كان رفاقنا عائدین إلى مقر القيادة بعد معركة الجرف المضفرة أين انضمت بناء على طلب من عباس نفسه، في تلك الليلة وجدت نفسي جالسا بين عدد كبير من إخواني في النضال، لاسيما الشباب المثقفين منهم، فقد كان هذا مقر الأمانة، لا أدري كيف شد انتباهي وجود ظل ظهر وسط العديد من المقاتلين واقفا بين الصخور المحيطة، كان القمر المكتمل يضيء كل هؤلاء الناس المحتشدين مثل النهار تقريبا، بدا الظل وكأنه يتراجع أمام هذه القامة الوقور، التي لا تشبه غيرها، ثم خيم الصمت المطلق، فالرجل الذي تحولت كل الأنظار إليه هذه المرة أخذ

شخصية عباس لغرور

يتكلم وهو يحمل بندقيته على كتفه، والحربة المعلقة في أنبوبها اللامع، قامة مثيرة للإعجاب، من بعيد أو من قريب، تنفصل بوضوح كقلعة بالقرب من ميناء، لا أحد لديه الوقت ليسأل من هذا الرجل الذي يبدو القائد الأعلى لكل الحضور، فكل العيون كانت مفتونة به، مع ذلك سألت عن اسمه كاتباً على الآلة الراقنة، الذي كان قد أوقف نشاطه للحظة، ليتأمل هو أيضاً هذه اللوحة المثيرة للإعجاب، كانت الإجابة فورية، وبدون تفاصيل قال : عباس . بالنسبة للمجاهد كلمة واحدة كانت كافية عندما لفظ اسمه، وفي نفس اللحظة اخترق بريق من الفرح عينيه... »¹³¹ .

أما محمد العربي مداسي، فقد كتب معبراً عن سلطة القائدين عجول وعباس لغرور : « كان عجول يخشاه الجنود أقل من عباس الذي كان مبعجلاً وموقراً لدرجة أنه فرض خشية مقدسة، أكثر قوة »¹³² .

في مقابلة مع المجاهد والوزير فوق العادة السابق بشير ولد رويس قال :
« كنا مجموعة طلاب في كلية الطب بفرنسا، تركنا دراستنا عام 1956 للانضمام إلى الثوار، استقبلنا عباس لغرور في "مرناق" بتونس، في فيلا محروسة من قبل جنود . كانت هذه المرة الأولى التي نرى فيها جنوداً جزائريين . ألقى علينا عباس خطاباً توجيهياً، كانت كلماته سحرية، كنا صامتين، وكان هو يتحدث بصوت منخفض، طلب منا أولاً، قبل أن ننضم إلى المقاومة أن نتبع تكويننا في العناية المستعجلة، وبعد ذلك التمرن على استخدام الأسلحة . بالاستماع إليه، كنا مستعدين لفعل أي شيء، لقد كان رجلاً مثيراً للإعجاب.... عند خروجنا من عند عباس اعترض لنا شخص من جماعة ل.ت.ت وقال لنا ماذا

131. خلادي نور الدين، مخطوط قدمته لنا عائلته .

132. Mohamed Larbi Madaci, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

كنتم تفعلون عند هذا الشخص، لا تستمعوا الى اقواله فهو ساحر وليس بكامل قواه العقلية...»¹³³.

أما أعضاء مكتب منظمة المجاهدين لولاية خنشلة فقد قالوا بالإجماع : « كان رجلا قليل الكلام كثير الاستماع، كان دائما في مقدمة الصف متحديا المعارك والأسلحة والقصف الكثيف . راحة رجاله تأتي قبل راحته . كان رجلا ورعا ومتسامحا، كان يعرف وفي الظروف الأكثر يأسا كيف يستخدم الكاريزما التي يتمتع بها والمشبعة بتواضعه وجماله المادي والمعنوي والفكري »¹³⁴.

الرئيس السابق أحمد بن بلة، الذي كان يمثل الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بقيادة المنطقة الأولى، كتب : « عباس لغرور بطل وطني فقد شكلت عملياته واحدة من اللحظات المميزة لكفاحنا التحريري... وله، أعرب عن كل فخرنا بعمله، وإلى الأبد عرفاننا... »¹³⁵.

أما الوزير السابق لمن بشيشي، الذي كان طالبا ومناضلا في تونس فيقول : « كنا في تونس مجموعة استبقلنا عباس لغرور، كان شخصية مثيرة للإعجاب، كان يشع منه تأثير مميز، كله نور ولطافة، تجعلك لحيته تحس أنك قبالة صورة المسيح عيسى »¹³⁶. أما محمد الشريف الشابي كاتب عباس لغرور يقول في حديث مع جريدة الأوراس عدد 201 (7-1) نوفمبر 1993.

133. مقابلة مع ولد رويس، قدمه لي محمد العربي مداسي أثناء ملتقى حول تاريخ الثورة نظمته جريدة الوطن بالجزائر العاصمة، في جوان 2011.

134. ONM خنشلة، جريدة المجاهد، يوم 20 أوت 1991.

135. إهداء كتبه لي في « مذكرات مصالي الحاج »، بتاريخ 22 أوت 1982، باريس.

136. مقابلة معه بحضور محمد العربي مداسي الذي قدمه لي بفندق السفير خلال ملتقى حول تاريخ الثورة، نظمته جريدة الوطن.

"ان اهم مميزات عباس لغرور هي التواضع الشديد والطيبة والأخلاق الكريمة والتدين القوي والشخصية المؤثرة، كما كان كريم اليد و اللسان سرعان ما يثق فيه الفرد، مثقفا بالفرنسية لكن ارادته الصلبة جعلته يتعلم العربية الى ان تمكن بالكتابة بها

• الوجه الآخر لعباس

كان عباس رجلا متدينا ومستقيما ومتواضعا، صارما على نفسه قبل غيره، لم يكن يتسامح مع أي تجاوزات تمس بمسار الثورة التي كانت بالنسبة له مقدسة، فبالنسبة له المجاهدون أشخاص أقرب من التقديس أو يجب أن يكونوا كذلك، يعتبرهم مميزين عن المواطن العادي، حيث يجب أن يكونوا مثلاً أعلى يحتذى به، يريد لهم الكمال. كان يشعر أنه عادل، يطبق العدالة الثورية، استنادا إلى الشريعة الإسلامية، على الرغم من ظروف الحرب القاسية. لم يكن رجل مكائد، فهو يعبر عن الأشياء بدون لف أو دوران، كان يدرك ما يفعله، لم يتهرب أبدا من مسؤولياته، رجل منضبط يحترم التسلسل القيادي، ولم يكن يخشى أحدا باستثناء القوة الإلهية. يكتب عنه محمد العربي مداسي استنادا إلى رواية عاجل عجول مايلي : « يعطي عباس أهمية كبرى للطابع المقدس لكفاحه لدرجة أنه لا يخشى أي حكم ولو من طرف مصطفى بن بولعيد . كان يعتبر نفسه سيف الإله... » . في نفس السياق يكتب محمد العربي مداسي، وفي سؤال لعجول حول تصلب عباس أثناء مواجهة بعض التصرفات، فرد عجول بما يلي : « يعتبر سي عباس، وربما الوحيد، من بين أعضاء القيادة في الأوراس، الذي يضيف الطابع الديني للثورة. لا يقبل أي تنازل. كان قاسيا عندما يجب معاقبة مرتكبي ما يعتبره تديسا ». يضيف مداسي : « في مظهره الخارجية هو قاسٍ ولا يتسامح، لكن عباس حنون » .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

أما الصحفي المؤرخ الفرنسي « إيف كوريار »، الذي استقى - للأسف - معلوماته في كتابة تاريخ الثورة، من جانب واحد من المتخاصمين الجزائريين، فيكتب في كتابه « ساعة العتداء » ص 103 : « عباس لغرور شاوي (أمازيغ الأوراس-الناماشة) رفيق بن بولعيد، وله شهرة، وله شهرة، فهو من فجروا ثورة نوفمبر. وهو صارم عنيف ». كوريار يذكر شهرة عباس بمفجر ثورة نوفمبر وبصرامته وعنفه.

ملاحظة يمكن اعتبارها بسيطة لكن لها دلالة : منذ التحاقه بالنضال العسكري لم يعد إلى بيته ولم ير لا والدته ولا أباه ولا زوجته أو أبناءه، فقد امتصته الثورة قبل أن تبتلعه.

بالنسبة لأسرته كان أبا ودودا، لكن مودته مكتومة، يكنّ احتراما كبيرا لوالديه، يدافع عن القضايا العادلة حتى لو كانت التقاليد ترفضها، كان دائما يقف إلى جانب الفقراء، وكان يغضب عندما يقف أمام كافة أشكال الظلم. يثبت ذلك مشواره القصير، منذ شبابه إلى سنوات القتال، حتى اغتياله.

الفصل الثالث عشر اغتيال عباس لغرور

« صنع العالم بقوة السيف . العنف هو حاضنة المجتمعات . المحارب يحمل السيف من أجل الآخرين . مهمته هي مهمة ربانية، لأنه يقبل أن يموت من أجل أخطاء الآخرين، متحملاً ثقل خطيئتهم . وعموما لا يتلقى مكافآت »

ألكسندر سنغيتي - وزير فرنسي

• كسر حاجز الصمت

ليكن السكوت المفروض عن ظروف اغتياله أثناء الكفاح المسلح حفاظا على مصلحة الثورة، هذا شيء يمكن القبول به، لكن هذا الصمت الذي أصبح حاجزا للعائلة وللباحثين بعد مرور أكثر من نصف قرن على استشهاده غير مقبول .

في انتظار الإفراج عن محضر المحاكمة المزعومة، إن كانت هناك محاكمة، ها نحن أمام بعض الكتابات التي تناولت ظروف اغتيال عباس لغرور ورفاقه، وإن كانت الكتابات المتوفرة حتى الآن لا تعلق كل الأسباب المزعومة للتصفية التي راح ضحيتها واحد من الرموز الكبرى لثورتنا . فمن خلال النصوص الواردة في هذا الكتاب يمكن للقارئ أن يكون فكرة عن التصفيات المأساوية

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

في تاريخ الثورة التحريرية. فالخلافات التي دبت بين ممثلي الثورة بالخارج وبعض مسؤولي الداخل، وكذا ما نتج عن لقاء الصومام من قرارات سياسية، كل ذلك شكل نقطة انطلاق، ليس فقط لتحديد قادة وإطارات المنطقة الأولى، بل أيضا لتصفية العديد من قادة الثورة التحريرية.

هذه الولاية الرائدة « الأوراس-النمامشة »، التي أسست نواة الهياكل التنظيمية الأولى للثورة، على المستوى العسكري والسياسي. وكانت الملجأ ومدرسة التكوين (شبه العسكري) للكثير من أعضاء المنظمة الخاصة واللجنة الثورية للوحدة والعمل، السباقيين للعمل الثوري في أول نوفمبر 1954.

فقيادة الثورة التحريرية، كعبد الله بن طوبال، ويوسف زيغود، ورايح بيطاط، ومصطفى بن عودة، وغيرهم كثيرون، تلقوا سلفا تكويننا (شبه عسكري) في قلب الأوراس. وجدوا في هذه الجبال أيضا المأوى والملجأ، أثناء فرارهم من الملاحقات التي كانوا عرضة لها.

عاد زيغود يوسف من الأوراس يملؤه الإعجاب بمجاهدي المنطقة ومناضليها ؛ السكان فقراء لكنهم فخورون بفضيلة حسن إكرام الضيوف .

مناضلو الشمال القسنطيني اندهشوا من تلك السهولة التي يجدها هؤلاء السكان في استخدام الأسلحة بمختلف أنواعها وطبيعتها، كما أعجبوا بدقة الرماية لدى بعض نساء المناضلين¹³⁷.

هذه المنطقة كانت الأولى التي اندمجت عسكريا في هياكل الكفاح لجيش التحرير المغربي، وأيضا الأولى التي أقامت اتصالات بالوفد الخارجي لجبهة التحرير بالمشرق، بغرض تمرير الأسلحة إلى الجزائر.

من خلال الكتابات المختلفة الواردة في هذا الموضوع، يستطيع القارئ تشكيل فكرة عن واحدة من التصنيفات الأكثر مأساوية في حربنا التحريرية.

137. إبراهيم شيبوط، زيغود يوسف الذي عرفته، وزارة المجاهدين، 2007، ص 38.

• مختلف الكتابات

الرائد الطاهر سعيداني أحد قادة القاعدة الشرقية، كتب عن نكبة قادة المنطقة الأولى : « بعد عزل علي محساس قامت لجنة التنسيق والتنفيذ، وبمساندة من السلطات التونسية، بتوقيف عباس لغرور الذي كان قائدا للولاية الأولى . وسجن بعد تجريده من سلاحه... وقرر كريم تعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى . ومعروف عند الخاص والعام أن محمود الشريف كان ضابطا بالجيش الفرنسي، وماضيه التاريخي كمنخرط في الجيش الفرنسي جعل من مجاهدي الولاية يرفضونه كقائد لولايتهم، لكن لجنة التنسيق والتنفيذ لم تتراجع على قرارها مما أدى إلى ظهور مشاكل ضمن المجاهدين، والبعض منهم خرج عن قوانين الثورة. أراد كريم السيطرة على الولاية الأولى فأسس بموافقة ل.ت.ت محكمة عليا على رأسها علي مخناش الذي كان عميلا للمخابرات الفرنسية، هذا الأخير حكم بالإعدام على عدد كبير من أبطال الثورة، من بينهم عباس لغرور، شريط لزهرة، حاج علي .

علي مخناش وشخص يدعى كراوى كانا عميلين لمخابرات الجيش الفرنسي . مخناش كان يتجسس على كريم في مكتبه وكان يبلغ المعلومات إلى العدو، أما كراوى، بالنظر إلى مسؤوليته ككاتب عام لوزارة التسليح، فكان على علم بكل القرارات (خصوصا شراء الأسلحة وتوجيهها) التي كان يبلغها إلى المصالح الفرنسية ؛ مما تسبب في خسائر كبيرة للثورة . عند اكتشاف تصرفاتهما من طرف مصالح بوضوف، تمكن هذان الشخصان اللذين كانا في تونس من الفرار بعد 19 مارس 1962 (تاريخ توقف القتال) بتونس إلى مدينة بنزرت التي كانت تحت السلطة الفرنسية»¹³⁸ .

138. الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، الجزائر، دار الأمة، ص 156 157 .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

هذا يؤكد ما كنت قد أشرت إليه بخصوص ظروف استشهاد كل من سي الحواس (حمودة عبد الرزاق) والعقيد عميروش. وقد يكون مستشار كريم هو من بلغ الفرنسيين عن مسار الرجلين (إذا كان هناك تبليغ).

المؤرخ والمناضل محمد حربي يصنف عباس لغرور ضمن «الإطارات السامية للثورة الذين كانوا ضحايا عمليات التصفيات الداخلية» كما يعزي المؤرخ تصفية عباس إلى «رفضه الاعتراف بقرارات مؤتمر 20 أوت 1956»¹³⁹.

• الثقة في كريم وأوعمران

أما المجاهد والوزير السابق محمود قنز الذي قدم رشوة لبعض الحرس التونسي فسمحوا له بمقابلة عباس في السجن، فقد صرح في شهادته التي نقلها كما نشرها الكاتب محمد زروال¹⁴⁰: «عباس أكد لي في هذه المقابلة أن عاجل عجول الذي استسلم للعدو لن يدله على ممتلكات وخزائن الثورة، لأنني (عباس) أعرف حقيقة هذا الرجل جيدا».

ويواصل حديثه عن عباس فيقول: «وعندما تحدثنا في موضوع سجنه قال: "إن السجن أحب إلي في هذه الظروف مما يتهمونني به لأنني سأحاكم وأعتقد أنني سأبرئ نفسي، لأن لي ثقة كبيرة في كل من بلقاسم كريم وعمر أوعمران اللذين كان مصطفى بن بولعيد يثق فيهما كثيرا، وينصح لنا بالاعتداء بهما، وخاصة بلقاسم". (يقصد كريم بلقاسم). فقلت له: "وإذن فلتعلم جيدا أن هذين الرجلين هما اللذان سيقتلانك"».

محمد زروال يكتب: «نعم يظهر أن عباسا غابت عنه العواقب الوخيمة التي كانت تنتظره على أيدي هذين الرجلين اللذين وجدا الفرصة السانحة لكي يدفع ثمن معارضته لهذا المؤتمر الذي خاض عباس وأمثاله الكثير

139. Mohamed Harbi, *ibid*.

140. محمد زروال، نفس المرجع السابق، ص 355-356.

من المعارك الطاحنة والانتصارات المتوالية التي حققتها الثورة في منطقة الأوراس-النمامشة، والتي عجلت بمؤتمر الصومام في أن ينعقد في جو سياسي ونفساني سلّم فيه العدو أن الثورة ماضية في طريقها إلى النصر المحقق .
شهادة المجاهد عثمان سعدي بن الحاج مستخرجة من مذكراته¹⁴¹ :

بعد أن وصف بعض المعارك الكبرى التي قادها عباس لغرور، أضاف المجاهد مايلي : « وعقد مؤتمر الصومام، ووصلت لجنة التنسيق والتنفيذ واستدعت هذه اللجنة هؤلاء القادة الذين لم يشاركوا في المؤتمر كما لم تشارك فيه الولاية الأولى التي ينتمون إليها، وطلب منهم وضع أنفسهم وقواتهم تحت قيادة هذه اللجنة، وأمرتهم بأن يبقوا تحت مسؤوليتها بتونس، و ألا يعودوا إلى وحداتهم في الداخل، وأصروا هم على عدم بقائهم بتونس وعلى عودتهم للداخل .

كنت موجودا أنا في هذا الوقت بالداخل بين الوحدات المقاتلة، اتجه عباس ولزهر نحو الحدود للالتحاق بوحداتهما، فصدرت الأوامر من اللجنة بالقبض عليهما، أمر القائد مقداد جدي بالقبض على لزهر، علما أن الأول كان ضمن القوات التي يرأسها لزهر، والقبض يكون بخديعة لأن لزهر لا يتوقع أبدا أن يخونه مقداد الذي رفض تنفيذ الأمر وخيانة قائده، والعربي براهمية شاهد على ذلك .

وأمر علي بن أحمد مسعي بالقبض على عباس لغرور فقرر تنفيذ الأمر، والغريب أن علي بن أحمد عندما أبلغ عباس لغرور قائلا : سي عباس عندي أمر بالقبض عليك، وعندما حاول جنود الوحدة الذين سمعوا هذا الكلام

141. عثمان السعدي، مذكرات المجاهد، نفس المرجع .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

التحرك لحماية عباس قال لهم هذا : ابقوا في أماكنكم أنا أنفذ الأمر وأتوجه إلى من دعاني من المسؤولين، ولا أخاف من شيء، أما أنت يا سي علي فسر بي ونفذ الأمر الذي أعطني لك .

أما عن لزهري شريط، فعندما رفض مقدار جدي توقيفه، طلبت اللجنة من الوالي التونسي في قفصة توقيفه وتسليمه لها، وكانت السلطات التونسية تعرف جيدا لزهري شريط الذي كان قد جاهد في صفوف التونسيين قبل اندلاع ثورة أول نوفمبر، وكانت تقدره، فاستدعاه والي قفصة، واستقبله باحترام وأخبره أن لجنة التنسيق تطلبه أن يتوجه إليها، فأجاب لزهري : أنا أعاهدك أنني سأسلم نفسي لهم .

وأمر الوالي أن ينزل ضيفا على الولاية، فنام في دار الضيافة، وفي الصباح قصد وحداته العسكرية في نواحي الرديف فخطب فيهم قائلا : لقد استدعيت من لجنة التنسيق وقررت تلبية الدعوة، أودعكم ويمكن ألا نلتقي مرة أخرى إلا في الجنة .

وتوجه باختياره رفقة محمد علي، وعندما وصل إلى اللجنة قذف به في السجن فوجد عباس لغرور قد سبقه هناك . التقى عباس لغرور وشريط لزهري في السجن، وكونت لهما شبه محكمة عسكرية حاكمتهما، وحسب ما قاله عمار بن عودة أن هذه المحكمة كانت تتألف كما يلي : عبد الله بن طوبال رئيسا وعمار بن عودة نائبا له، وعمارة بوقلاز عضوا، ومحمود الشريف مدعيا، وكانت نتيجة المحاكمة الحكم على لزهري شريط وعباس لغرور بالإعدام، كما حكمت هذه المحكمة على عدد آخر من القادة بالإعدام ونفذ فيهم الحكم، ومنهم : محمد بن علي، وبوزيد، ولزهري، والباهي شوشان، وعبد الحفيظ السوفي . عندما سأل رئيس المحكمة عباس لغرور ولزهري قائلا : لقد حكمت عليكم المحكمة بالإعدام، هل تطلبان شيئا قبل التنفيذ ؟

لم يجبه عباس، أما لزهر فقد أجاب قائلاً : تحكمون علي بالإعدام ظلما وتطلبون مني أن أطلب منكم شيئاً، لا أطلب شيئاً إلا من عند الله الذي سنلتقي كلنا بين يديه ¹⁴².

في مقال خصص لمعركة الجرف نشر في مجلة « أرشيف الجزائر » رقم 13، تطرق الكاتب لموضوع السيرة الذاتية لعباس لغرور، فكتب : « هو (عباس) غادر المنطقة (الأوراس-الناماشة) بسبب خلاف مع قائده الجديد محمود الشريف، وسافر إلى تونس، حيث وضع تحت الإقامة الجبرية من طرف السلطات التونسية، ثم سلم إلى جبهة التحرير الوطني. لقد اتهمته لجنة التنسيق والتنفيذ بالتآمر ثم أعدمته في ربيع نفس السنة 1957 » .

في هذا الموضوع استسلم الكاتب للتبسيط حيث لم يناقش الموضوع بما يجب من الجهد، ولم يتطرق الكاتب إلى ماهية أسباب هذا الخلاف بين عباس ومسؤوليه، وعلى ماذا تأمر؟

• إدانة الفعل أم رد الفعل ؟

كما نتساءل، لماذا وُضع عباس قيد الإقامة الجبرية من طرف السلطات التونسية؟

المعلومات التي ذكرها الكاتب (مجلة أرشيف الجزائر) جد شحيحة، فهو لا يقدم أي تفصيل أو مصدر عن جرأته في استعمال كلمات « كالمؤامرة وسوء التفاهم، والتصفية » المزعومة التي اتهم بها عباس .

نعرف أن لقاء الصومام وما ترتب عنه من نتائج، هو من صنع المناضل عبان رمضان الذي – للأسف – تمت تصفيته بدوره من طرف رفاقه .

142. عثمان سعدي، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، الجزائر، دار الأمة، 2010، ص 137-138-139 .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

من المهم إبراز شهادة عبود بوصوف رائد جيش التحرير، زوج المناضلة جميلة بوعزة وقريب عبد الحميد بوصوف .

في شهادته حول اغتيال عبان رمضان، يطرح عبود بوصوف السؤال : « ما السر وراء الاهتمام بهذا الاغتيال فقط، في حين أن كثيرا من الاغتيالات المشابهة وقعت في تاريخ الثورة ؟ أعطي مثلا قضية اغتيال عباس لغرور... هذه القضية بقيت محاطة بالنسيان »¹⁴³ .

يتعرض العقيد الطاهر الزبيري أحد قادة الولاية الأولى لظروف تصفية عباس، ويسردها كما يلي : « أرسلت لجنة التنسيق والتنفيذ العقيد أو عمران قائد الولاية الرابعة بالنيابة في نهاية سبتمبر 1956 لضبط الأمور في تونس، فاعتقل علي محساس مندوب الثورة في القاهرة وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية لمعارضته قرارات مؤتمر الصومام وتحريض قادة الجبهة الشرقية (الولاية الأولى والقاعدة الشرقية) على عدم الاعتراف بها، لكن محساس تمكن من الهروب متهما لجنة التنسيق والتنفيذ بمحاولة تصفيته جسديا، وبمساعدة محمود الشريف تمكن أو عمران من إزاحة عبد الحي مندوب الثورة في تونس والذي كانت تصفه القيادة التونسية بأنه دولة داخل دولة، ولم يبق سوى عباس لغرور الذي عارض هو الآخر رفقة عجلول قرارات مؤتمر الصومام، واعترف لغرور بمسؤوليته في محاكمة شيحاني بشير، وكان يعتقد أنه بإمكانه إقناع قادة الثورة بوجهة نظره وصواب خياراته »¹⁴⁴ .

143. جريدة الرأي، في كتاب : أحمد بن بلة يكشف أسرار ثورة الجزائر، أحمد منصور، بيروت، الدار العربية - ناشرون، 2007، ص 444 .

144. العقيد الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2008، ص 167 .

• فبركة فوضى

بعد أن كشف المجاهد أرزقي باسطا قصة « المهمة » التي كلف بها من طرف عمر أوعمران وكريم بلقاسم والمتمثلة في اغتيال « علي محساس »، تمت معاقبته بعد أن رفض تنفيذ المهمة، حيث أودعه أوعمران السجن لمدة 18 شهرا في تونس. كتب : « كان وقتها عباس لغرور مصابا ومعتقلا عند التوانسة مع لزهر شريط ».

بعد طرح السؤال : « هل الخلاف حول قرارات الصومام هو السبب الوحيد ؟ » يجيب : « لا، كانت هناك اختراقات داخل صفوف الثورة، فمثلا عميروش كذلك تعرض لثلاث محاولات اغتيال في تونس من طرف أعوان فرنسا المندسين، وعندما تيقن عميروش بأنه مستهدف، قرر الدخول إلى الجزائر. وكانت محاولات تصفية عميروش لتلتصق التهمة بجماعة عباس لغرور وذلك لخلق فتنة وسط المجاهدين والثورة، وهذا التخطيط كان فرنسيا أراد العدو أن يتم تنفيذه من طرف أعوانه الجزائريين ».

وأضاف أرزقي باسطا قائلا : « وفي سياق محاولة إشاعة الفتنة بين المجاهدين كذلك، فقد جرت محاولة وهمية لاغتيال عبان رمضان، وقد جرى عشية هذه المحاولة لقاء بين أوعمران وجماعة عباس لغرور، وأرادوا إلصاق التهمة بجماعة عباس لغرور، ولما علمنا بذلك اتصلت أنا ومصطفى لكحل بأوعمران الذي استقبلنا وهو في حالة من الغضب الشديد : هاهم جماعة لغرور الذين تريدون أن نتصالح معهم أرادوا قتلي، فأجبتهم بأنهم لو أرادوا ذلك لفعلوا، وما هذه المحاولة إلا من نسج الخونة المندسين حولك والذين لا يساعدهم هم الآخرون اغتيالك، فبقاؤك حيا سيحمي مصالحهم وأهدافهم الرامية إلى الفتنة وخدمة مصالح الاستعمار. وذكرته بوصية مصطفى بن بولعيد لقادة الأوراس إذ قال : "أوصيكم خيرا بكريم بلقاسم وأوعمران" وفي نفس

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

السياق جاء فيلالي عبد الله إلى مسؤول من الجبهة في ألمانيا" وقال له : "لقد أقنعت مصالي بتوقيف الاقتتال بين الجبهة والحركة الوطنية المسلحة"، وذهب إلى فرنسا وكاد ينجح في هذه المهمة، لكن تمت تصفيته بـ6 رصاصات في الظهر وفشل المشروع.

وعن سؤال : هل يمكن تصنيف ذلك بما يعرف بـ "لابلويت" ؟
أجاب باسطا أرزقي : "توجد وثيقة لدي هي عبارة عن رسالة كان قد أرسلها الكولونيل "ترانكيي" إلى الجنرال ماسو حين كان في فرنسا، يطلب منه فيها الدخول إلى الجزائر لأن الجيش الفرنسي ومنذ سنتين لم يستطع إجهاض الثورة، وفي كل يوم يشهد الجيش الفرنسي انهزيمات متتالية بسبب عدم وجود رجال فرنسا وسط الثوار الجزائريين" .

بهذا الشكل تمكنت المصالح العسكرية الفرنسية من اختراق قيادة الثورة.
ويذكر أرزقي باسطا في حوارهِ عميلين جزائريين تمكن أحدهما من تبوء منصب في وزارة التسليح والاتصال الخاصة بالثورة في تونس . (استجواب له في جريدة صوت الأحرار بتاريخ 12 / 03 / 2008) .

بعد أن وصف بالتفصيل كيفية تغلغل أحد الخونة في صفوف قيادة الثورة وكسب ثقة أوعمران، يذكر أرزقي باسطا أن هذا العميل هو من اقترح على أوعمران تصفية قادة الولاية الأولى « لأنهم حسبهِ معارضون لمؤتمر الصومام، وبالتالي فهم معارضون له شخصيا » (يقصد أوعمران)، وبكون أرزقي باسطا قد كلم أوعمران عن حقيقة هذا الخائن، انتفض وكذبه، ولم يفلح في إقناعه .

أرزقي باسطا يعطي عدد العمليات التي كانت من تدبير هذا الخائن الذي كشف من قبل بوصوف الذي أوقفه، لكن أوعمران تدخل لصالحه فأطلق سراحه ووضعه تحت الرقابة، وتمكن من الإفلات والفرار إلى فرنسا، واستقر هناك .

• أو عمران عمر يعبد الطريق

يكتب « دومينيك فرال » - وهو ضابط في الليف الأجنبي - في كتابه « معركة جبال النمامشة » : « لم ينجح النقيب كروتوف في القضاء على عباس لغرور، ولا أحد تمكن من ذلك ما عدا خصومه من جبهة التحرير الوطني الذين اغتالوه. بعد ثلاثة أشهر من موت النقيب كروتوف ألحق العقيد بيجار خسائر فادحة لهذه المجموعة، لكنه لم يقتل لغرور عباس، بل أصيب برصاصة فوق القلب ونجى بأعجوبة، بعد أن كتبت له النجاة في المعارك القاسية في الهند الصينية بما فيها ديان بيان فو » .

أما الكاتب محمد العربي مداسي الذي يعتبر مؤلف أهم مرجع للتاريخ لأحداث الثورة بالمنطقة الأولى الأوراس-النامامشة، فإنه لم يتطرق لموضوع اغتيال عباس لغرور ! فلم يرو عطش ورغبة قراءه في معرفة تفاصيل وخلفيات هذه القضية التي أحيطت بالسرية والكتمان حتى الآن، رغم ما أتيح من مساحات جديدة للتعبير. بالنسبة للصحفي الفرنسي إيف كوريار، فإن وصول أو عمران كمبعوث خاص للجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس كان لغاية واضحة « كانت مهمته إخضاع محساس وتوحيد قاعدة تونس، بطريقته الخاصة. ابتسامته تكشف عن الكثير من نواياه... أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ في الطريق إلى تونس، يجب أن يكونوا عند وصولهم، الممثلين الوحيدين للثورة... أقام أو عمران بفندق سان جورج بتونس »¹⁴⁵.

شرع أو عمران برفقة البعثة المعينة من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ في الاتصالات وراحوا يقدمون أنفسهم كممثل شرعي وحيد للثورة دون أن يشركوا المؤسسين الأوائل لبعثة جيش التحرير الذين سبقوهم بتمثيل الثورة

145. Yves Courrière. *L'heure des Colonels*, *ibid*.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

منذ بدايتها، قبل لقاء الصومام 1956 في تونس. محساس كان الوحيد الذي تم إشراكه، لكن بهدف تحييده. لقد سمي أوعمران « بالبيلدوزر » الذي جاء ليعبد الطريق للجنة التنسيق والتنفيذ .

انتهزوا الحادثة أو المؤامرة الشهيرة « بماتيلد فيل »، أين وقع إطلاق نيران على بعض قادة الأوراس-النمامشة، ليعرضوا على لحبيب بورقيبة المساعدة المتبادلة في القضاء على قادتها، « فطلب بورقيبة من أوعمران تسليم قادة المجموعات التي لوثت الأراضي التونسية خلال عملية إطلاق النار بين الإخوة (ماتيلد فيل)، حظي الطلب بالقبول، واستلم أوعمران عبد الحي وعباس لغرور ورجالهما. اختلفوا ولا أحد يعرف مصيرهم.، سأل محمود الشريف لاحقا أوعمران الذي أجابه متهربا : لا تهتم لذلك، لقد أرسلتهم إلى لجنة التنسيق والتنفيذ . لن تراهم مرة أخرى أبدا »¹⁴⁶.

أما عمار بن عودة فقد بدأ يتكلم (جريدة الشروق 1 نوفمبر 2015) في آخر المشوار، ويؤكد في مختلف أحاديثه مع الصحافة « أن عباس لغرور اغتيل من طرف أوعمران بأمر من عبان رمضان، وحامل رسالة هذا الأمر هو مولود قايد » .

بعد أن وثقوا في كل من أوعمران وكريم بناء على وصية مصطفى بن بولعيد، خاب أمل مجاهدي الأوراس-النمامشة الذين سيقوا إلى السجون وأعدم أغلب قادتهم. كما تطرح مسألة التدخل الخارجي في شؤون الثورة الجزائرية للنقاش، ألم يطلب أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ التدخل العسكري لبورقيبة (الذي بدوره ساعدته فرنسا) للقضاء على خصومهم ؟

في حين كان بالإمكان حل المشاكل المطروحة بين الجزائريين فيما بينهم ! تماما كما كان منصوبا عليه في الاتفاقيات الموقعة بين الحكومة التونسية

146. 76, Dominique Farale, *ibid*.

ومثلي الثورة. لقد قوبل تدخل بورقيبة في شؤون الثورة بكل ترحيب، مادام يخدم المصالح المشتركة للطرفين، واستنكر أي تدخل لغيره.

لم يكتف أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ بالإحجام عن الدفاع عن الثوار الجزائريين المعتقلين لدى السلطات التونسية، بل بالعكس سعوا إلى التخلص منهم بأقصى سرعة، ولم تصدر منهم أي مبادرة للحل السلمي للمشاكل المطروحة. خصوصا وأن عباس لم يتمرد ولم يحمل السلاح ضد هذه السلطة الجديدة التي سلم نفسه لها.

• عباس لغرور يبقى وقورا

أثار كتاب سعيد سعدي الكثير من النقاش، وأسأل ما أسأل من حبر، وما هممني في هذا المقام هو ما ورد في الموضوع الذي نحن بصدده؛ فقد نقل الكاتب شهادة مهمة لأحد مرافقي عميروش في تونس، خلال زيارته لعباس في السجن بين أيدي التونسيين :

« كان عباس لغرور معتقلا لدى السلطات التونسية ووضع تحت تصرف جبهة التحرير الوطني. نبه بورقيبة لجنة التنسيق والتنفيذ إلى أن القائد الشاوي يحضّر لتصفية ضباط من جيش التحرير الوطني من بينهم العقيد عميروش... ذهب عميروش بمعية علي أوبوزار إلى السجن في زيارة للمتهم، ليس لمعرفة أسباب سجنه، ولكن لمعرفة ما وقع فعلا في قضية شبحاني بشير. نحن في حاجة إلى معرفة الحقيقة قبل إنهاء تقريرنا، قال عميروش لعباس لغرور.

رجل الأوراس كان على مستوى سمعة مجتمعه، لم يسع على الإطلاق لحماية نفسه، كما لم يلق اللوم والمسؤولية على أي شخص آخر.

علي أوبوزار المكلف بتحرير محضر سماع، التقى المتهم عدة أيام، وأعجب بهدوئه وشجاعته. بقي عباس لغرور وقورا من البداية إلى نهاية الأمر، أكد أنه قرر إعدام شبحاني بمعية عجلول، وثبت التهمة المنسوبة إليه.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

"كان يعرف ما ينتظره ولم يحاول في أي لحظة تبرئة نفسه" ما يؤكده حتى اليوم أوبوزار المعجب بشخصية عباس. "لما انتهيت من سماعه سلمت مسودة المحضر لزميلي بن معلم ليرقنه على الآلة، لأنني لم أكن أعرف فعل ذلك بنفسي"، يكشف أوبوزار وهو مصاب بخيبة أمل، أنه ما رأى رجلا مصمما ومخلصا قط، يتعرض للعقوبة القسوى.

خاتمة التحقيق أضيفت إلى التقرير النهائي لمهمة الأوراس (مهمة عميروش)، وتم إرسالها إلى لجنة التنسيق والتنفيذ. لا نعلم أي التهمتين كان لها التأثير الكبير على الحكم: التورط في موت شبحاني أو تهمة محاولة اغتيال ضباط جيش التحرير الوطني، بمن فيهم أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، لكن عباس حكم عليه بالعقوبة القسوى وأعدم¹⁴⁷.

عباس لغرور كان سجيناً عند التونسيين، لا لجنة التنسيق والتنفيذ ولا عميروش انزعج أو اهتم لذلك، في الوقت الذي كانوا يرفعون شعار عدم التدخل الخارجي في الثورة الجزائرية، أما سعيد سعدي فيؤكد الاتهام الموجه لعباس لغرور، لم يتساءل عن شرعية هذا الاتهام عن حدث وقع سنة 1955، قبل عقد ملتقى الصومام لما كانت الولايات مستقلة في تسيير شؤونها، وبعض المسؤولين المتورطين في اغتياله كانوا لم يلتحقوا بعد بالثورة.

من يا ترى يملك الشرعية؟ من أشعل فتيل ثورة نوفمبر، وواجهه بالسلاح القوات الفرنسية، وبانتصاراته تم عقد ملتقى الصومام؟ أو من ركبوا القطار الذي وضعه غيرهم على السكة؟ أما فيما يخص اتهام عباس بمحاولته المساس بحياة ضباط في جيش التحرير وأعضاء من لجنة التنسيق والتنفيذ، بعد الإنذار الذي جاء من طرف بورقيبة «ينبه فيه ل.ت.ت.» إلى ذلك، مما يعني أن بورقيبة هو حارسها وهو من يعطي الأوامر.

147. Said Saadi, *Amirouche une vie deux morts*, Paris, L'Harmattan, 2010.

لم يرد في مختلف الكتابات والمراجع، كما لم يذكر أبدا المؤرخون أن هناك محاولة اغتيال لأعضاء ل.ت.ت، ما عدا أرزقي باسطا الذي أكد أن هذه الدعاية من فعل عملاء مهندسين ومقربين من أو عمران وبوصوف وكريم، وكان الهدف منها إيقاع خلافات وتنافر بين قادة الثورة في تونس.

• حكم بأثر رجعي

إذا كان عباس لغرور قد حوكم بأثر رجعي، فلماذا لا يحاكم بن طوبال وأوعمران وكريم وبومدين، وكلهم مسؤولون عن تصفية العديد من القادة كعبان رمضان ولعموري ونواورة وشريط لزهر ومنتوري ومصطفى لكحل وشعباني؟

أثرت شخصية عباس حتى في ممثلي مغتاليه الذين زاروه وهو بين أيدي السلطات التونسية بتورط من لجنة التنسيق والتنفيذ. أما عميروش بصفته مجاهدا في الداخل فلم يتأثر لهذه الوضعية، بالعكس، ورط مجاهدا آخر. لم نلاحظ أية مبادرة منه أو من ل.ت.ت لحل سلمي. وكان الهدف واضحا، القضاء عليه مهما كانت الأمور. لم ترد في الكتب التاريخية أو في المذكرات أي مبادرة أو مسعى ودي من طرف ل.ت.ت لتجنب التصفيات. أرزقي باسطا هو الوحيد الذي يشير في مذكراته محاولته التوسط لدى أو عمران، لكن هذا الأخير رفض أي مقابلة مع ما يسمى بجماعة عباس.

• ضرب الاتفاقيات عرض الحائط

إليكم ما كتبه المجاهد الطاهر سعيداني: « من بين الاتفاقيات التي أمضيناها مع التونسيين بعد حصولهم على الاستقلال، نذكر اتفاقية عدم

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

التدخل في الشؤون الداخلية، وقد التزم الطرفان بالاتفاقية. وإذا حدث أن ارتكب جزائري خطأ في تونس، تحيله إلينا الحكومة التونسية لمعاقبته، وليس الحكومة التونسية من يفعل ذلك. واستمر الحال يسير على الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين، إلى غاية وصول أوعمران إلى تونس، واتفق هذا الأخير مع بورقيبة على تغيير الاتفاقية الأولى مما سمح للحكومة التونسية بالتدخل في الشؤون الداخلية للثورة الجزائرية، تدخلا عسكريا وسياسيا، وبالمقابل ساعدت الحكومة التونسية أوعمران على تنحية محساس الذي كان يمثل قيادة الثورة في تونس وتنصيب أوعمران مكانه»¹⁴⁸.

ضجة وقعت ولا تزال قائمة حول تدخل عبد الناصر في شؤون الثورة، بينما يحاط بالنسيان المتعمد تدخل لحبيب بورقيبة، وهذا بالتأكيد نظرا لتقاطع المصالح بين الطرفين.

في لقاء لي مع الجنرال حسين بن معلم، طلبت منه تفاصيل عن لقاءه مع عباس، فصرح لي بهدوء أنه التقى به في ثكنة أين كان محتجزا من قبل التونسيين، وهما يحتسيان كؤوس الشاي دار الحديث حول ظروف وفاة شيخاني!... التقرير سلم للجنة التنسيق والتنفيذ. قال محدثي أنه يجهل المضمون (رغم أنه هو من رقن محضر الاستجواب حسب سعيد سعدي)، وأنه غادر بعد ذلك بمدة قصيرة إلى العراق لمتابعة دراسته.

أذكر بأن اللواء بن معلم كان قد رافق عميروش أثناء مهمته في الأوراس وتونس. منذ سنين واللواء بن معلم يدلي بشهاداته، والغريب أنه يتجنب في كل مرة إعطاء بعض التفاصيل عن مهمة عميروش في تونس. كنت أنتظر

148. الراحل الطاهر سعدياني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، الجزائر، دار الأمة.

اغتيال عباس لغرور

بفارغ الصبر صدور مذكراته متوقعا تفاصيل عن لقاءه بعباس في تونس، وللأسف لا شيء جديد .

ما يلاحظ أن المجاهد بن معلم شحيح الكلام عمّا دار من حديث بينهما هو وأوبوزار وبين عباس من جهة، وبين عميروش وعباس من جهة أخرى . فلم يعط أي تفاصيل ولو قليلة عن محتوى الحديث .

هل سألته عباس عن لقاءهم بقيادة الولاية 1، عن استسلام عجول، عن قرارات الصومام ؟

ماذا كان رد عباس لغرور عن ظروف استشهاد كل من شيحاني وبن بولعيد ؟

وماذا كان موقف عباس لغرور من مؤامرة « مونفلوري » أو « ماتيلد فيل » ؟

هذه الأسئلة كان باستطاعتنا إيجاد إجابات أو توضيحات عليها لو أن اللواء بن معلم الذي قابل شخصيا عباس كما يكتب، أعطى بعض التفاصيل إثراء للتاريخ، مما قد يزيل بعض الغموض حول هذه الأحداث .

يكتب بن معلم في مذكراته عن عميروش : « فور وصوله (أي عميروش) اتصل بمسؤولي الولاية الأولى وقد زارهم في الشكنة التي حبسوا فيها »، ويضيف : « بعد تلك الزيارة، تم لقاء أولئك القادة من قبل "أوبوزار" ، ثم مني . ارتكزت محادثتنا على الوضعية في الولاية الأولى، ظروف وفاة بشير شيحاني في أكتوبر 1955، ووفاة بن بولعيد في مارس 1956، وحادثة "مونفلوري" . تلك هي الغاية من زيارة عميروش : معرفة مجريات الوقائع » . نلاحظ أن الهدف هو توريث قادة الولاية الأولى .

ثم يكتب بن معلم أن مسؤولي الأوراس بعثوا برسالة شكر وعرفان إلى عميروش، دون أن يذكر أن هذه الرسالة كتبها يوسف يعلاوي الذي عينه عميروش لتتو كمسؤول « سياسي على الولاية الأولى » وهو مثله من منطقة القبائل .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الملاحظ أن عميروش « زار » عباس في السجن ثم أرسل له شخصين لاستجوابه، أي أن عميروش جاء لإطاحته، بدل المضي إلى الأمام معه في حل المشاكل الآنية وربط الاتصال بينه وبين مجموعة لجنة التنسيق والتنفيذ، والاستفسار حول أسباب الخلافات. اللواء بن معلم لا يذكر من كلف عميروش بهذه المهمة؟ ألم يكون عميروش هو اليد الخفية للجنة التنسيق والتنفيذ؟

• التآمر

يبدو من خلال هاتين الشهادتين أن عباس لغرور كان واعيا بما يحاك من مؤامرات ضد الثورة وضد المنطقة الأولى، فها هو يفتح قلبه لجمال الدين دردور. جمال الدين دردور طبيب أسنان مناضل في الحركة الوطنية ونائب عن قسنطينة: عهدة 1946-1951. كتب: « ... أصل إلى تاريخ الولاية الأولى، الولاية الشهيدة، إنه الوصف الذي تستحقه باعتبار كثرة ما عاناه سكانها ماديا ومعنويا من انتهاكات الاستعمار. كل فريق القيادة في هذه الولاية كان مشكلا من المناضلين القدامى لحزب الشعب الجزائري. أقدم من آخرين حديثي العهد ممن نجحوا في تبوء مناصب صنع القرار بالدسياسة.

هؤلاء الأشخاص أرادوا السيطرة على كل دواليب المراكز الحساسة للثورة، بتنصيب رجال من عصبتهم. ولتحقيق الهدف، كان عليهم إما استعمال الرشوة أو تصفية إطارات الثورة النزهاء والأكفاء، الذين وقفوا مبدئيا على هامش لعب الكواليس والحسابات الدنيئة.

جزائريون أقسموا اليمين على خدمة قضية الاستقلال والعدالة والسلام حتى الموت، لم يخلّوا أبدا بهذا الالتزام، كحالة العقيد لعموري المتهم بالتآمر

اغتيال عباس لغرور

ضد الثورة والذي أعدم ظلما، عباس لغرور وعجول اللذان اتهما ظلما باغتيال شيحاني بشير.

عباس لغرور كان محتجزا في تونس قبل أن يحاكم من قبل مجلس حرب وينفذ فيه حكم الإعدام، عاجل عجول يسلم نفسه للمصالح الفرنسية.

من لم يسمع بهذا الكمين الرائع، أين فشل عدد كبير من العسكريين الفرنسيين رغم أسلحتهم المتطورة أمام شجاعة حفنة من الرجال بقيادة العقيد عباس لغرور؟ هذا الانتصار الذي لا ينسى يبقى مرتبطا بالشهيد عباس لغرور، هذا الأخير كان يعاني من آلام في الأسنان وأحضر إلي للفحص في عيادتي بشارع "سان جون" في العاصمة التونسية، فهو أحد معارفي القديمة. في الجلسة الوحيدة التي فحصته فيها، حدثني لغرور عن المؤامرات المتعددة التي يدبرها بعض مسؤولي جيش التحرير الوطني الذين أرادوا القضاء على جميع الرجال الذين لا يسايرونهم في خديعتهم.

والشيء الغريب هو أن هؤلاء المسؤولين غير متفقين فيما بينهم على مختلف المواضيع، بل أن الأمر يصل بهم إلى حد التنازع»¹⁴⁹.

أما الطاهر الزبيري فكتب في مذكراته أنه استقبل من طرف عباس لغرور في « فيلا » في دندان بتونس، الذي قال له : « إن الثورة في خطر. بعض المسؤولين يلعبون في الماء العكر. لهذا أطلب الحذر وأن تكونوا رجالا. يجب عليكم حماية الثورة من خطر الانحراف. إنني هنا لمعالجة بعض المشاكل وسأعود إلى الجزائر»¹⁵⁰.

149. Derdour Djamel Eddine, *De l'Etoile Nord-Africaine à l'indépendance : itinéraire d'un homme politique*, Paris, L'Harmattan, 2002, p. 100.

150. العقيد الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (1954 - 1962)، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2008.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

السمة الغالبة في الكتابات القليلة التي تناولت ظروف وأسباب اغتيال عباس لغرور هي عدم الوضوح، وغالبا ما يتكرر فيها الاتهام برفض قرارات لقاء الصومام 1956، والمسؤولية المشتركة في قضية تصفية شبحاني بشير، وهذا ما ينفيه العقيد عمار بن عودة، حيث يؤكد في تصريحه أن عباس لغرور لم يعدم بسبب شبحاني بشير، بل « بسبب تلقي أوامر من أعمار في ذلك من عمار رمضان » (جريدة الشروق 1 نوفمبر 2015). رغم ما كتب بأن « عمار بن عودة » كان ضمن من حاكموا عباس لغرور إلا أنه نفى ذلك .

• السياسيون يناورون من أجل القضاء على رجال نوفمبر

من المعلوم أن عباس غادر إلى تونس في جويلية (حسب رواية طالب الإبراهيمي) ثم في أكتوبر 1956. كان يهدف من سفره إلى تحقيق عدة أهداف لعل أبرزها :

تقليص الخلافات التي ظهرت بين بعض القادة المحليين في المنطقة الأولى والسعي للحد منها، ثم توضيح وتوحيد موقف المنطقة الأولى من لقاء الصومام وتنظيم لقاء مع الوفد الخارجي لجبهة التحرير، وربما مع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ للاطلاع على المستجدات. هل رفض عباس حقا قرارات الصومام، وهل اطلع عليها ؟

هل كان عليه أن يقدم تقريرا عن القضايا التي وقعت في منطقتة، قبل فترة طويلة من انضمام الوافدين الجدد إلى صفوف الثورة، هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم على أنهم السلطة الشرعية ؟

كلا، فهو المناضل الأصيل في الحركة الوطنية، والبطل الذي بصم بأعماله ثورة أول نوفمبر، والرجل الاستراتيجي الذي واجه القوات الفرنسية ولم يترك لها راحة طيلة السنوات الأولى للثورة، بل أعطاها دروسا في حرب العصابات

باننتصاراته في الميدان، هذه الانتصارات التي رفعت صوت الجزائر عاليا في المحافل الدولية .

إذن، ما هي هذه السلطة التي كان عليه أن يقدم لها الحساب ؟
لقد كان واثقا من براءته، لكونه لم يقترف ما يستوجب سجنه، لذلك رفض كل جهود المخلصين من رجال نوفمبر لتحريره من السجن وتخليصه من مخالب خصومه المتحالفين .

– هل سمح له بتفسير وتقديم توضيحات عن الاتهامات التي وجهت له ؟

– هل كان عقبة كبيرة أمام الراغبين في التحكم في مصير الثورة ؟
من خلال قراءة مختلف الشهادات يتضح عدم رغبة ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ في إمكانية الحوار معه، حتى أنها كلها لم يرد فيها ذكر أو إشارة لهذا الاحتمال .

– ألم تكن لديهم الشجاعة الكافية لمواجهة ؟

كل ذلك يؤكد أن الهدف هو ببساطة القضاء عليه كواحد من أوائل القادة لفتح الطريق أمام الوافدين الجدد في صفوف الثورة .

تحول ملتقى الصومام الذي يفترض أن يهدف أساسا إلى جمع الشمل وتوحيد مختلف الولايات إلى « انقلاب » كما وصفه المجاهد سعد دحلب في مذكراته، وهو من عيّنه اللقاء قياديا في الثورة : « بأنه أول انقلاب داخل جبهة التحرير » .

أتت على هذه الجهود الرامية لتحقيق المصالحة وتوحيد موقف المنطقة الأولى عدة أحداث متزامنة، فنسفتها وعمقت بذلك جراح الأوراس – النمامشة، منها :

– وصول ممثل واحد فقط عن لقاء الصومام إلى الأوراس، هو عميروش الذي كان لقدمه آثار كارثية للغاية على كل المنطقة الأولى .

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

- وصول قادة جدد ممثلين للجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس، مما فتح جبهة مفتوحة لاقتتال الإخوة في تونس.
- عملية تخريب اجتماع حي « ماتيلد فيل » بتونس التي حطمت جهود المصالحة بتسميم الأجواء، مما أعطى فرصة لتصفية وسجن وتشيت وإبعاد أغلب إطارات الثورة من قادة المنطقة الأولى « الأوراس-الناماشة ».
- عملية القرصنة التي أدت إلى توقيف الوفد الخارجي للثورة بزعامة بن بلة التي كان من نتائجها تقوية وترسيخ سلطة لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن لقاء الصومام، وإضعاف الولاية الأولى.

• تواطؤ بورقيبة مع لجنة التنسيق والتنفيذ بمبايعة من فرنسا

على وجه السرعة اغتيل عباس لغرور بمعية مجموعة من الضباط البواسل والإطارات المثقفة الذين كانوا خيرة رجال الثورة.

حدث كل ذلك في تونس، في مرحلة أصبحت فيها الثورة تمتلك قواعد وقوانين تمكنها من تجنب بعض التجاوزات التي وقعت فيها المحاكم الثورية التي تشكلت في السنوات الأولى للثورة، حيث ضمان ظروف المحاكمات العادية كان صعبا جدا بل شبه مستحيل، خلافا للظروف الجد حسنة المتوفرة في تونس.

مع العلم أنه لم تكن هناك سلطة مركزية داخل أو خارج الحدود الجزائرية قبل لقاء الصومام 1956، لاستشاراتها في بعض القضايا المعقدة التي يواجهها الثوار داخل الجزائر، كان من الممكن حبس عباس لغرور في تونس أو إبعاده بإرساله إلى المشرق كما وقع لغيره، لكن يبدو أن شخصيته القوية، وتأثيره القوي على المجاهدين في الداخل كما في الخارج، كذلك رمزيته الراسخة في

قلوب الثوار كرجل من رجال ليلة أول نوفمبر، كل هذه العوامل كانت تخرج كثيرا القادة الجدد، المنحدر أغلبهم من خلفيات سياسية مختلفة عن قناعاته، إن لم نقل أنها كانت معادية علنا لاندلاع ثورة التحرير في نوفمبر 1954 .

• كريم يستفيق

كان لكريم بلقاسم أثناء اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في القاهرة في 26 أوت 1957 رد فعل، ورد في كتاب « ساعة العقداء » لـ « إيف كوريار » : « أثناء اجتماع صاحب بين أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ حيث أحس بأنه مهدد في هيمنته، كان عبان جالسا أمام العقداء كريم وبن طوبال وبوصوف ومحمود الشريف . توجه كريم إلى أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وبالخصوص إلى عبان . أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ يجب أن يكونوا أعضاء مسلّم بهم وغير قابلين للجدل . لم أكن أريد التدخل في الجدل عبان-بن بلة . لكن هناك حقيقة : رفقاؤنا الخمسة القابعون في السجن يحتجون على وجود مركزيين بيننا وهما : بن خدة وسعد دحلب، وأشاطرهم الموقف . لماذا اتخذ اليوم في القاهرة هذا الموقف ؟ لأن هؤلاء السياسيين الذين لم يكونوا بتاتا ضمن الثوار يناورون من أجل تصفية رجال جيش التحرير والقادة التاريخيين »¹⁵¹ .

كريم الذي شارك في تصفية بعض القادة النوفمبريين ورجال جيش التحرير، استفاق لما أحس أن دوره آت، فضرب بقوة على الطاولة . من الواضح للعيان الظلم الذي تعرض له رجال الثورة من طرف ل . ت . ت ، فهناك رجال آخرون ارتكبوا تجاوزات خطيرة وصف بعضها بالجرائم، لم توجه لهم ولو توبيخات، بل بالعكس، تمت ترقيتهم لأنهم خدموا مصالح المجموعة .

151. Yves Courrière, *L'Heure des colonels*, *ibid*.

• فتح جبهة صراع أخوي

الانتصارات التي حققتها المنطقة الأولى ثم المناطق الأخرى مهدت وبلا رجعة الطريق نحو الاستقلال. وإدراكا منها لهذه الحقيقة، قررت الأحزاب السياسية المترددة الالتحاق بركب الثورة. هذا الزخم أدى إلى بروز خلافات، وبدأ الصراع على السلطة.

ديدوش مراد، بن بولعيد مصطفى، بن مهدي العربي، زيغود يوسف استشهدوا، رابح بطاط وبوضياف تم توقيفهما، ضمن مجموعة الستة بقي كريم بلقاسم فقط على قيد الحياة وفي ميدان النضال. هذا ما فتح أمامه المجال للاستحواذ على مشعل الثورة.

مع بداية الصراع بين التكتلات المختلفة، أصبحت كل الوسائل متاحة : إيديولوجية، جهوية، قبلية... الزبانية، وحتى التصفية الجسدية. فمن الضروري حسبهم تصفية وإبعاد وتحييد كل من يضايقهم بأية وسيلة. وأول من كان يضايقهم ويقف حاجزا أمام طموحاتهم هو المنطقة الأولى، نظرا لنجاحاتها في الميدان وعلاقتها بالوفد الخارجي، وبن بلة غريم عبان.

المجاهد محمد الصغير هلايلي يكتب عن ظروف الولاية الأولى في نهاية سنة 1956، حيث يؤكد أنها قائمة نتيجة الانقسامات التي حدثت. في مقال في جريدة الشروق بتاريخ 27 ماي 2006، يكتب : « الولاية مستهدفة من طرف عناصر تقاطعت مصالحها عليها، بسبب ريادتها في العمل الثوري الذي فاجأ الجميع، عدوا وأطرافا سياسية، وأيضا نتيجة الانتصارات المبهرة في الميدان التي تحققت خلال السنتين 55 و56، ذلك ما دفع الجميع لاستنفار قواه كل حسب غايته، فإذا كانت غاية العدو القضاء على هذا العمل الثوري المفاجئ في مهده الأول، فإن غاية بعض الطامحين هي الاحتواء والتحكم في

اغتيال عباس لغرور

مصير هذه الثورة المعجزة التي يبدووا لهم أنها ظهرت في مكان غير مكانها، وفي وقت غير وقتها، وبعناصر ليسوا بالضرورة هم المؤهلين لقيادتها¹⁵².

إن اغتيال عباس لغرور ورفاقه هو أول عملية اغتيال ذات طابع سياسي في الثورة التحريرية، تليها اغتيالات كل من عبان رمضان لعموري محمد، نوارة، مصطفى لكحل.

كانت نهاية سنة 1956 بداية فعلية للسباق نحو السلطة، كان اهتمام ممثلي الثورة في الخارج هو تثبيت سلطتهم بخلق التكتلات والأحلاف والسيطرة على مصادر السلاح، وكانت بداية هذا الصراع بتصفيات وتحييد الوطنيين من مفجري ثورة نوفمبر 1954 وتعويضهم بأشخاص من اتجاهات سياسية مختلفة بين مركزيين، وجمعية العلماء، وشيوعيين، ووصوليين. تعد هذه المرحلة، أي مرحلة التصفيات، نقطة سوداء في تاريخ الثورة لم يكشف بعد عن أسرارها.

المؤرخ الفرنسي « إيف كوريار » يصف ربيع سنة 1957 بـ « المرحلة الأكثر سراً من تاريخ الثورة الجزائرية... وأن الفوضى عمت في تونس ». هذه الأوضاع التي يتحدث عنها « إيف كوريار » ماهي إلا نتيجة لإنزال الإدارة الجديدة للثورة، التي كونت على أسس جهوية وسياسوية وزمرية.

ينسب بعض المؤرخين وضعية « الفوضى » السائدة في تونس إلى الصراعات القبلية والجهوية لمنطقة الأوراس-الناممشة، والحقيقة أن هذه الدعاية هي تبسيط واختزال تعسفي متعمد لإخفاء الوسائل المستعملة من بعض قادة الثورة ضد المنطقة الأولى، وتجنب للحديث عن الجرائم التي ارتكبوها. إن الجهوية والمحسوبية التي حاربها القادة الأوائل للثورة كرسها ووطدها القادة الجدد.

152. محمد الصغير هلايلي، نفس المرجع.

أي جهوية استعملها ممثلو المنطقة الأولى؟ وهل كانت يومها لديهم سلطة حتى يستعملوا الجهوية؟ غريب أن يستمر بعض الكتاب في ترديد أن « الفوضى » والقبلية عمت في الأوراس بعد استشهاد بن بولعيد، دون تفسير ما يقصدون بهذه « الفوضى ». أما حديثهم عن الصراع القبلي، فأتساءل، أية قبيلة تصارعت مع قبيلة أخرى ياترى في الأوراس-الناماشة؟ أبدا لم تتصارع قبيلة ضد قبيلة أخرى ولا جيش منطقة ضد منطقة أخرى. وقع فعلا تمرد أشخاص في موضع وزمن محدود. كما حاول عمر بن بولعيد استعمال قبيلته ليخلف أخاه ولم يفلح، ولم تقع حرب بين القبائل كما يصور لنا البعض. ظهرت ثم عمت الفوضى بعد ملتقى الصومام، أين ظهر الصراع بين ما يسمى « بالجيش والجبهة »، خصوصا بعد اغتيال القادة وإبعادهم وسجن وتعذيب الجنود واستعمالهم كدواب لنقل الأسلحة إلى الداخل (المنطقة الثالثة) في ظروف لا إنسانية (انظر تقرير ولاية خنشلة).

كما تم تحويل أكثر من ألف مجاهد من الأوراس إلى ولايات أخرى كتشريد وعقاب لهم على معارضتهم للسلطة الجديدة واحتجاجهم على اغتيال رفاقهم وقادتهم. وقد استشهد معظمهم في هذه الولايات، كاستشهاد سيدي حني وجنوده. هنا فقط يكمن مغزى عبارة « عمت الفوضى والقبلية في الأوراس-الناماشة » أو « المشوشون » وهو الهروب من تحمل مسؤولية الحكم على ما حدث. إن الحديث عن هذه المأساة ليس لإثارة الجراح، بل لإنصاف الرجال والحكم العادل على الأحداث ولإعادة الاعتبار لمن ظلم منهم...

• معارضون أو مشوشون، الأسباب والنتائج

رغم استشهاد كل من شيحاني بشير ومصطفى بن بولعيد، وبروز بعض المشاكل « الطبيعية » التي كانت على وشك الحل (تقرير ولاية خنشلة) حول

خلافة بن بولعيد، إلا أن الأمور كانت تسير بشكل منتظم، فلم يكن هناك تمرد أو اغتالات لا بين القبائل ولا بين المناطق. يمكن أن نلخص الوضع في ما كتبه العقيد الفرنسي « دومنيك فرال » في كتابه « معركة جبال النمامشة » حيث يكتب ما يلي : « كان قادة جبهة التحرير يعتقدون أن الفوضى عمت وسط متمردى الأوراس-النامامشة وهذا خطأ. عباس لغرور يتحكم في منطقة النمامشة ويستعد لتكثيف محاربتة للقوات الفرنسية. عاجل عجول يتحكم في بني يملول وجزء من الأوراس، كان يحاول أن يعزز مجموعته ويظهر بكثير أنه أقل هجوما من عباس لغرور. كان يبدو أن هناك نوعا من التناسق بين الرجلين، لا أحد يريد السيطرة على الآخر، كلاهما مكثف بالتحكم في قطاعه. لم تكن هناك إدارة موحدة لمنطقة الأوراس-النامامشة، بل تنسيق فعال. وضعية المتمردين في هذه المنطقة كانت بكثير أكثر صلابة من الولايات الأخرى التي كانت تتمتع بقيادة موحدة ».

إن ظهور ما سمي « بالمشوشين » أو بالأحرى المعارضين يعود إلى بروز خلافات حادة بعد مؤتمر الصومام أدت فعلا إلى فوضى سواء داخل الحدود التونسية أو داخل حدود الولاية الأولى. لخص المجاهد المرحوم عبد الرزاق بوحارة في كتابه « ينابيع التحرير » الوضعية، خصوصا على الحدود التونسية الجزائرية في جبل الشعانبي أين التجأ المعارضون أو ما كان يسمى « بالمشوشين ». بعد وصف الأوضاع هناك، خصوصا أنه شاهد حي على ما كان يجري هناك، كتب (ص 194) : « الاستنتاجات السطحية القائلة بأن جنود الشعانبي (جبل بالحدود التونسية تركز به عدد من معارضي ل.ت.ت) مشوشون وغير منضبطين. يحدثون البلبلة والفوضى للقيام بما يحلو لهم وللهرب من المعركة. لقد كانت مثل هذه الاستنتاجات، التي أغفلت حقائق معروفة جيدا، إلى حد كبير من أسباب التمللم الذي ساد أواسط

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

وحدات جيش التحرير الوطني المتواجد بالناحية. تركت إدانة بعض المسؤولين في 1956، 1957، 1958، وبصفة خاصة إعدامهم، جروحاً عميقة. كان لموت قادة مثل عباس لغرور، تيجاني، لزهري شريط، الباهي الحراثي، الزين، لعموري، عواشيرية، نوورة، مصطفى لكحل، وطلبة مثل آيت زاوش، ومنتوري، وزعروري، آثاراً وخيمة على معنويات المجاهدين .»

حقاً، إن مرحلة ربيع سنة 1957 هي أكبر مرحلة مأساوية في تاريخ الثورة التحريرية، فإذا كان « إيف كوريار » (مؤرخ فرنسي) لم يتمكن من الكشف عن سر هذه المأساة، فهذا راجع إلى أن المعلومات التي كان يجمعها لكتابة تاريخ حرب التحرير كان يستقيها من جانب واحد من المتخاصمين الجزائريين، بالخصوص كريم بلقاسم وأوعمران وبن طوبال. من الواضح أنه إذا حلت بتونس مجموعة من المسؤولين بعد سنتين من اندلاع الثورة لفرض سلطتهم على مجاهدين ومناضلين هم هناك منذ الساعات الأولى لاندلاع حرب التحرير، فإن النتائج وآثارها ستكون وخيمة، وفعلاً وقع ذلك، حيث تم اغتيال وإبعاد وتحييد وعزل آلاف من قادة وإطارات ومجاهدي الولاية الأولى. ورغم ما تعرضت له هذه الولاية، إلا أنها استمرت في محاربة القوات الفرنسية بكل إرادة وجدارة، وبتضحيات جسام حتى الاستقلال .

على العكس من بعض التصفيات التي وقعت أثناء الثورة، فإن ظروف اغتيال قادة الولاية الأولى لا تزال محاطة بالسكوت المتعمد. نتساءل لماذا بعض شهادات المجاهدين المعنيين مباشرة لم تتطرق لهذه الأحداث المؤلمة؟ لماذا نتعرض للبعض منها وليس الآخر؟ أليس من الأفضل النظر إلى تاريخنا ورجاله بكل أبعاده سلبية كانت أم إيجابية؟

في حفل تكريم مناضل الحركة الوطنية أحمد محساس في مدينة بوسعادة يوم 28 جوان 2010 صرح بأنه كرم أيضا في مدينة الواد وصرح : « لقد شعرت بسعادة كبيرة قبل أشهر بمدينة واد سوف، عندما جاءني أحد المجاهدين بأمانة، وقدم شهادته أمام ما يناهز 60 شخصا، وقال لي أنه التقى ذات يوم عباس لغرور وحمّله أمانة ليبلغها لي لما كنت مسؤولا مفادها : " قل للإخوة يذكروننا عندما تستقل الجزائر " » .

• صعوبات في تنظيم قوافل المجاهدين

تذكير للبنية الاجتماعية

من المهم التذكير ببعض العناصر التي تميز المكونات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات التقليدية، ليس فقط في الأوراس-الناماشة، بل في كل مناطق الجزائر وحتى في العالم، خصوصا التي لم تهتز بعد لتأثيرات الحداثة. في هذا النوع من المجتمعات، كما هو الحال في الأوراس-الناماشة إذ لا يزال نظام « الجماعة » أو « العرش » نموذجا معمولوا به منذ قرون من الزمن. كان في وقته نظاما ديمقراطيا مميذا فالقبائل كانت تعيش منعزلة تطبق فيما بينها نظاما داخليا ممتازا يتناسب مع سلوكياتها الاجتماعية والثقافية، هذا النظام استغلته السلطات سواء التركية أو الفرنسية لتفريق القبائل والمناطق، وذلك بتعيين ما يسمى « بالقايد » على كل عرش، وعموما، يجهل « القائد » المعين عادات القبيلة التي عين « قائدا » على رأسها، وأحيانا حتى لغتها المحلية.

فالقبيلة إذن أو « العرش » لا تزال العنصر الأساسي للهوية والانتماء بعد العائلة، وقد استغلت فرنسا هذه الوضعية بل طورتها سلبيا لتفريق الجزائريين. إن قلة اختلاط القبائل والمناطق نتيجة طبيعية للظروف البدائية للمعيشة التي تقتصر على الفلاحة وتربية المواشي والتجارة بالمبادلة، إذ كانت القبائل

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

تعيش على اكتفاء ذاتي غذائي واجتماعي أدى إلى إنتاج سلوكات داخلية خاصة بها. أما في مجال التجارة فنجد بعض التبادلات، مثلا بالنسبة لقبائل الأوراس-النمامشة، هناك بعض الاحتكاكات الموسمية مع بعض السكان من المناطق المجاورة، معظمها من البدو الرحل من الجنوب القادمين بحثا عن المراعي لمواشيهم ومبادلة بعض إنتاجهم، أما من جهة الشمال فهناك اتصال مع بعض الباعة المتجولين الراجلين أو على ظهور الحمير، ومعظمهم من منطقة القبائل. ورغم فقر المنطقة إلا أنها تعتبر أقل فقرا من منطقة القبائل وجنوب الأوراس، هذا ما يفسر قلة الهجرة إلى مناطق أخرى من الجزائر أو حتى إلى فرنسا، عكس المناطق الجبلية الأكثر فقرا التي هاجرها الكثير من رجالها إلى مناطق أخرى، وإلى فرنسا بحثا عن مصدر رزق. أذكر أيضا غياب التعليم في هذه المنطقة، فلا الأتراك ولا الفرنسيون فتحوا مدارس، وحتى الآباء البيض لم يتمكنوا من الاستقرار فيها.

نعود الآن إلى بداية هيكله المنطقة الأولى. من المعلوم أنه قبل اندلاع الثورة، مجموعة 22 ثم مجموعة 9 ثم مجموعة 5 وأخيرا مجموعة 6 وهي المجموعة التي بادرت بإقرار العمل الثوري المسلح، قررت تقسيم الجزائر إلى خمس مناطق ثم ست مناطق جغرافية، على رأس كل منطقة قائد يساعده نائبان. هؤلاء الرجال كلهم من خريجي الحركة الوطنية، أي النضال السياسي الوطني، فكانت لهم أبعاد فكرية مغاربية وعربية، وحتى على مستوى العالم الثالث، كانوا يتمتعون بتنظيم وانضباط محكمين، بينما كان المواطنون عموما غير منضبطين ولا مؤطرين. كان من اللازم انتظار اندلاع الثورة للشروع في تأسيس هياكل إدارية وسياسية وعسكرية واجتماعية سرية. ويمكن تصور

الصعوبات الكبيرة التي اعترضت القادة الأوائل للثورة وتمت إزالتها بصراعات عقيمة وعنيفة .

الصعوبات كانت عديدة ومتنوعة : صعوبات جغرافية ناتجة عن امتداد مساحات المناطق، صعوبات الاتصال، فوسائل الاتصال كانت بدائية والتنقلات كانت صعبة والمسالك وعرة، إضافة إلى مشاكل تنظيم وتأطير المجندين الجدد الذين كان معظمهم من الوسط الريفي وكانوا وطنيين شرسين متعلقين جدا بوسطهم القبلي والجغرافي الذي يعرفونه جد المعرفة . صعوبة كبيرة في تأطيرهم وإخضاعهم للانضباط والطاعة واجهت المجاهدين الأوائل . بصفتها رائدة الثورة التحريرية، كانت المنطقة الأولى ملجأ كل من يريد الالتحاق بالثورة، منهم من جاء من مناطق أخرى من الوطن، طبعاً معظمهم فلاحون من سكان الريف، لهذا واجه رواد الثورة صعوبات كبيرة في الأشهر الأولى، فكان عليهم الاتصال بالعائلات والدواوير والقبائل وحتى المناطق الأخرى ليبشروا بإعلان الثورة، كان معظمهم يجهل التضاريس ولا يعرف لا العائلات ولا الأعراس ولا القبائل، وهم أنفسهم غير معروفين لديهم . رغم هذا تمكنوا من كسب حماس وتعاطف العائلات والقبائل، وأحياناً كانوا يستقبلون بالرفض لانعدام الثقة . صعوبات أيضاً واجهت القادة المنتمين لمناطق وقبائل أخرى فهم يجهلون العادات والتقاليد الاجتماعية المحلية وأحياناً اللغة المحلية المتداولة .

تعد المنطقة الأولى من أكبر المناطق قبل انعقاد لقاء الصومام سنة 1956 . هذا التوضيح مهم لفهم واستيعاب صعوبات التنظيم التي واجهت مبشري الثورة خصوصاً بعد التحاق أفواج كبيرة من الشباب بالثورة . على سبيل المثال، في الأيام الأولى لاندلاع الثورة توجهت وبأمر من عباس لغرور أفواج مكونة من

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

ثلاثة أو أربعة مجاهدين إلى مناطق مختلفة بدون أية اعتبارات قبلية (مجموعة مجاهدي مدينة خنشلة، كان معظمهم حضريين، أي سكان المدينة) من الملاحظ أن أفراد هذه المجموعة ليست لهم نزعة قبلية، فأصبحت مهمتهم صعبة نظرا لجهلهم للوسط القبلي. شعبان لغرور شقيق عباس مثلا كلف مباشرة بمهام نشر الثورة شمال المنطقة التي كان يجهلها تماما (عين عبيد، الخروب، أم البواقي، فالمة،... ما يسمى بالمنطقة الرابعة) مريّر لحسن مكلف منطقة عين البيضاء مسكّانة وبالاتصال بزيغود يوسف بالولاية الثانية وقد كلف فيما بعد من طرف شيحاني بشير بإيصال كمية من السلاح للولاية الثانية.

بعد أشهر من اندلاعها، تعززت الثورة بمجندين جدد وبقيادة محليين جدد، وبظهورهم تضخمت مشاكل التأطير والتسيير. ومن المشاكل الأساسية التي ظهرت عدم الانضباط ورفض التحويل من جهة إلى أخرى أو من قبيلة إلى أخرى، ويمكن القول أنه رفض مقبول ومبرر لأن تحويلهم من قبيلة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر يعد بالنسبة لهم عقابا، أو يمكن القول حكما بالإعدام مما أدى إلى بروز تمرد أو معارضة محدودة في بعض المناطق عولجت في حينها وبرزانة، هذا التمرد ضخّمته وفسرته المصالح الفرنسية بالصراع القبلي في الأوراس -النامشة بهدف التفرقة وقد استمر المؤرخون في نقل هذه العبارة معللين كل ما يحدث في الأوراس بالصراع القبلي.

الفصل الرابع عشر محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

• شعب واحد، هو الشعب الجزائري

عودة إلى عباس لغرور، لمعرفة نظريته التي تتجاوز الحدود القبلية والجهوية، وحتى الوطنية. فالمناضلون الذين جندهم لتفجير ثورة أول نوفمبر بخنشلة، وناضل معهم لسنوات طويلة، كما ذكر سابقا، كانوا منحدرين من مختلف القبائل والنواحي الجزائرية، بل كان من بينهم مناضل ليبي هو الشهيد علي غرياني.

ناضل عباس أيضا، وبتوجيه من القائدين بن بولعيد وشيخاني، من أجل الوحدة المغربية من خلال المشاركة في جيش التحرير المغربي، كما ذكرناه سابقا. لم يُظهر أبدا انتماءه إلى قبيلة أو جهة ولم يدعُ لذلك، لقد حارب كل نزعة قبلية أو جهوية. لم تكن أفكاره سجيئة قمم الأوراس والصخور الضخمة لجبال النمامشة، بل تعدتهما إلى أبعد من قممهما.

إبان الثورة خاض عباس المعارك في كل جهات الأوراس-النامامشة. مساعدوه ورفاقه من المجاهدين الذين خاضوا معه بنجاح معارك كبرى في

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

مواجهة جيش الاستعمار الفرنسي، منحدرّون من جميع مناطق الجزائر : من واد سوف، القبائل، وهران، قسنطينة، ومن كل قبائل الشاوية. كثير من هؤلاء الرجال كانوا أوفياء له حتى النهاية المأساوية المتمثلة في التضحية والاستشهاد. كان همّ عباس الوحيد هو تحرير الجزائر من نير الاستعمار في إطار مبادئ نوفمبر 1954.

كان رجلاً محترماً من طرف الجميع، هذا الاحترام الذي كان يتمتع به عند المجاهدين والشعب أهله إلى التدخل في الكثير من النزاعات، وتسوية بعض الخلافات القبلية، كما سنرى خلال بعض الشهادات.

كتب الرائد عثمان سعدي في كتابه « مذكرات الرائد عثمان سعدي » متحدثاً عن المجاهد « بابانا ساعي » : « استقبله عباس في حضوري وقال له : صرتم أنتم جماعة الجبل الأبيض تقومون بأعمال غير صالحة ولا تليق بسمعة ثورتنا، التي هي ثورة شعب، وليست ثورة قبيلة أو عشيرة ؛ ولهذا فقد قررت عدم عودتك إلى الجيش الذي صاروا يسمونه (جيش الطكاكة). لا بد أن تعلم يا ساعي أنني أومن بجيش الثورة، ولا أؤمن بجيش الثوار المشتتين وفقاً لعشائهم وقبائلهم ».

يضيف الرائد عثمان سعدي : « بعد أيام، اختلى عباس بساعي، ثم دعاني في حضوره، وقال : "عاهدني ساعي أن يعيد الجيش إلى الجبل الأبيض، إلى قيادة ناحية تبسة، وينقذه من التشتت العشائري ويخرجه من هاوية العشائرية (العروشية)، وأن يعيده إلى إيطاره الصحيح، أي إلى إيطاره الوطني. اسمعني جيداً يا عثمان، أنت تعرف أنني أحبك وأقدرك، فأنت وطني ولست عروشي (عشائري)، كل واحد منا يشعر بانتمائه لعشيرة هو غلطان، نحن ننتمي كلنا إلى شعب واحد هو الشعب الجزائري، وإلى ثورة

معاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

واحدة هي الثورة الجزائرية. هدفها تحرير القطر الجزائري، وجعل شعبه يعيش في أرضه حرا كريما " ¹⁵³.

في مقابلة مع صحيفة « المجاهد » اليومية بتاريخ 6-7 جويلية 1990، صرح المجاهد يوسف خوجة يحيى وهو من مواليد أم البواقي وأحد قدامى المحكوم عليهم بالإعدام : « في جويلية 1956، حضرت تجمعا في جبل بوتخمة (مسكانة)، ضم 400 مجاهد برئاسة عباس لغرور، الذي استطاع تسوية خلاف بين قبيلتي النمامشة والحراكتة، مذكرا لهم بأن العدو الوحيد هو فرنسا ». مستوى عباس التعليمي (الابتدائي) واحتكاكه منذ الصغر بالحركة الوطنية فتح أمامه آفاق التكوين، فقد اكتسب رؤية شمولية عن الجزائر، واكتسب معارف عن تاريخها وتاريخ شمال إفريقيا من خلال دروس التحسيس الموجهة لمناضلي الحركة الوطنية، ومن خلال علاقاته مع مختلف المناضلين، خصوصا بن بولعيد، شبحاني بشير، وآخرين من الذين كانت لهم دراية كبيرة بتاريخ الجزائر.

• الجزائر فوق الجميع

وضع عباس مصلحة الثورة قبل كل شيء، فكان يوصي المجاهدين بأن يعتبروا « الجزائر فوق الجميع »، كما سنرى لاحقا. القليل من الوثائق المكتوبة المتوفرة، التي من شأنها أن تسمح لنا بدراسة العلاقات بين النواحي داخل المنطقة الأولى، خصوصا في الفترة من 1954 إلى 1957، للأسف، غير موجودة أو غير متاحة، الشيء الذي يفسر أهمية قراءة هاتين الرسالتين (نشرهما محمد حربي) ¹⁵⁴ باهتمام بالغ، من أجل فهم أحسن لشخصية عباس وأفكاره.

153. مذكرات الرائد عثمان سعدي، الجزائر، دار الأمة، 2000، ص 104.

154. Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, *Le FLN, documents et Histoire : 1954-1962*, Paris, Fayard, 2004, p. 455.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

الرسالتان المحررتان أصلا باللغة العربية (ترجمتا إلى الفرنسية وتم إعادة ترجمتهما في هذا الكتاب إلى العربية)، تتمثلان في نداءين وجههما عباس لغرور إلى مجموع نواحي الولاية الأولى، في بداية 1957.

الرسالة الأولى

« بسم الله الرحمن الرحيم

من منطقة أريس، كيمل و (غير مقروءة)، إلى إخواننا المجاهدين الذين نحييهم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من طرف أخيكم عباس وعدد من مسؤولي المجاهدين في الجبال والمدن وحتى في تونس.

كل هؤلاء المسؤولين يكافحون معي، جنبا إلى جنب، رفاق في الثورة، ضد العنصرية بكل قواهم وبثبات.

تعلمون أيها الإخوة، بأن المتمردين برفقتهم أشخاص غير مسؤولين شكلوا عصابات مسلحة لمحاربة النظام الثوري ورجاله.

يقاومون بطرق شيطانية لإخفاء أجواء الثورة.

أيها الإخوة، تعلمون أيضا أنه بعد عدة أشهر من الحرب ضد هذه الأزمة التي تزعزع ثورتنا. اغتالوا عددا من المجاهدين الأطهار والمسؤولين.

الثوار اليوم ضائعون، ولكن قريبا سننتصر بعون الله.

نحثكم اليوم على الوحدة، على النظام، وعلى العمل. سيصل إليكم الأخ مسعود القبائلي مع بعض المسؤولين، برفقة جنود الصلح، عليكم مساعدتهم.

السلام من أخيكم عباس وكل المسؤولين «.

محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

الرسالة الثانية

تاريخ غير محدد (نهاية 1956 - بداية 1957)

« أيها الإخوة، أنتم على علم بأزمة الثورة التي حرضها الاستعمار. لقد غادرنا جزء من المجاهدين الأطهار الذين ضحوا بأنفسهم. الحمد لله الذي كشف لنا وجهه الحقيقي. يجب أن نكون اليوم متحدين، نرفض الدعاية والتجسس، أن نواجه العدو في صف واحد، وتحت شعار الجزائر فوق كل شيء إلى الأمام! النصر للجزائر! النصر للعرب! تنظيم، طاعة، وحدة، عمل. »

إن قراءة هذين النداءين، تعطينا فكرة عن الروح الوطنية والوعي الكبير السائد بين المجاهدين في ذلك الوقت.

يظهر في المقام الأول الطابع الديني للرسالتين، فعباس كان رجلا تقيا، والإسلام كان المحرك الأساسي للثورة في توحيد وتجنيد الجزائريين. يجب هنا التمييز بين إسلام ذلك الوقت والإسلام السياسي الحالي المستعمل لأغراض سياسية، فقد كان الإسلام عامل توحيد من أجل قضية عادلة ولم يكن أبدا عاملا لتحريك الفتن بين الأفراد والجماعات والشعوب كما هو مستغل حاليا من طرف بعض الجماعات المتطرفة.

ثانيا : الدعوة للوحدة للتغلب على الأزمة، ضد « العنصرية » التي تعني بالتأكيد الجهوية والقبلية والعصبيات. كما هو معروف الوحدة هي أساس قوة الجماعات والشعوب، أما الأنانية، والقبلية والجهوية فهي عوامل الفشل والتفكيك والانحطاط، سواء للأفراد أو الجماعات أو الشعوب.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

ثالثا : الدعوة إلى الوحدة والتنظيم لدحر قوة كالقوة الفرنسية أو مواجهة كل تحدٍ آخر، « من أجل هذا يجب أن نكون متحدين منضبطين »، والتنظيم هو العمود الفقري لكل عمل، لا شيء يمكن أن يكون فعالا من دون نظام وانضباط، مما يعني عدم العمل في الغموض والفوضى، أي في حالات الاضطراب والانقسام. العمل، اليقظة والحذر من الدعاية ومن التجسس، كلها تبين كيف كان قادة المنطقة الأولى على أهبة الاستعداد، يقظين ضد أي اختراق من طرف العدو.

يمكن الملاحظة أنه بالرغم من الإمكانيات التي حشدت، لم تتمكن مصالح التضليل الفرنسية من اختراق الثورة في جبال الأوراس-النمامشة، على عكس حال بعض الولايات، بالخصوص الولاية الثالثة (لابلويت).

رابعا : الدعوة إلى التعاون مع قوى السلام، يظهر النوايا والانفتاح والاستعداد لكل إجراء سلمي لتسوية النزاعات. تجنب عباس دائما الصراعات بين الإخوة وكان يفضل الحوار. تؤكد الشهادات أنه حين اعتقاله وحبسه بأمر من CCE وبورقيبة، رفض عدة اقتراحات لمحاولة تحريره، ففي شهادة لعبد المالك بومعيزة، المجاهد ورفيق عباس، ذكر لي أنه مع مجموعة من رفاقه نظموا عملية لتحريره (عباس) بمساعدة حارس، لكن عباس رفض، قال لي : « عباس ليس من نوعية الرجال الذين يفرون ».

كما أن طالب العربي الذي كانت بحوزته قوة هامة من المحاربين أراد تحرير عباس من سجنه التونسي بالقوة، لكن عباس رفض، لأنه لم يكن يريد صراعا بين الإخوة التونسية والجزائريين.

في شهادة مطولة في جويلية 2012، لأحمد فاضلي الذي كان طالبا في الزيتونة في تونس، وهو أحد أوائل الصحفيين بالإذاعة الجزائرية بعد الاستقلال، ذكر أنه زار عباس في معتقله ككثير من الطلبة والمناضلين المقيمين بتونس

محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

أو العابرين . حدثني بالتفصيل كيف تمكن من زيارته، فقد استفاد من تواطؤ من داخل الفيلا التي اعتقل فيها عباس . روى فاضلي كيف أملى عليه عباس رسالة، نقلها إلى طالب العربي، هذا الأخير أراد التدخل بالقوة لتحرير عباس . يروي فاضلي : « عباس كتب لطالب العربي طالبا منه "عدم استعمال القوة لتحريره، تجنبنا لإراقة الدماء بين الإخوة التوانسة والجزائريين، وتأزيم العلاقات بين بورقيبة ومثلي الثورة، فهو ينتمي إلى النظام، وسلم نفسه عن طواعية للنظام، وأنه ابن النظام ولن يخرج من ذلك المعتقل إلا بأمر من النظام، وأنه على استعداد ليخضع للمحاكمة" » .

فاضلي أحمد تنقل إلى الرديف (مدينة تقع على الحدود الجزائرية التونسية)، وسلم الرسالة إلى طالب العربي الذي أعرب عن أسفه لأمر عباس . كما ذكر أن طالب العربي كان متأكدا من أن عباس سيغتال . يذكر فاضلي أسماء الشهداء عن الرسالة: سي عمار موساوي، وجمال قنان، والطاهر بن عيشة .

خامسا : الدعوة إلى « الجزائر فوق الجميع »، « النصر للجزائر »، ولكن أيضا « النصر للعرب » . يلاحظ أن النضال من أجل تحرير الجزائر يرد قبل أي اعتبار آخر. دون أن ينسى التضامن مع الشعوب العربية التي كانت تقاتل آنذاك ضد احتلال فلسطين . فقد كان عباس واعيا بالحرب الإسرائيلية - الفلسطينية عام 1948 كمعظم الجزائريين، وخصوصا العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 .

• ماذا كانت تعني ألفاظ : جزائري، مسلم، عربي، في ذلك

الوقت ؟

هذا النوع من التفكير قد يبدو متجاوزا بالنسبة للوضع الحالي المتميز بانكفاء دول وشعوب وفئات اجتماعية وأفراد على أنفسهم، لكن يجب أن

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يوضع في سياقه الزمني، لما كان للفظي « عربي »، « مغاربي » دلالات عن الانتماء الثقافي والاجتماعي والسياسي. فالحركات الوطنية المغاربية كانت حركات وحدوية، خلافا للوضع الحالي المتميز بالصراعات الهامشية المفتعلة أو المفبركة التي تهدف أساسا إلى التشتيت لإجهاض أي مبادرة لظهور نهضة اقتصادية علمية وثقافية في البلدان المغاربية الثلاثة.

التحليل التالي للمناضل والوزير السابق بلعيد عبد السلام يوضح لنا أفكار مناضلي الحركة في الأربعينات. في حوار مطول صدر له في كتاب¹⁵⁵، أجراه معه كل من علي الكنز ومحفوظ بنون، أجاب بلعيد عبد السلام على سؤال عن الغليان الفكري والسياسي في سنوات الأربعينات، وهل له بعد عربي : « آه، بالتأكيد، عندما نتحدث عن الوطنية، الوطن الجزائري... كنا نشعر بالتضامن مع جميع الدول العربية والإسلامية، في الغالب، كان مضمون الوطنية الجزائرية هو العروبة والإسلام. أردنا جزائر، ولكن جزائر لها شخصيتها الخاصة بها، متميزة بانتمائها للعالم العربي والإسلامي، وطبيعيا كنا جميعا نحس بالتضامن مع بعضنا البعض... »

وردا على سؤال آخر : ما معنى ألفاظ، عربي، جزائري، مسلم ؟ رد بلعيد عبد السلام : « جزائري، عربي، مسلم، في أذهاننا، كانت مفاهيم لا نميز بينها بسهولة، بلا شك بعد ذلك، مع نضجنا، وصلنا إلى تحليل هذه المفاهيم، كنا ننظر باتجاه الشرق، إلى المغرب، إلى تونس، في هذه البلدان برزت حركات مماثلة لحركتنا، حركات شعرنا بالتضامن معها، اعتبرنا حزب "الدستور" في تونس هو "حزب الشعب الجزائري"، وحزب "الاستقلال" في المغرب هو

155. Bennoune Mahfoud-Ali El Kenz, *Le Hasard et l'histoire*, Alger, ENAG, 1990, p. 30.

محرابة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

"حزب الشعب الجزائري" ... ولما علمنا أن هناك في مصر دولة وملكا ذا سيادة وجيشا له ضباطه، بزاته، علمه، الخ...، أعطانا ذلك شعورا بقدره العرب على أن تكون لهم دولة، هذا يبدو الآن مثيرا للسخرية، ولكن في ذلك الوقت، كان تحقيقا للأمل». أما الآن للأسف فقد تبعثرت الأفكار وتشتت الآمال وتفاقت الصراعات الهامشية المفتعلة، وهذا لا يبشر بمستقبل زاهر لمنطقتنا. مهما يكن حكمنا على مستوى كل من التحرير والمحتوى في النداءين السابقين، فإن النقاط الواردة فيهما جد مركزة وذات معان قوية، تبين إلى أي مدى كان عباس لغرور فوق كل الاعتبارات القبلية أو الجهوية، وأن الوحدة الوطنية كانت أساسية بالنسبة له. الرسائلان تكشفان أيضا يقظته في مواجهة الوسائل الشيطانية التي يستخدمها العدو.

كان عباس رجل حوار أيضا، فأثناء عملية اعتقاله أمر المجاهدين من حوله بعدم التدخل لمنع اعتقاله، فهو لم يعتقل، بل سلم نفسه طواعية للنظام (التنظيم أي مسؤولو الثورة). قال أنه ابن النظام وعليه أن يخضع له، لقد كان يؤمن بالحوار.

كان منقادا باستقامته، بثقته في نفسه وصدقه. اعتقد أنه سيقنع وسيقبل، لكنه كان مخطئا، فقد وجد نفسه أمام رجال أعمتهم السلطة، رجال أرادوا تصفيته صراحة وببساطة ونجحوا في ذلك، لقد كان يزعجهم لأنه كان رمزا.

• الصراعات الداخلية، أسباب ونتائج

كانت نتائج المشاكل التي ظهرت في المنطقة الأولى مأساوية، تميزت بتصفية وتحييد عدد كبير من المجاهدين، ومن كبار إطاراتها، كما تمت تجزئتها جغرافيا فيما بعد، ثم تشتت مجاهديها الذين حوّلوا إلى ولايات أخرى

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

للجهاد فيها ورغبة في التخلص منهم. أصبحت الولاية الأولى مسرحاً لأصدقاء مختلف الصراعات التي بدأت في مواقع أخرى وفي مكاتب وفنادق فخمة في تونس والقاهرة والمغرب وأوروبا، بينما رجال الداخل من قادة ومجاهدين يعانون من الحصار اليومي للقوات الفرنسية ومن غياب الأسلحة وندرة المواد الغذائية.

الانشقاقات وحركات المعارضة « التمرد » التي ظهرت وتفاقت، في نهاية 1956 وحتى الاستقلال، هي حسب القراءات المختلفة نتائج طبيعية للأحداث التالية :

– التسرع في القرارات الأحادية الجانب الصادرة عن المجتمعين يوم 20 أوت 1956، في غياب أجزاء هامة من قيادة الثورة، سواء أثناء صياغة القرارات أو أثناء المناقشات (إن كانت هناك مناقشات).

– مركزية القرار التي أسسها لقاء الصومام أدت إلى « مركزية الثورة » مما نتج عنه تأثيرات سلبية على قادة الداخل متمثلة في صعوبة الاتصال وبالتالي صعوبة اتخاذ القرارات. علما أن مركزية القرار وبيروقراطية إدارة الثورة لا تتناسبان مع نوع الحرب ضد القوات الفرنسية التي هي بالدرجة الأولى حرب عصابات تحتاج إلى قرارات آنية وسريعة تتماشى وظروف اللحظة.

– اختراق قيادة الثورة من طرف عملاء لصالح أجهزة السلطة الاستعمارية الفرنسية أدت إلى بلبلة وشكوك داخل صفوف بعض القادة.

– الصراع على السلطة بين الوفد الخارجي وقادة مايسمى بالداخل، بدأ لما قرر « المترددون » – أو الذين لم يكونوا مع العمل المسلح، من مختلف المشارب (العلماء، PCA, UDMA، المركزيون) – الانضمام إلى المبادرين بأول نوفمبر 1954 وتنظيمهم ALN، وFLN.

محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

جبهة التحرير لم تقبل أي تيار سياسي في داخلها حفاظا على وحدتها ووحدة العمل المسلح، فالانخراط كان بشكل فردي، لكن التضامن بين الأفراد المنحدرين من نفس الحزب أبرز اتجاهات مختلفة (يمكن للفرد بسهولة الالتحاق بحزب سياسي، ولكن لا يمكنه تغيير أفكاره بنفس السهولة). هذه الانتماءات أثارت بداية صراع عنيف من أجل السلطة.

بعد إطلاق سراحه في شهر مارس 1955، حاول عبان رمضان بتأثيره على ل.ت.ت ونجح في عزل بوضياف وبن بلة لإتمام مشروعه الوطني تبعا لرؤيته واستراتيجيته. بعد اجتماع 20 أوت 1956، ازدادت الخلافات، ف« بوضياف » الذي كلف بتنسيق جهود الحرب على المستوى الوطني لم يعد إلى الجزائر منذ أول نوفمبر 54. قادة الداخل كانوا نوعا ما مشوشين البال، الشيء الذي دفع بن مهدي إلى القول أن بوضياف « يجرجر سيادة جبهة التحرير الوطني كحذاء مهترئ »¹⁵⁶.

مثلما كان مقررا في اجتماع 22، كانت كل منطقة تتمتع بالاستقلال الذاتي، يتصرف المسؤولون فيها وفقا لظروف الزمان والمكان، أما التنسيق بينهم فكان قليلا الاتصالات منعدمة أو فلنقل أنها تستغرق زمنا طويلا. في تصريح للمرحوم بن طوبال تمت إذاعته في 1 نوفمبر 2015 يقول فيه : « كانت الاتصالات منعدمة بين الولايات، الاتصال الوحيد الذي يربطنا بفضل فرنسا هو سماعنا في الإذاعة أو الصحافة عن عمليات المجاهدين هنا وهناك ».

كانوا هم المسؤولين الأولين على كيفية تسليح وتنظيم المجاهدين الذين تزايد عددهم شيئا فشيئا، وكان ذلك بداية لصعوبات كثيرة ومختلفة تتمثل في التأطير والتسليح والتنظيم.

156. محمد حربي : نفس المرجع السابق.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

هل أساء المبادرون بالثورة تقدير مسار التوسع الذي ستأخذه هذه الحرب ؟
هل كان بعض المسؤولين المكلفين بالتنسيق بين الداخل والخارج قليلي الفعالية ؟
هل لاستشهاد وتوقيف القادة الأوائل : ديدوش مراد، مصطفى بن بولعيد،
زيغود يوسف، وتوقيف رابح بيطاط، أسباب كافية لتفسير هذا النقص في
التنسيق ؟

هل القيادة الجديدة للثورة والمنبثقة من الصومام هي محور كل هذه
الصراعات ؟

هل محاولات المصالح الفرنسية : مفاوضات سرية، إطلاق سراح بعض
المعتقلين، اعتقال واغتيال آخرين، لها تأثير ؟

كان من المفترض أن يقدم لقاء الصومام للثورة، وحدة في القيادة السياسية
والعسكرية في ظل استقلالية الولايات ولكنه كان في الواقع شبه « انقلاب »
أو انقلابا على المبادرين لثورة نوفمبر حيث أنشأ قيادة جماعية جديدة بعناصر
جديدة، معظمهم لم يكونوا يؤمنون بالعمل المسلح، وتمركزت السلطة
بيديهم، مما تسبب في فتنة داخلية قاسية لم تنته إلى يومنا هذا.

القيادة التي انبثقت عن هذا اللقاء تصرفت كمحام وقاض، أدانت بشكل
تعسفي وباستغلال سلطاتها الجديدة، الرموز والإطارات المثقفة للثورة، على
أفعال ارتكبت قبل وجودها هي نفسها. هؤلاء « الكوادر » كانوا يتصرفون
في الميدان، أخذوا زمام مبادرات وأصدروا قرارات داخل مناطقهم، كما كان
مقررا في أول نوفمبر 1954. لم تكن لديهم الوسائل للجوء إلى سلطة عليا
غير موجودة تماما أو غائبة عن ساحة الثورة، ولم يكونوا ملزمين بذلك ؛ لأنهم
في ذلك الوقت كانوا هم السلطة العليا نظرا لدورهم الطلائعي ووجودهم في
البيدين داخل الوطن وخارجه .

محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

كان هؤلاء المجاهدون في ظروف القتال الصعبة، في مواجهة أوضاع عاجلة تتطلب اتخاذ قرارات فورية، في وقت لم ينضم بعد بعض هؤلاء القادة الجدد إلى الجهاد أو إلى صفوف الثورة !

قادة اللقاء قاموا أيضا بترقية رجال التحقوا حديثا بصفوف الثورة على حساب الرجال التاريخيين وبدون استشاراتهم.

على المستوى التنظيمي، اللقاء مركز القيادة، ووضع حدا لاستقلالية تمتع بها قادة المناطق الذين انتظروا حقا توحيدا لقياده، لكن مع استقلالية كبيرة للمناطق وذلك ما لم يتحقق.

لقاء الصومام حقا جمع - وهذا كان منتظرا - كل القوى السياسية الوطنية، التي لم تبارك العمل المسلح والتي كانت تنتظر ما سيؤول اليه هذا العمل لكن للأسف، على حساب القوة الأساسية وهي الوطنيون النوفمبريون. رغبة في السيطرة على كل المناطق، عجل اللقاء تسارع الأحداث وأثار ردودا معادية، كما رأينا سابقا، لاسيما في منطقة الأوراس-الناماشة، ليس فقط بسبب عدم مشاركتها في نقاشات وصياغة الأرضية، وكذلك عدم تناسق الأرضية مع بيان اول نوفمبر ولكن أيضا بسبب تهميش قادتها التاريخيين : عباس لغرور، عاجل عجول، شريط لزهو وآخرين من المناضلين القدامى في الحركة الوطنية الذين كانوا يمثلون الثورة في الخارج كبن بلة ومحساس وعبد الحفي. وتعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى الذي كان ينتمي لحزب مناهض للعمل المسلح علما أن هذا الأخير كان قد التحق حديثا بصفوف FLN، ALN ولا علم له بطبيعة المنطقة ولا برجالها. هذا ليس تشكيكا في وطنية كل هؤلاء الذين انضموا إلى الثورة وعززوها يوما بعد

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يوم . فالجزائر كانت ولا تزال بحاجة لجميع بناتها وأبنائها في كل وقت مهما اختلفت وسائلهم في النضال .

الأجهزة الفرنسية أبت إلا أن تجهض هذا الزخم الثوري وهو أمر طبيعي تماما في منطقتها، الذي هو منطق الحكومة الفرنسية التي تعتبر أن الجزائر هي فرنسا .

كل الوسائل استخدمت : الجهوية، والقبلية، والتفرقة العرقية للمجتمع، ثم التضليل، والاختراق لزرع الفتنة بين المجاهدين والمسؤولين في الأوراس-الناماشة .

إن استسلام المجاهد الكبير عجول، سببته تصرفات ممثل لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة من لقاء الصومام، وزرع الشك من طرف عمر بن بولعيد حول دور مزعوم لعجول في استشهاد بن بولعيد، المغتال من طرف الأجهزة الفرنسية . هذه الدعاية كانت بسبب الصراع حول استخلاف بن بولعيد . هذا الصراع الذي كان على وشك الحل حسب ما جاء في تقرير ولاية خنشلة . حسب استجواب عجول من طرف السلطات الفرنسية صرح بانه علم باستشهاد بن بوالعيد بعد شهر ونصف من تاريخ استشهاده حسب ما صرح به له بن شايبة الذي كان جريح في جبهته والذي جاء بصحبة قاسمي محمد بن مسعود الذي استدعي من طرف عجول . هذا التصريح قد وبدون شك يرفع الشكوك التي لا تزال تتهم عجول بضلوعه في ظروف اغتيال بن بوالعيد

• إدانة الفعل أو رد الفعل ؟

فيما يتعلق بالجهوية والقبلية التي وسمت بها غالبا الأوراس-الناماشة، يلاحظ محمد حربي : « إن تعيين عميروش استغل من قبل المعارضين للجنة

محااربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

التنسيق والتنفيذ، حيث أثار النزعات الجهوية. توقع ذلك العقيد أوعمران، كما يتضح من تقرير CCE، المؤرخ في 8 مارس 1957، حيث اقترح أوعمران اسم سي امحمد (العقيد سي امحمد، قبائلي الأصل، لم يكن يحسب من رجال فصيل كريم) لقيادة ولاية الأوراس-الناماشة، بدلا من عميروش، وذلك حتى لا نكرس الدعاية التي يروجها بعض من ذوي الخلفيات السيئة عن استيلاء القبائل على قيادة ALN جيش التحرير.

هذه الدعاية موجودة في تونس وفي الحدود، ويمكن أن تتعزز بتعيين عميروش، هذا الأخير متفق مع رأي أوعمران¹⁵⁷.

من يا ترى يؤجج ويحيي الهويات الجهوية؟ أليست التعيينات السابقة الذكر جهوية؟ لماذا هذا الوصف « بدوي الخلفيات السيئة »؟ هل هم « ذوو خلفيات سيئة » فقط لأنهم كشفوا الحقيقة والواقع في الميدان؟ أي الجهوية. محمد حربي يضيف: « ما فشل فيه جاك سوستال وجان سيرفيبي، أي بث التفرقة بين الجزائريين باستعمال السياسة العرقية، سيروج له الجزائريون بنجاح » وله الحق في ذلك. الجهوية التي حرمت وحوربت من طرف زعماء الحركة الوطنية ثم بعد ذلك من طرف القادة الأوائل للثورة الذين تربوا في أحضانها، أسسها بعض القادة الذين كانت في الواقع مهمتهم الأساسية التنسيق وتوحيد صفوف المجاهدين. لكن القادة الجدد أسسوا لها واستخدموها لأغراض سياسية سلطوية. واستعملوا الجهوية على جميع الأصعدة بما في ذلك التكفل بالمنح الدراسية. حسب العديد من الشهادات من بينها شهادة المناضل منور مروش.

157. Mohamed Harbi, Complot Laamouri in *La guerre d'Algérie et les algériens 1954-1962*, Paris, Armond Colin, 1977.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

يضيف محمد حربي : « الخصومة التي نجدها في خطاب "عمر بن بولعيد" و"عبد الله نواورة" بين القبائل والشاوية، تستخدم في إخفاء الطبيعة الحقيقية للمشاكل الجزائرية، التي هي بدرجة أساسية سياسية وليست جهوية... حتى إذا حدث تسابق الاستقطابات وطنية و جهوية، فإنه من الأحسن تجنب الخلط بين النتائج والأسباب وإسقاط موقف شخصي جهوي لقائد ما على جماعة بكاملها ». ينتقد حربي عمر بن بولعيد ولعموري بتبني خطاب خصامي شاوي-قبائلي، ولكن ما ذكره سابقا، يفسر أن هذا العداء أو الخصومة سببه تعيين قادة قبائل على رؤوس عدة ولايات. فمن هو الجهوي ياترى ؟

إذن، ما الذي يجب إدانته « الفعل » أم « رد الفعل » ؟ السبب أو المتسبب ؟ بالتأكيد من الأحسن أسلوبا تجنب الخلط بين النتائج والأسباب، لكنه ولسوء الحظ، كثير من الكتابات تدين النتيجة قبل تحليل السبب الذي أحدثها. هذا شأن الكثير من الكتاب الذين يفسرون الأزمات التي عاشتها الولاية الأولى دون تحليل عميق، متناسين الأسباب الحقيقية التي تتمثل في اغتيال قادتها وإقصاء العديد منهم، بالإضافة إلى ممارسة الجهوية والعشائرية والمحسوبية على جميع المستويات.

• المشهور والمغمور

للأسف، الأحداث الكبرى وشخصيات الثورة التي لعبت الدور الأول ما تزال مجهولة تماما أو يُعرف القليل عنها، لأسباب مجهولة. هناك أبطال ورموز للثورة مجهولون حتى في دواورهم ! هناك أيضا أحداث تاريخية هامة وضعت في خانة النسيان كإكتشاف المقبرة الجماعية (1300 وفاة) في خنشلة سنة 1982، لماذا تطمس هذه الجريمة الشنعاء ؟ من المفروض أن يُحتفى

محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري

بذكراها وطنيا كل سنة، لكن تم غمرها وأكاد أقول انها حذفت من الذاكرة الجماعية. معارك وجرائم عديدة لا نجد لها آثارا إلا في المجلات أو الكتب الفرنسية. فبالنسبة لبعض المجاهدين ومناضلي الحركة الوطنية بالتأكيد هناك صفحات سوداء في تاريخ ثورتنا، لكن ينبغي أن نعرف أن الحركات الثورية لا تفلت من التدمير الذاتي، هذه الظاهرة مست العديد من الثورات في العالم والأمثلة كثيرة.

الثورة الجزائرية لم تسلم من هذه الظاهرة المؤسفة التي صفت العديد من المجاهدين والقادة الثوريين لأسباب معظمها لم يكن نتيجة للتعاون أو التواطؤ مع العدو. البعض منهم هُمشوا وهم على قيد الحياة، لذا يجب أن نعيد الاعتبار ونعطي لهؤلاء المجاهدين مكانتهم في التاريخ، هذا فرض وواجب علينا جميعا، وهو أقل ما يمكن القيام به.

للأسف نعيش زمنا تقاس فيه شهرة الأحداث والشخصيات في جميع المجالات، غالبا، بطول عناوين الصحف والحصص التلفزيونية والجدل المثار حولها... جدل كثيرا ما يكون هدفه الإثارة وجلب القارئ أو المشاهد، وفي كثير من الأحيان يكون هداما أكثر منه بناءً.

للأسف، النزعة السائدة عند بعض الأشخاص الراغبين في العُلا هي تحطيم الآخر والاستنقاص منه وتغييبه، بينما يتم بلوغ العُلا بالنسبة للآخرين عبر السمو إلى مستوى الآخر أو أعلى منه.

نلاحظ أيضا غياب الذاكرة المادية، أي المعالم التاريخية، وإن وجدت فهي تثير السخرية. كيف يا ترى تُسجَّل أحداث كبيرة ذات أهمية، يتطلب تسجيلها لأن تبقى قرونا من الزمن على لوحات من حديد بدهن يزول، وحديد يصدأ بعد نهاية فصل من فصول السنة، أو على قطع من الرخام مثبتة

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

بالإسمنت على جدار فتسقط أو تتشقق بعد سنة من تثبيتها. كما نلاحظ أن بعض تماثيل الأبطال بعضها مقزّم أو مشوّه. بهذه الطريقة يصبح كل شيء عندنا هشا : الذاكرة، التاريخ، الفرد ثم في النهاية المجتمع والدولة.

• إعادة الرفاة

كان لزاما انتظار ربع قرن بعد الاستقلال لإعادة رفاة عشرات الشهداء المدفونين بالخارج، لاسيما بتونس، إلى وطنهم، ومن بينهم : عباس لغرور، عبان رمضان، لعموري، نواورة، عثمانى التيجاني، شريط لزهري، حوحة بلعيد، السعيد عبد الحلي، محمد منتوري، آيت زاوش حميمي،... (انظر صورة حفل إعادة الدفن). تم هذا في فترة الشاذلي بن جديد.

دفن عباس لغرور بمقبرة العالية بالجزائر إلى جانب الرموز الكبيرة لتاريخ المقاومة والثورة الجزائرية : بن مهدي العربي، سي الحواس، عبان رمضان، محمد بوضياف، عبد القادر، فاطمة نسومر... عدد من المؤسسات تحمل اسمه، منها السكنة التي كانت تحمل اسم أول ضابط من جيش الاستعمار (دارنو) الذي قتل في أول نوفمبر 1954، الثانوية الأولى في مدينة باتنة التي درست باللغة العربية (1963)، ثانويات، متوسطات، مدارس في الجزائر العاصمة، جامعة خنشلة، قرية عباس لغرور في ولاية أم البواقي، شوارع في عدة مدن جزائرية.

خاتمة

سارت الجزائر على مسارات، بعضها ناجح والبعض منها فاشل، لقد أنجز الكثير مقارنة بالمرحلة الاستعمارية والقليل مقارنة بإمكاناتنا المادية والبشرية.

بعد أن واجه الشعب الجزائري أبشع الحروب الاستعمارية خلال منتصف القرن الماضي، وجد نفسه أمام أبشع صور الإرهاب خلال العشرية الدموية السوداء التي واجهها الجزائريون والجزائريات بكل شجاعة، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من بناتها وأبنائها، وحطم اقتصادها. لقد استنزف وطننا بشريا واقتصاديا، وأقول معنويا وهو مطلقا أخطر استنزاف. لكن بقي الشعب واقفا بفضل نسائه ورجاله. مع ذلك فقد أصاب الإحباط جزءا كبيرا من المجتمع الجزائري.

السؤال : لماذا هذا الإحباط رغم ما نملك من ذخيرة مادية، ثروة في باطن الأرض، وذخيرة معنوية هي نجاحنا أمام أكبر قوة استعمارية ؟
مع أن الجيل الجديد يعيش في ظروف لا يمكن مقارنتها بما عاشه وعاناه آباؤهم وأجدادهم، فإنه يتساءل ومن حقه، عن الصراعات الأخوية أثناء ثورة التحرير، وعن المجاهدين المزيفين، وخصوصا عن مآل ثورة نوفمبر، التي طالما مجدت. ويتساءلون عما إذا لم تكن هناك خيانة لروح الشهداء.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

شبابنا ليس الوحيد الذي يتساءل . فنحن أيضا، الجيل المخضرم نتساءل، ورغم ما تحقق من إنجازات وتحسن في المستوى المعيشي للشعب الجزائري، نتساءل حول ما آلت إليه الثورة من نتائج، وما هو سبب الإحباط الذي أصاب الجميع . هذه التساؤلات موجودة حتى لدى رجال الثورة، والتي يلخصها المجاهد عبد الرزاق بوحارة في كتابه : « كيف يمكن لبلاد مثل بلادنا، التي كانت في طليعة الكفاح من أجل الحرية والعدالة، ومرجعا للمعركة ضد الاستغلال والتخلف، وكانت تفتخر بمشروعها السياسي وبثورتها العظمى، وبلاد كانت في مقدمة الحركة العالمية من أجل إقامة علاقات دولية ديمقراطية . كيف يمكن لمثل هذه البلاد أن تعرف، في عشرات السنين، مثل هذه الخيبة وهذه الإخفاقات، ومن الحلم إلى زوال الأوهام ؟ كيف نفسر تحول منطق النصر الذي جند الجزائريين وقتنا طويلا ليخوضوا معركة الكفاح من أجل الاستقلال والتنمية، إلى منطق الاستسلام الذي يمكن أن يجعل البلاد تتراجع وأن يضعف سيادتها الوطنية التي استرجعتها بفضل تضحيات جسام ؟ ويمكن لكل واحد منا أن يتساءل اليوم : لماذا وجدت شبيبتنا نفسها فجأة حائرة بدون مرجعيات، وقد كانت بالأمس مجندة ومتحمسة ومتطوعة ومتحفزة ؟ نتساءل لماذا فشلت الحركة التي مكنت شعبنا بتأكيد سيادته الوطنية من تحقيق السيادة الشعبية ؟ وبكل اختصار، لماذا أهمل إنجاز كبير في حجم الثورة التي فجرها شعبنا في الفاتح من نوفمبر 1954 ؟ ألا تدعونا مثل هذه التساؤلات، في النهاية، إلى إعادة دراسة مفهومنا للوطنية، مع كل التمزق الذي يصاحب تأنيب الضمير في اللحظات الحرجة ؟ » .

فهل باستطاعة الجيل الجديد استرجاع الثقة وإعادة ثورتنا إلى مسارها الأول بالرغم مما يعرفه العالم من تحديات وتهديدات خطيرة لوحدة بلادنا ؟ ذلك ما نأمله جميعا .

BIBLIOGRAPHIE

- Mohamed Abbès, *Forssène El Houria*, Alger, Dar Houma, 2001.
- Charles Robert Ageron (sous directions), *La guerre d'Algérie et les Algériens 1954-1962*, Paris, Armand Colin, 1997.
- Arezki Basta, *Les tragiques vérités qui n'ont pas été dites sur la Révolution algérienne*, Alger, Arkanes, 2011.
- Erwan Bergot, *Bigeard*, Paris, Librairie Académique Perrin, 1988.
- Selem Boubeker, *Récits de feu* (Témoignages), Alger, SNED, 1977.
- Abderezak Bouhara, *Les viviers de la libération* (version arabe), Alger, Casbah, 2006, p. 340 (version française, Casbah, 2001).
- Serge Bromberger, *Les rebelles algériens*. Paris, Plon, 1958.
- Yves Courrière, *L'heure des colonels*, Paris, Fayard, 1970.
- Djameleddine Derdour, *De l'Etoile Nord-Africaine à l'indépendance : Itinéraire d'un homme politique*, Paris, L'Harmattan, 2002, p. 100.
- Dominique Farale, *La bataille des Monts Nememchas, Algérie 1954-1962 : Un cas concret de guerre subversive et contre-subversive*, Paris, Economica, 2004.
- Ania Francos et Jean Pierre Séréni, *Un Algérien nommé Boumediène*, Paris, Stock, 1976.
- Amar Ghazali, *Fragments de mémoire*, Alger, Palais du Livre, 2003.
- Mostefa Haddad, *L'émergence de l'Algérie Moderne*, 2001, t. I et II (imprimé à Batna à compte d'auteur sur les presses A. Guerfi).
- Mohamed Harbi, *L'Algérie et son destin, croyants ou citoyens*, Strasbourg, France, Médias Associés, 1994.

- Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, *Le FLN, documents et Histoire : 1954-1962*, Paris, Fayard, 2004.
- Alistair Horne, *Histoire de la guerre d'Algérie*, Paris, Albin Michel, 1980.
- Henri Jaquin, *La guerre secrète en Algérie*, Paris, Olivier Orban, 1977.
- Mohamed Lebjaoui, *Vérités sur la Révolution algérienne*, Alger, ANEP/Paris, Gallimard, 1970.
- Mohamed Larbi Madaci, *Les tamiseurs de sable, Aurès-Nememcha 1954-1959*, Alger, SNED, 2002.
- Bennoune Mahfoud/Ali El Kenz, *Le Hasard et l'Histoire : Entretiens avec Belaid Abdessalem*, Alger, ENAG, 1990, t. 1, p. 135.
- Ahmed Mansour, *Le président Ben Bella dévoile les secrets de la révolution algérienne*, Beirut, Liban, Arab Scientific Publishers, Inc. SAL, 2007.
- Ammar Mellah, *Etapes dans la révolution de novembre 1954*, Aïn M'lila, Algérie, Dar El Houda, 2004.
- Mostefa Merarda (Commandant Bennoui), *Sept ans de maquis en Aurès*, Aïn M'lila, Algérie, Dar Elhouda. 2004.
- Claude Paillat, *Dossier secret de l'Algérie*, Paris, Presse de la Cité, 1962.
- *Mémoires du commandant Athmane Saâdi*, Aïn M'lila, Algérie, Dar El Houda, 2000, p. 137.
- Tahar Saïdani, *La base de l'est, cœur battant de la révolution*, Alger, Dar El Ouma, 2001.
- Jacques Soustelle, *Sur une route nouvelle*, Courlay, France, Fuzeau, 1964.
- André Roger Voisin, *Intox et coups fourrés pendant la guerre d'Algérie*, Turquant, France, Cheminement, 2008.
- Abdelhamid Zouzou, *L'Aurès au temps de la France Coloniale : Evolution politique, économique et sociale (1837-1939)*, Alger, Dar Houma, 2001.
- Mohamed Zeroual, *El Mememchas dans la Révolution*, Alger, Dar Houma, 2003.
- Historia Magazine, « La guerre d'Algérie », t. 1 à 8.

الملاحق

الملاحق



FILIAISON : Père de C. H. Mohamed Ben Assar et de C. H. Mohamed Ben Ahmed.

DATE : 1925.

AGE : 17 ans (C. H. de KHERCHELA).

PRENOM ET NOM :

SIGNALEMENT : Taille 1.72 - Yeux gris - Teint pâle - Petite moustache - Porterait actuellement la barbe entière.

SERVICE MILITAIRE : N'a pas servi, ayant été blessé.

SITUATION DE FAMILLE : Marié, père de 3 enfants. Père de l'épouse : GAZIA.

SITUATION PÉCUNAIRE : Est propriétaire de plusieurs propriétés. Possède ENCHELA.

ÉTUDES : Lettres en Français et en Arabe.

ACTIVITÉS PROFESSIONNELLES : Travaillait en qualité de cuisinier chez l'Administrateur Chef de la C. H. de KHERCHELA, qui l'a renvoyé fin 1952, officiellement pour indolence, en réalité à la suite de la découverte de son appartenance à la Cellule clandestine P. C. H. de KHERCHELA.

ATTACHEMENTS POLITIQUES : Responsable de la Section P. C. H. de KHERCHELA.

ACTIVITÉS DANS LA RÉBELLION : Participation à l'organisation de la rébellion et à l'attaque de ENCHELA dans la nuit du 31 Octobre au 1er Novembre 1954 où furent assassinés le Lieutenant BARNAUD (C. H. de l'Armée) et le commandant MARQUEL.

- À la suite de ces attentats il gagna le maquis, où il devint un des principaux Chefs de la Zone.

- Le 2 Septembre 1955, il participait à une Réunion tenue par les Chefs rebelles à la limite des Zones FARSA et CHELLA.

- En ce moment du mois de Septembre 1955, il faisait partie d'un Groupe rebelle, qui devait

بطاقة اعدت من طرف المصالح الفرنسية نهاية 1955

اللقب والاسم : لغرور عباس .

الانتماء العائلي : ابن محمد بن عمار ولتيم العطرة بنت محمد .

تاريخ الميلاد : 1925 في دوار انسيعة (حوز خنشلة)

معلومات مختلفة :

علامات خصوصية : القامة 1.72 م - لون العينين بني - يحمل شنبات صغيرة - يكون حالياً بـذقن كامل .

الخدمة العسكرية : لم يؤديها فقد اجلت .

الحالة العائلية : متزوج وله ثلاث اطفال . اسم الزوجة قمر .

الوضع المادي : يملك عدة اراضي في دوار انسيعة .

المستوى التعليمي : مثقف بالفرنسية والعربية .

السوابق المهنية : عمل كطباخ عند حاكم مدينة خنشلة الذي طرده نهاية 1952 رسمياً لقلعة الباقية ، في الحقيقة بسبب اكتشاف انتمائه الى الخلية السرية لحزب الشعب لمدينة خنشلة .

السوابق السياسية : مسئول قسمة حزب الشعب بخنشلة .

نشاطه في حركة التمرد : شارك في تنظيم التمرد وفي الهجوم على مدينة خنشلة في الليلة بين 31 اكتوبر و اول نوفمبر 1954 ابن اغتيال النقيب « دارنو » (قائد الثكنة) والعسكري « ماركي » .

بعد هذه العمليات التحق بالجناب ابن اصبح احد القادة الاساسيين في منطقة الجنوب .

في 2 سبتمبر 1955 شارك في اجتماع القادة المتمردين في حدود دوار تامزة و شيليا .

خلال شهر سبتمبر 1955 كان عضواً في مجلس قضاء المتمردين الذي اصدر حكماً بالاعدام على الخارج عن القانون « بوساحة الهادي » من دوار « مقادة » .

بالتنسيق مع عجول عجال اغتال شيجاني بشير المدعى سي مسعود والمدعو الشيخ . وكذا شامي محمد مسئول على التوالي على « الادارة العليا » لجيش التحرير الوطني وعلى منطقة تبسة نهاية اكتوبر 1955 في « الحجاج » (واد العرب) . نجح في اخفاء هذا الاغتيال السري لمدة اكثر من شهر واستمر باستعمال اسمه في وثائق جيش التحرير الوطني مرقونة كلها بالعربية . منذ ذلك الوقت اصبح مسئول خنشلة - مورست - سوق اهراس حتى منطقة عنابة و القالة .

وثيقة صادرة عن المصالح الفرنسية سنة 1955

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

NOM PRENOM : SMIDA TAHAR
DATE ET LIEU DE NAISSANCE : 13 janvier 1933 à Gouraya
Wilaya de Tébessa.
FONCTION ACTUELLE : RETRAITE
DATE D'INCORPORATION A L'ALN : Janvier 1955
LIEU : WILAYA 1
FONCTION : CONTROL GENERAL AUX FRONTIERES
BASE : THALA -TUNISIE.

TEMOIGNAGE HISTORIQUE :

SUR EVENEMENT DONT J'ETAIS TEMOIN :

J'apporte mon témoignage en toute liberté et avec toute la sincérité sur les faits que je rapporte et que j'ai vécus personnellement.

En ma qualité de contrôleur général aux frontières Tunisiennes, j'ai été contacté par Babana Saï et Abes Laghrour tous deux responsables de la Wilaya 1, pour assister à une réunion programmée à Tunis au niveau de la villa de Chérif Abdelmajid(d'origine Soufi) .

Une fois sur place j'ai été contacté par Abdelhaï soufi « responsable de la zone de Tunis, lequel nous a donné quelques explications sur l'objet de la réunion.

Les responsables invités à cette réunion ont été introduits à l'intérieur de la villa, je ne me rappelle leur nombre, mais il y avait parmi les invités Lazhar Djadri, et Babana Ssaï.

Au moment du commencement de la réunion Babana Saï m'avait recommandé personnellement d'exécuter toutes les instructions de Abes Laghrour, et m'a chargé de transmettre ce message à Ali Ben Ahmed Tekouki.

شهادة تبرئ عبّاس لغرور من مسؤوليته عن حادثة إطلاق النار في تونس

(المصدر : النمامشة في الثورة الجزائرية – محمد زروال)

الملاحق

Une fois les invités à l'intérieur de la villa, on a été au nombre de 6 priés d'aller diner dans un restaurant à Tunis.

Une fois de retour à la villa, on a appris que des incidents ont eu lieu entre les dirigeants de la Wilaya I, et qu'ils ont fait usage de leurs armes.

Abdelhaï m'avait informé que Abes Laghrour désirait me voir pour l'accompagner au Djebel Chaanbi afin de rejoindre son Bataillon.

Une fois sur place, on a reçu un ordre de Babana Saï pour arrêter Abes Laghrour.

En ma présence Abes Laghrour informé de l'ordre de son arrestation, avait réuni les Djounoudes du bataillon pour réunir 30 moussables, tous les Djounoudes étaient volontaires, il a sélectionné 30 qu'il a conduit lui même pour faire une embuscade aux convois militaires français, au niveau de Bhirat Bou Haya près du Djebel Chaanbi.

L'embuscade a été réussie avec succès, est la section est revenue avec des armes confisquées aux soldats français, à signaler que seul Abes Laghrour était légèrement blessé à la tête.

Devant témoins, il a fait deux prières de louanges à Dieu, et a confirmé qu'il avait souhaité mourir dans cette embuscade en tant que Chahid.

Après cette opération, il a décidé de se rendre aux dirigeants qui avaient donné l'ordre de son arrestation.

Sa dernière déclaration avant son départ « c'était ses regrets et sa grande désolation sur la blessure de Babana Ssaï lors des événements qui ont eu lieu dans la villa de Abdelkader Chérif, et il a rajouté qu'il comptait le désigner pour être le Chef de la Zone 6.

عبّاس لغرور من النّضال إلى قلب المعركة

De retour à Tunis, j'ai appris certains détails sur le complot de la villa, que les invités qui ont été rassemblés dans un salon, et un signal a été donné à Babana Saï pour sortir, mais il n'avait pas réagi, et il a été blessé par erreur selon mon analyse, car il y avait un accord total entre Abes Laghrour et Babana Saï qui n'était pas visé par cet événement.

J'ai appris que ce Complot a été préparé par Abdelkrim Hali, par Ahmed Rachdi, Kerrouch Ahmed, Brahim Soufi, et Mouldi Ben Ghozala..

Il est à signaler que Abdelhai était contre le complot , et surtout contre la blessure de Babana Saï.

Cette déclaration confirme les propos tenus par Abdelaziz sur ces événements

Ci-joints les copies de ma désignation en qualité de contrôleur :

- Décision de Ali Mahsas ALN et FLN
- Abes Lahroure ALN

الملاحق

N° 1442 RGC/R.T. CONSTANTINE, le 19 Septembre 1955

CONSTANTINE - 1/1/09E - D'INFORMATION -

P. R. G.

OBJET :

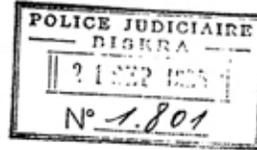
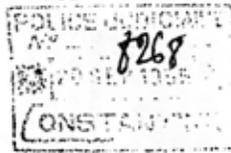
Interrogatoire du [REDACTED]
fait prisonnier [REDACTED]
et reprise dans la région
de Rénier (Oued-Zénati) le 2 Septembre
1955./

--- 0 0 3 0 0 ---

0

0

SECRET



Les déclarations faites par le Caporal-Chef [REDACTED] sur-officiers du S.R. de la Division de Constantine ont permis d'obtenir les précisions suivantes.

A - CONSIGNES GÉNÉRALES DONNÉES PAR CHIHANI Bechir dit "SI MESLAGUD" AUX GRUPELS CHABANI ET SI LAHCLINE (Caprobot et Sedrats).

Avant d'être dirigés des NEMLITCHAS sur les régions d'AIN-BLIDA, CARROBERT, AIN-FAROUN, MONTCALM, et SEDRATA, les bandes sous le commandement de CHABANI et de SI LAHCLINE avaient été rasées ensembles sur l'ordre de "SI MESLAGUD" et avaient reçu de lui les consignes suivantes :

Mission :

- 1°/ - recruter des hors-la-loi pour grossir les effectifs.
- 2°/ - récupérer auprès des populations civiles le maximum d'armes et d'argent.....
- 3°/ - propagande intensive pour rallier la population à la cause des rebelles.

.../...

وثيقة تلخص التعليمات العامة التي أعطاها بشير شيجاني لجماعة شعبان لغرور (أخ عباس) ولحسن مرير (عبد الرزاق بوحارة - ينابيع التحرير)

عباس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

Des conseils pratiques punctuaient cette mission :

- Dans les embuscades : se placer de telle façon à voir la troupe avant d'être vu.

- N'attaquer qu'à coup sûr et se replier rapidement dès les premiers résultats.

- Ne jamais attaquer de nuit ou le matin, mais de préférence en fin d'après-midi pour se réserver la possibilité de fuir en profitant de la nuit.

- A l'intérieur des groupes une stricte camaraderie de combat devra être la règle principale. Soulever les blessés. Récupérer les morts à tout prix. Sanctions sévères en cas de non observation.

- Au cours des déplacements, qui ne devront se faire en principe que de nuit, respecter les distances entre les hommes du groupe se garder en avant, et sur les côtés et sur les arrières.

- En ce qui concerne la propagande proprement dite : ne distribuer les tracts que lorsque le groupe quitte une mechta, afin d'éviter toute fuite possible pendant son séjour dans le Secteur.

- Interdire aux M.L.A. des Douars de fumer, de priser, d'aller dans les villes pour assister aux séances de cinéma.

- Pas de fêtes, pas de mariages, aucune réjouissance.

- Interdiction aux femmes d'utiliser le Henné (dont elles s'enduisent, comme chacun le sait, les cheveux, les mains et les pieds à chaque fête musulmane).

B - ATTITUDE DES REBELLES AUPRES DES HABITANTS DES DOUARS.

L'investigation d'une mechta ou le séjour des rebelles dans cette dernière est une opération fort simple qui peut se résumer de la façon

.../...

suivante :

.. Arrivée de la bande dans le courant de la nuit, au terme d'une étape.

.. On frappe chez un habitant, connu le plus souvent par les rebelles pour ses sympathies à la cause séparatiste.

- Tous les renseignements voulus sur les habitants sont pris auprès de cet énergumène : nom des sympathisants - non et attitude de l'Ouakaf - du garde Champêtre - etc....

On réveille ensuite un " riche " du coin et on lui donne l'ordre de mettre à la disposition du groupe gîte et nourriture.... de gré ou de force.

- Les hommes valides sont alors rassemblés dans une pièce par le Chef de groupe accompagné de son secrétaire (fqih). Le reste des hors-la-loi fait le guet et assure la sécurité.

- Le secrétaire informe les individus rassemblés de leurs intentions :

révolution - indépendance - libération - extermination des européens sont les thèmes courants. Une petite "quête" au profit de "l'Armée de la Libération" et de ses "Soldats" termine généralement la phase propagande.

- Puis les bandits se reposent - guet assuré par leurs soins ou avec le concours de la population dans les mechtas où des complicités sûres leurs sont acquises.

- Ordre est donné au propriétaire de la maison d'avoir à préparer quant à la composition du repas!.... bien entendu !.....

- Pendant leur séjour les rebelles ne sont autorisés à sortir qu'individuellement et revêtu d'effets civils prêtés par les gens du Douar.

- Avant de reprendre la route, à la tombée de la nuit un certain nombre d'enveloppes contenant soit des tracts, soit des menaces sont remises par le Chef à un habitant de la mechta. Ce dernier est ren-

.../...

عباس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

té une arme après la campagne de Tunisie, arme enveloppée dans des chiffons ou des sacs et enterrée près de la maison. Les rebelles procèdent sur renseignements donnés par des hors-la-loi originaires du Douar où ils ont décidé de faire de la récupération.

Ceux qui refusent de livrer la cachette sont purement et simplement égorgés - un seul exemple suffit !

C - CONSIGNES PARTICULIÈRES POUR LES BUSCADES ET LES COUPS DE MAIN.

Après un coup de main, d'après les déclarations de [REDACTED], les rebelles jetteraient du poivre rouge et du poivre noir sur les lieux afin de dérouter les recherches qui pourraient être entreprises à l'aide des chiens policiers dont ils ont très peur.

Au passage des Oueds, marchent à reculons pour égarer les recherches.

D - RENSEIGNEMENTS PARTICULIERS SUR CERTAINS HORS-LA-LOI. -

Un nommé " [REDACTED] " originaire de Philippeville ferait la liaison postale entre CONDE SMENDOU, les NELENTCHAS et l'AUREL. Il est accompagné de 4 gardes du corps. Tous habillés en civil, ils voyagent à pied ou au moyen de bêtes de somme.

Signalement : teint clair - moustache noire - cheveux noirs en brosse - corpulence moyenne - taille 1 m 70 environ.

Instruit - lettré en arabe et en français habillé d'une gandourah et coiffé d'une ressa blanche - armé d'un P.M. Mat 49.

Liaisons effectuées tous les 10 jours environ.

responsable de l'acheminement de ces plis vers leurs destinataires.

- Les habitants reçoivent l'ordre de s'enfermer chez eux. Interdiction de sortir jusqu'au lendemain afin de ne pas voir la direction prise par la bande

Celle-ci s'éloigne alors avec un guide sûr et ne s'arrête qu'après avoir parcouru un minimum de 20 Kilomètres.

Elle ne séjourne jamais dans une mechta voisine.

On doit en conclure que lorsqu'une bande est signalée comme ayant séjourné la veille dans une mechta, ne se trouvera plus le lendemain, dans un rayon de 20 à 25 Kilomètres de cette dernière.

En ce qui concerne le recrutement et la récupération des armes tous les procédés d'intimidation et le "bourrage de crâne" sont à l'honneur.

On encourage les civils à donner leurs fusils de chasse en déclarant qu'en échange ils recevront bientôt de l'armement de guerre neuf en provenance d'EGYPTE, et même des U.S.A. ! D'aucuns en sont fermement convaincus.

Une dizaine de jeunes gens avaient été recrutés vers le mois de Mai à KHLNCHERIA. On leur avait promis d'être immédiatement conduits en EGYPTE où ils allaient suivre dans un camp une instruction militaire poussée.

Arrivés dans les MLIENNECHAS, auprès de "SI MESKACUD", il furent mis au courant du métier de bandit qu'on attendait immédiatement d'eux et c'est évoluer au poing que le nommé CHABANE leur demanda s'ils désiraient rester au maquis ou retourner chez eux !

L'armement et en particulier les munitions statti sont récupérés chez les habitants des Douars.

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE
ETAT-MAJOR MIXTE

C.R.O.G.G.

N° 390 / EMM/CRO

ALGER, le 28 Février 1956

EXEMPLAIRE N° 150 / 450

SECRET

L'annexe à l'exploitation de l'interrogatoire n° 785/EMM/CRO du 8 Décembre 1955 figurait un organigramme du commandement rebelle en Algérie, et particulièrement dans le Sud Constantinois.

Des événements importants ont modifié de fond en comble cette organisation :

- 1/ L'assassinat de CHIHANI Bachir et de CHAMI Mohamed par LAGHROUR Abbès et Adjoul Adjoul (fin Novembre).
- 2/ L'évasion de BEN BOULAID Mostefa de la prison de CONSTANTINE (mi-Novembre).
- 3/ La reddition de KERRADOU Ali, chef de la région du Djebel Chechar (fin Décembre).
- 4/ La dissidence de la zone de TEBESSA.

Nous donnons aujourd'hui un nouvel organigramme qui fait le point de nos connaissances sur l'organisation du commandement rebelle mis sur pied par BEN BOULAID.

La comparaison de cet organigramme avec celui du 8 Décembre 1955 appelle les remarques suivantes :

BEN BOULAID, successeur de CHIHANI Bachir, a recueilli son domaine, l'a étendu vers le Nord-Est, mais semble avoir perdu vers le Sud-Est. En effet :

- a) La zone Tunisie - Souf semble échapper au chef de l'Idara.
- b) La zone de Tébessa semble jouir d'une quasi-indépendance.

../..

تنظيم قيادة حركة التمرد بقسنطينة

الملاحق

Par contre :

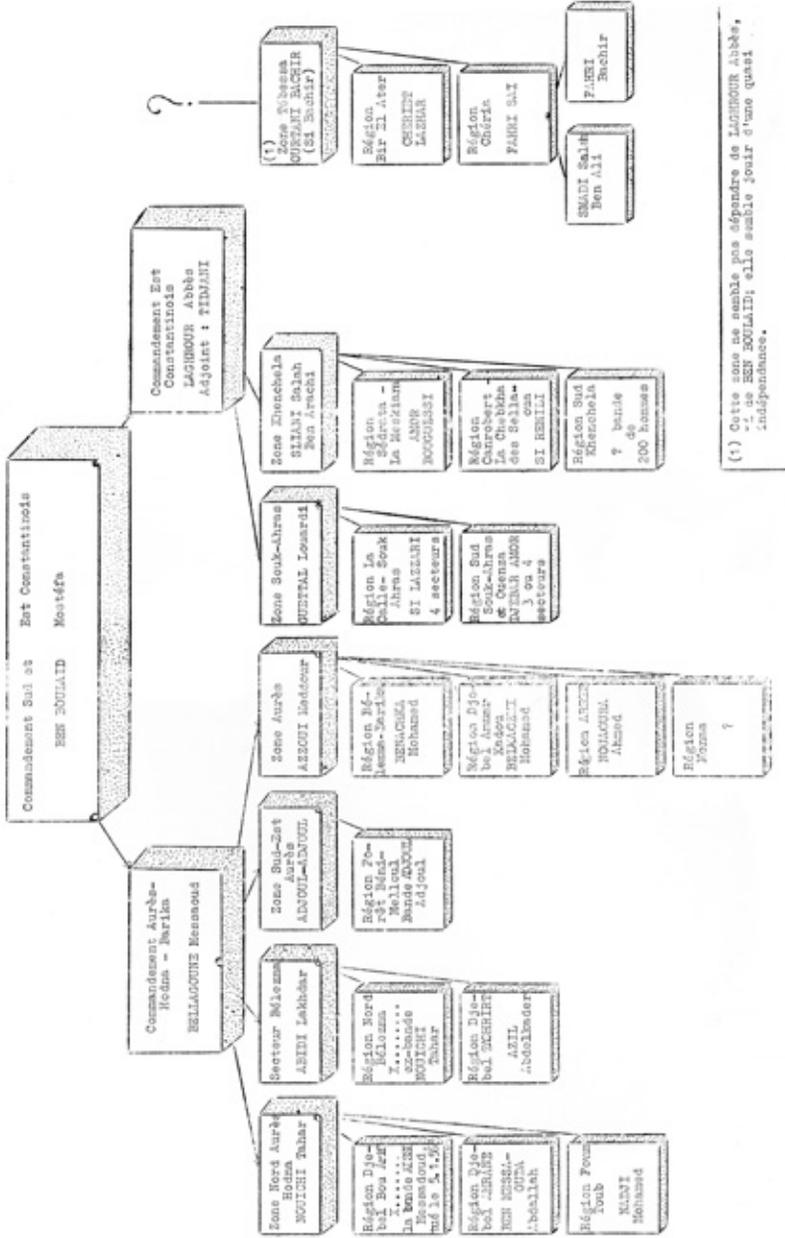
- a) La zone de Souk Ahras, qui semblait plus ou moins indépendante en Décembre, est solidement rattachée au commandement Est Constantinois, lui-même subordonné à BEN BOULAID.
- b) La région de La Calle, qui à l'époque était rattachée au Nord Constantinois par l'intermédiaire du commandement rebelle de la région de BONE, semble désormais dépendre de l'Est Constantinois et de la zone de Souk Ahras.

Toutefois, d'après des renseignements récents, partiellement recoupés, il y aurait une certaine interpénétration entre le Nord-Est Constantinois dépendant de BEN BOULAID et le Nord-Est Constantinois dépendant de ZIROUT Youcef.

Le Lt-Colonel RUYSSON,
Chef du C.R.O.G.G.,



عباس لغرور من النضال إلى قلب المعركة



(*) Cette zone se semble une séparation de LACHOUAR Abbas, - le BEK BOULAID, elle semble pour d'une quest indépendance.

مخطط قيادة المنطقة الأولى حسب المصالح الفرنسية (الأرشيف الشخصي)

الملاحق



رسالة من عباس لغرور إلى أحمد بن بلة بتاريخ 02 أكتوبر 1956
(هذه الرسالة استلمها المؤلف من عند عبد العزيز جاب الخير)

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة

(يا ايها الديرسي* انوا قاتلوا الديرسي بلونكم من الكفار)
(يا ايها الديرسي* انوا قاتلوا الديرسي بلونكم من الكفار)

ايها الرماة العنصرية
ايها الرماة العنصرية

لقد دقت ساعة التحرير وانشيق فجر الاستقلال ،
تعالوا معشر الاغويان وانكموا التي مفكوا، ايها الرماة العنصرية من
انها* طلتكم للرد من كيان هذا الواهن ونهضت راية الاسلام .
فكرو معشر الرماة العنصرية فيما هو فزعليكم كايها* لهذه الامة
وهي* راية رسول واحمد لتخليع بلادكم من ذل الاستعمار وبيته .
تنبهوا لما يدبركم اليه المستعمرون ولا تتسلطوا لدمائكم لاعداء
الديرسي بلونكم يا ايها لانقواه المدافع .
معشر الاغويان لكنن تفديتوا . غالهسة لوجبه اللده وموتنا في سبيل
اعلاء دله

واضمموا سبيل الله جمعا ولا تقمروا .

الله اكبر وحى على الجهاد

جيش التحرير للماضى والحاضر

Tirailleur arabe

Frère musulman

L'heure de la Liberation a sonnè;
Viens te joindre à nous et demain notre pays sera libre
Ne sera plus de rempart au colonialisme; ne sois plus de
la chair à canon.
Et si tu dois mourir que ce soit pour l'Islem et pour te
Patrie, non pour défendre les privilèges des colons.
La mort pour notre sainte religion te vaudra le paradis
d'ALLAH pour l'éternité.

VIVE LE DJIHAD VIVE LE MAGHREB ARABE

VIVE L'ISLAM

↓-----

ARM EE DE LIBERATION DE MAGHREB ARABE



Armée de Libération du Maghreb Arabe

Communiqué N° 2

(Front de l'ouest)

=====



L'Armée de Libération présente comme promis au peuple Maghrébin et au monde le bilan exact des combats livrés au cours de la semaine écoulée, bilan qui réduit à néant les affirmations mensongères de l'ennemi.

Il convient de rappeler que dans la phase actuelle de la lutte il n'est nullement dans l'intention de l'Armée de Libération de libérer une parcelle quelconque du territoire mais de disperser et de désorganiser les forces de l'occupant.

Postes attaqués:

- I) Boured, Tizi-Ouzli, Bou-Zibeb, Nador, Ajdir;
- II) Imrouzer des Marmoucha, Berkân;
- III) Taforalt, Berkane.

Pertes de l'ennemi:

Tués : trois officiers,
deux cent cinquante huit soldats;
et dix huit civils qui aidaient les forces de l'occupant.

Blessés:

Il est difficile d'en évaluer le chiffre exact mais pour en donner une idée approximative il suffit de signaler que l'aviation ennemie n'a cessé d'en transporter tout le long de ces derniers jours vers l'arrière.

Prisonniers:

Vingt cinq soldats.

Matériel détruit:

Quatre avions: trois hors de combat, un entièrement calciné; quatre auto-blindées incendiés;

Nos pertes:

Trois tués et quinze blessés;
Contrairement aux affirmations de l'ennemi aucun combattant de l'Armée de Libération n'a été fait prisonnier

Matériel capturé:

Deux batteries anti-aériennes;
Trois cent quatre vingt quatre armes de toute sorte et une grande quantité de munitions.

Tel est le bilan de la semaine écoulée pour le front ouest; des communiqués séparés seront publiés ultérieurement pour les fronts du centre et de l'est.

Quant à l'action menée à l'intérieur du pays, contre les traîtres les collaborateurs et leurs maîtres, par les organisations de la Résistance, pour des raisons faciles à comprendre, elle ne fera pas l'objet de communiqué.

L'Armée de Libération du Maghreb Arabe

N.B. L'Armée de Libération déplore la mort des soldats musulmans tombés dans les rangs de l'ennemi en combattant leurs frères de l'Armée de Libération.

L'Armée de Libération rappelle aux légionnaires et à nos frères africains que leur vie sera respectée tant qu'ils éviteront de tirer sur nos combattants. En outre le Commandement de l'Armée de Libération déclare qu'il est prêt à faciliter à ceux d'entre eux qui le désirent le retour dans leur pays d'origine.

عبّاس لغرور من التّضال إلى قلب المعركة

بسم الله الرحمن الرحيم

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وانكسروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء * فالذين)
(فلو كنتم تاحببتم بنعمته اعداؤنا وكنتم على شمس حفرة من النار فانقذكم منها كذلك)
(يبين الله لكم * اياته لعلكم تتقون)

بيان من جيش التحرير للمغرب العربي

اخواننا ابناء شمال افريقيا لقد رايت الامال الجيدة التي نام بها جيش التحرير والانتصارات التي فاز بها في المعارك مع قوات المستعمر الغاشم . وان هذه الامال من الوسيطة والطريقة الوحيدة للحصول على حلقنا المعطوبة كسطة كما سبق ان ذكرنا ذلك في بلاغنا الاولي .

وجيش التحرير بعد التوقيع الرباني التي احرزته فعل الله ليبيد بشعب المغرب العربي ان يلقه صغسا متناسكا امام هذه المد والفاص وان لا يشتر بكذا م الانتهاز بين كما يعلن ان الوقت قد حان لجميع المومنين ان ينعوا اليه في اليد وان يتناسوا كل ما بينهم من خلافات مماعهه بن الله على السير الى الامام منتقيين حول جيش التحرير حتى يتم النصر ويتحقق الاستقلال .

وجيش التحرير يبينه ان اسلحة مجلس حراس العرش ما هي الا ربيعة للتآمر على العرش المغربي والسيادة المغربية كما بعد رائلتلاميهم بالمخالف العليا للبلاد انه سيولهم منذ خدم . اما البرقية التي جاءت من مند صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف من سفاء على موافقة في تكوين مجلس حراس العرش على الكعب التي تكون عليها الآن اننا نلك في صحتها ما دام جلالته في اسر المستعمر وتمت سيراته وجريسة الاتفاق التونسي الفرنسي واضحة بينه كما انما وصحة عارفي جبين مغربي هذه الاتفاقية لا تعميها الا ن م الكساح والجهاد . اننا نبيد جميع المومنين من ابناء الشعب المغربي ان لا يركنوا ويستسلموا لما يحرره المستعمر ويقلبه بغير المرتزقة .

وجيش التحرير ان يدع هذا البيان ليوعلن باسم شعب شمال افريقيا بان كل حل للفضية المغرب العربي لا يتفق واهدائه جيش التحرير المادية في البلاغ الاولي مرفوع من اساسه كما يعلن ان اي سياس كيفسا آسان تشكله واتجاهه يكون بخير هذا ولا يحل على جمع الكسوة وتوحيد الصلوات واعلان عيد وميثاق للاتحاد والجهاد فهو خائف لوطله مارق من دينه نسه حسدال وعلينا ان نعمل بقسول الرسول الكسريهم الو من للصوم كالبينبيان المرصود يتد بحفه بحفا .

وعدوا قول العلي العظيم (ولا تنازروا فتفشلوا وتذهب بعكم)

الله اكبر وعسى على الجهاد

جيش التحرير للمغرب العربي

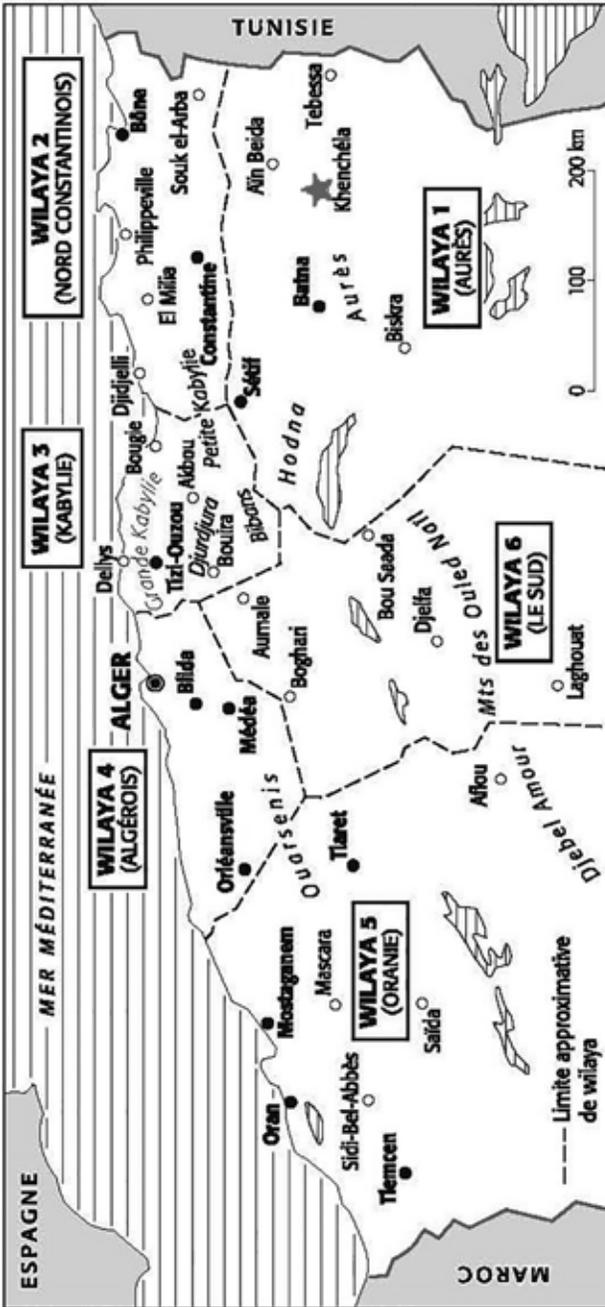


الملاحق

بلاغ ثالث من جيش تحرير المغرب العربي

تمكن جيش التحرير المغربي بمراكش خلال هجماتهم المتتالية في الاربعاء
ايام الاخير من الاستيلاء على ثلاثمائة بندقية وسبعين رشاش وكمية كبيرة من الذخيرة
كما استولوا على اربعة عربات مصفحة ومدفعين ميدان ودمروا خمسة عشر عربة مصفحة
هذا وقد قام جيش تحرير المغرب العربي بالاستيلاء على ستة معسكرات حربية فرنسية
في تينزولي واناتول بريد واموزير
وفقدت القوات الفرنسية في هذه العمليات ضابط برتبة الماغ وخمسة عشر ضابط وصف
ضابط وثلاثمائة جندي فرنسي
هذا ولا زالت العمليات مستمرة في الجزائر ومراكش وتشتد هذه المعارك في اقليم وهران
وخمسائر القوات الفرنسية في الازواج والعتاد كبيرة

عبّاس لغرور من النضال إلى قلب المعركة



خريطة لـ 6 ولايات بداية حرب التحرير

LEXIQUE

ALN : Armée de Libération Nationale

AML : Les Amis du Manifeste et de la Liberté

BLEUITE ; La « Bleuite », appelée parfois le « complot bleu », est une opération d'infiltration et d'intoxication à grande échelle, montée par le SDECE (services secrets français) pendant la guerre d'Algérie, à partir de 1957. Cette opération, consistait à dresser des listes de prétendus collaborateurs algériens de l'armée française et à les faire parvenir jusqu'aux chefs de l'Armée de libération nationale (ALN), le bras armé du FLN, pour y susciter des purges internes.

CCE : Comité de Cordination et d'Exécution .Organe dirigeant de la révolution issu du congrès de la Soummam 1956.

CRUA : Comité Révolutionnaire d'Unité et d'Action. Créé en 1954 après la rupture avec le parti de Messali Hadj quelques mois avant le début de la guerre. Il devient FLN Front de Libération National.

DBLE : Demi-Brigade de Légion Etrangère.

FLN : Front de Libération Nationale

MNA : Mouvement National Algérien créé par Mesali Hadj pour combattre le FLN.

MTLD : Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratiques.

OCFLN : Organisation Civile du Front de Libération Nationale.

OTAN : Organisation du Traité de l'Atlantique Nord

OS : Organisation Spéciale

PPA : Partie du Peuple Algérien.

SAS : Section Administrative Spécialisée.

UDMA : Union Démocratique du Manifeste Algérien, parti de Ferhat Abbès.

ZONE I : Le FLN a découpé l'Algérie au début de la guerre en 5 puis 6 zone en 1956 et la Zone est remplacé par Wilaya.

Quelques dates repères

- 1830 : Débarquement des français en Algérie
- 1847 : Abdelkader est vaincu par les forces françaises.
- 1871 : Révolte en Kabylie
- 1988 : Insurrection dans le sud oranais.
- 1916 : Révolte dans les Aurès-Nemamchas.
- 1945 : Révolte populaire dans l'est algérien.
- 1926 : Création en France du parti Étoile Nord Africaine par Messali Hadj(pour la première fois l'indépendance est clairement revendiquée). Qui devient PPA les années 30, et MTLD les années 40 et les années 50.
- 1954 : 1^{er} novembre début de la révolution algérienne (guerre d'indépendance).
- Décembre grande opérations de « nettoyage » et de répression dans les Aurès : arrestations et déplacement de dizaines de milliers de familles.
- 1955 : 30 septembre l'ONU vote l'inscription à l'ordre du jour de l'affaire algérienne.
- 1955 : Grand soulèvement populaire dans le nord constantinois.
- 1956 : 20 Août première réunion des chefs FLN en Kabylie « Congrès de la Soummam ». Début de lutte pour le pouvoir .
- 1956 : 20 octobre piratage de l'avion transportant des dirigeants FLN.
- 1957 : 27 mars le Général de Baullardièrè, qui proteste contre les méthodes employées pour réduire la « rébellion » démissionne.
- 1960 : 13 février la première bombe atomique explose à Reggane.
- 19 décembre l'ONU reconnaît le droit du peuple algérien à autodétermination et à l'indépendance.
- 1962 : 19 mars signature des accords d'Evian qui mettrons à une guerre de huit ans.
- 1962 : 3 Juillet l'Algérie devient officiellement indépendante.

الفهرس

9	مقدّمة
11	تمهيد
15	الفصل الأول : الوسط العائلي والاجتماعي والمطالب الوطنية
39	الفصل الثاني : على درب الحرية
61	الفصل الثالث : القطيعة والالتزام
75	الفصل الرابع : شهادتان لاثنين من الفاعلين في هذه الليلة التاريخية
101	الفصل الخامس : عمليات منسقة عبر كل مناطق الجزائر
117	الفصل السادس : توقيف، تعذيب، تهجير واغتيال
143	الفصل السابع : جبال الأوراس-النامامشة في مواجهة القوات الفرنسية ...
159	الفصل الثامن : الالتزام المغربي للمنطقة الأولى
173	الفصل التاسع : الأوراس-النامامشة يهتز
	الفصل العاشر : الولاية الأولى انتزاع مشعل الثورة - بداية الصراع
193	على السلطة
223	الفصل الحادي عشر : ساعة المؤامرات
239	الفصل الثاني عشر : شخصية عباس لغرور
251	الفصل الثالث عشر : اغتيال عباس لغرور
283	الفصل الرابع عشر : محاربة الجهوية، شعب واحد، هو الشعب الجزائري ..
301	خاتمة

أنجز طبعه على مطابع
- chihab print - ع. قرفي - باتنة